مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث

آفاق الثقافة والتراث

مجلة فصلية علمية محكمة

تصدر عن قسم الدراسات والنشر والشؤون الخارجية بمركز جمعة الماجد للثقافة والتراث

السنة الثانية والثلاثون : العدد مائة وأربعة وعشرون - جمادى الآخرة ١٤٤٥ هـ / ديسمبر ٢٠٢٣ م

تحرير المجسطي

النصير الطوسي : محمد بن محمد بن الحسن نصير الدين، أبو جعفر ٦٧٢ هـ

نسخة مكتبة أسعد أفندي ١٢٢٩

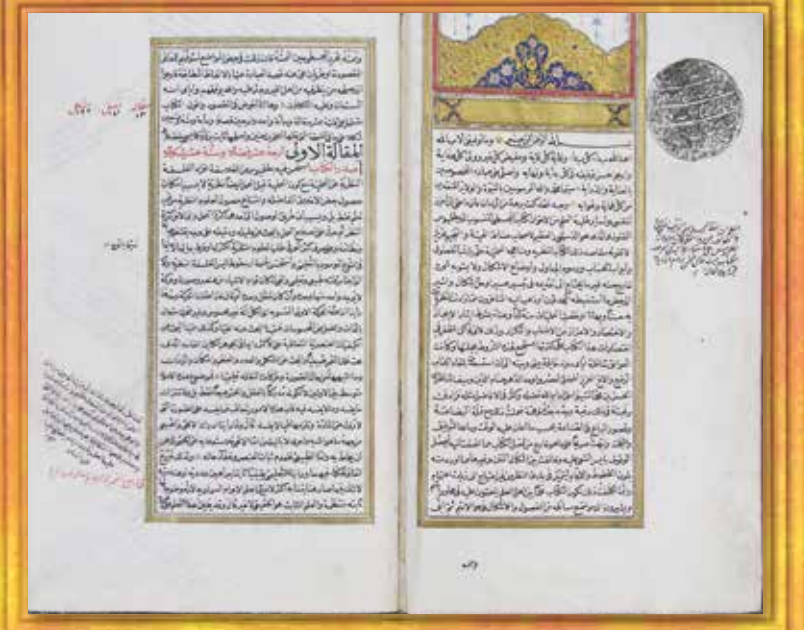

tahrir almajsatii

alnusayr altuwsiu : muhamad bin muhamad bin alhasan nusayr aldiyn , 'abu jaefar 672 hu

Asaad Effendi Library No. 1229

آفاق الثقافة والتراث — السنة الثانية والثلاثون : العدد مائة وأربعة وعشرون - جمادى الآخرة ١٤٤٥ هـ / ديسمبر ٢٠٢٣ م — مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث

شروط النشر في المجلة

١ – أن يكون الموضوع المطروق متميّزًا بالجدّة والموضوعية والشمول والإثراء المعرفي، وأن يتناول أحد أمرين:

– قضية ثقافية معاصرة، يعود بحثها بالفائدة على الثقافة العربية والإسلامية، وتسهم في تجاوز المشكلات الثقافية.

– قضية تراثية علمية، تسهم في تنمية الزاد الفكري والمعرفي لدى الإنسان العربي المسلم، وتثري الثقافة العربية والإسلامية بالجديد.

٢ – ألاّ يكون البحث جزءًا من رسالة الماجستير أو الدكتوراه التي أعدّها الباحث، وألاّ يكون قد سبق نشره على أيّ نحوٍ كان، ويشمل ذلك البحوث المقدمة للنشر إلى جهةٍ أخرى، أو تلك التي سبق تقديمها للجامعات أو الندوات العلمية وغيرها، ويثبت ذلك بإقرار بخط الباحث وتوقيعه.

٣ – يجب أن يُراعى في البحوث المتضمنة لنصوصٍ شرعية ضبطها بالشكل مع الدقّة في الكتابة، وعزو الآيات القرآنية، وتخريج الأحاديث النبوية الشريفة.

٤ – يجب أن يكون البحث سليمًا خاليًا من الأخطاء اللغوية والنحوية، مع مراعاة علامات الترقيم المتعارف عليها في الأسلوب العربي، وضبط الكلمات التي تحتاج إلى ضبط.

٥ – يجب اتّباع المنهج العلمي من حيث الإحاطة، والاستقصاء، والاعتماد على المصادر الأصيلة، والإسناد، والتوثيق، والحواشي، والمصادر، والمراجع، وغير ذلك من القواعد المرعية في البحوث العلمية، مع مراعاة أن تكون مراجع كلّ صفحة وحواشيها أسفلها.

٦ – بيان المصادر والمراجع العلمية ومؤلفيها في نهاية كلّ بحث مرتبة ترتيبًا هجائيًّا تبعًا للعنوان مع بيان جهة النشر وتاريخه.

٧ – أن يكون البحث مجموعًا بالحاسوب، أو مرقونًا على الآلة الكاتبة، أو بخطٍ واضح، وأن تكون الكتابة على وجهٍ واحد من الورقة.

٨ – على الباحث أن يرفق ببحثه نبذة مختصرة عن حياته العلميّة مبيّنًا، اسمه الثلاثي ودرجته العلمية، ووظيفته، ومكان عمله من قسمٍ وكلية وجامعة، إضافةً إلى عنوانه وصورة شخصية ملونة حديثة.

٩ – يمكن أن يكون البحث تحقيقًا لمخطوطة تراثية، وفي هذه الحالة تتبع القواعد العلمية المعروفة في تحقيق التراث، وترفق بالبحث صور من نسخ المخطوط المحقّق الخطّية المعتمدة في التحقيق.

١٠ – أن لا يقلّ البحث عن خمس عشرة صفحة، ولا يزيد عن ثلاثين.

ملاحظات

١ – ترتيب البحوث في المجلة يخضع لاعتبارات فنية.

٢ – لا تُرد البحوث المرسلة إلى المجلة إلى أصحابها، سواء نشرت أو لم تنشر.

٣ – لا يجوز للباحث أن يطلب عدم نشر بحثه بعد عرضه على هيئة تحرير المجلة إلاّ لأسباب تقتنع بها هيئة التحرير، وذلك قبل إشعاره بقبول بحثه للنشر.

٤ – تستبعد المجلة أيّ بحثٍ مخالف للشروط المذكورة.

٥ – تدفع المجلة مكافآت مقابل البحوث المنشورة، أو مراجعات الكتب، أو أيّ أعمال فكرية.

٦ – يعطى الباحث نسختين من المجلة.

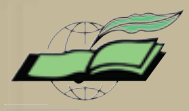

مركـــز جمعـة المـاجـد للثقـــــافة والتـــــراث
Juma Al Majid Center for Culture and Heritage

السلام عليكم و رحمة الله و بركاته، و بعد ،

فإنه يسرنا أن نبعث إليكم بنسخة من العدد (١٢٤) من مجلة آفاق الثقافة و التراث.

راجين التفضل بإرسال إشعار التسلم المرفق بالمجلة إلينا.

مع خالص شكرنا و تقديرنا لحسن تعاونكم معنا

و تفضلوا فائق الاحترام و التقدير

Dear Sir ;

Attached is one copy of Afaq Al-Thaqafa wa Al- Turath magazine, issue No (124). Please send back the enclosed receipt of Acknowledgement after filling in the required infomation.

Thank you for your kind cooperation

We remain

Gift ☐ إهداء

Exchange ☐ تبـادل

Subscription ☐ اشتراك

قسيمة اشتراك

Subscription Order Form

سنة ☐ One Year

أكثر من سنة ☐ More Than One Year

عدد السنوات ☐ of Years

للأعداد : ..... Issues

عدد النسخ : ..... of Copies:

ابتداء من تاريخ : ..... Subscription Date :

شيك ☐ Check

حوالة مصرفية ☐ Bank Draft

حوالة بريدية ☐ Postal Draft

التاريخ : ..... Date :

التوقيع : ..... Signature :

إشعار بالتسلم

Acknowledgement of Receipt

Name : ..... الاسم الكامل :

Institution ..... المؤسسة :

Address ..... العنوان :

P.O. Box : ..... صندوق البريد :

No. of Copies: ☐ عدد النسخ : Issues No.: ☐ العدد :

Subscription ☐ اشتراك Exchange ☐ تبادل Gift ☐ إهداء

Signature : ..... التوقيع : Date : ..... التاريخ :

آفاق الثقافة والتراث

مجلة فصلية علمية محكمة

تصـــدر عن قسم الدراســـــات والنشر والشؤون الخارجية
بمركـــز جمعـــة الماجـــد للثقـــافة والتـــراث
دبـــي ـ ص.ب. ٥٥١٥٦
هاتـــف ٢٦٢٤٩٩٩ ٤ ٩٧١+
فاكـــس ٢٦٩٦٩٥٠ ٤ ٩٧١+
دولـــة الإمـــارات العربيـــة المتحـــدة
البريد الإلكتروني: info@almajidcenter.org
الموقع الإلكتروني: www.almajidcenter.org

السنة الثانية والثلاثون : العدد مائة وأربعة وعشرون ـ جمادى الآخرة ١٤٤٥ هـ / ديسمبر ٢٠٢٣ م

رقم التسجيل الدولي للمجلة

ردمد ٢٠٨١ ـ ١٦٠٧

المجلة مسجلة في دليـــل
أولريخ الدولي للدوريات
تحت رقم ٣٤٩٣٧٨

هيـــئة التحـــرير

مديـر التحرير
د. عز الدين بن زغيبة

سكرتير التحرير
د. منى مجاهد المطري

هيئة التحرير
د. أبوبـــكـــر الصديـــق
د. محـمـد أحـمـد الـقـرشـي
د. فكـري عبـد المنعـم النجـار
د. محـمـد فـاضـل الـحـطـاب

الاشتراك السنوي	داخل الإمارات	خارج الإمارات
المؤسسات	١٠٠ درهم	١٥٠ درهم
الأفراد	٧٠ درهماً	١٠٠ درهم
الطلاب	٤٠ درهماً	٧٥ درهماً

المقالات المنشورة على صفحات المجلة تعبر عن آراء كاتبيها
ولاتمثل بالضرورة وجهة نظر المجلة أو المركز الذي تصدر عنه

يخضع ترتيب المقالات لأمور فنية

الفهـــــرس

الافتتاحية

يوم اللغة العربية:
ترسيخ الهوية وتعزيز التراث

سكرتير التحرير ٤

المقالات

الضرر المعنوي بين اعتبار الشريعة وإلغائها

يوسف العزوزي ٦

ما تَبَقَّى من شِعْرِ أبي بكر بن المُنَخَّل الشِّلْبِيّ «جمع ودراسة»

د. محمد محجوب محمد عبد المجيد ٢٢

التغلغل التجاري البرتغالي في منطقة إفريقيا الغربية خلال القرنين ١٥ و ١٦م وتأثيراته

د. عبد الله عيسى ٦١

الحياة العلمية في ولاية سمائل (١٣٥١-١٣٩٠هـ/ ١٩٣٢-١٩٧٠م)

دكتور / محمد حسن محمد إمام ٨٢

القبس السَّنِي من حياة شيخ المالكية بالحرم المكي ابن حمُّود المكناسي (ت:٥٧٣هـ) جهوده وإسهاماته العلمية والدينية

د. الحسان العوني ١٠٢

تراثنا المخطوط تفرده ودور الوقف في الحفاظ عليه وإثراء المكتبات العربية

أ. د. عبد الستار الحلوجي ١٢٧

تحقيق المخطوطات

الرَّوْضُ المَرُوضُ فِيْ عِلْمِ العَرُوْض تحقيق ودراسة

د. خضر محمد أبو جحجوح ١٢٧

الدُّرَّة البهيَّة في كسوة الحُجرة النبويَّة

د.محمد جمال حامد الشوربجي ١٦٣

الملخصات ١٨٨

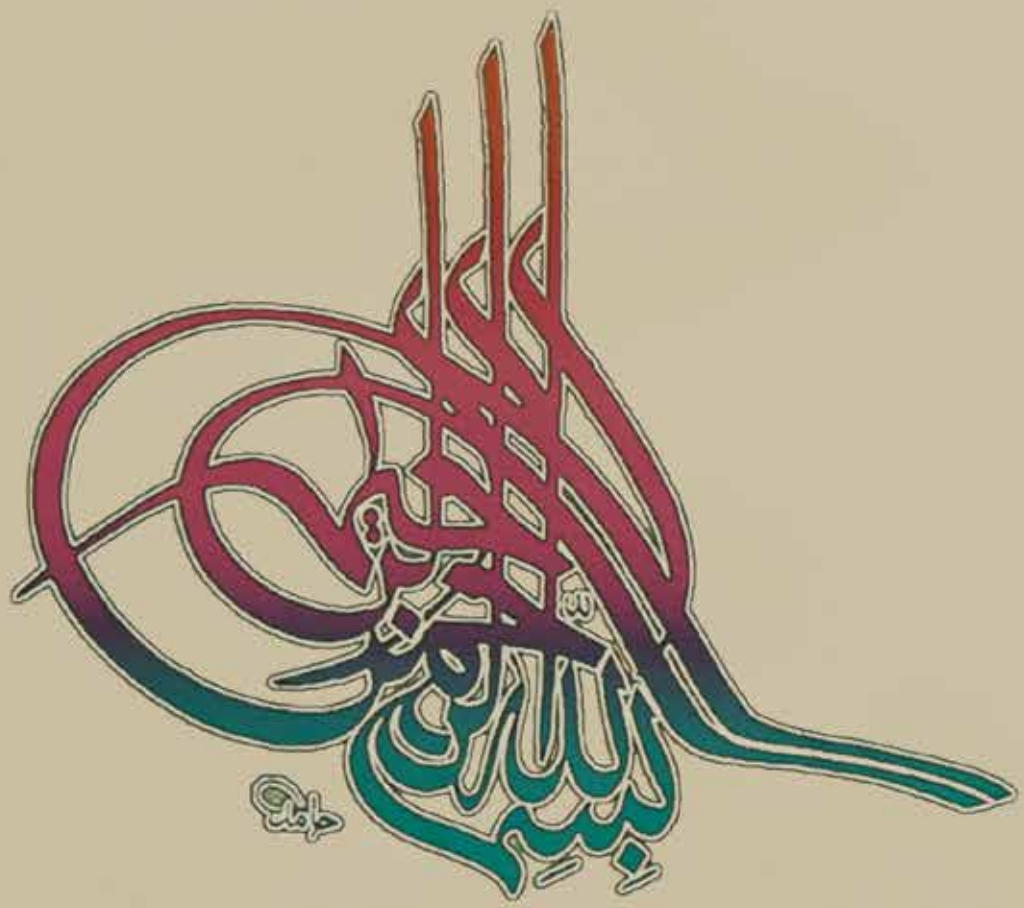
بسم الله الرحمن الرحيم

يوم اللغة العربية:
ترسيخ الهوية وتعزيز التراث

تنعكس في لغة كل الشعوب خزانات تراثها وتاريخها، وتتجسد فيها ثقافتها وقيمها. ومن هنا يبرز يوم اللغة العربية كمناسبة رمزية يحتفي فيها بلغة عريقة امتدت جذورها في عمق التاريخ. إنه يوم يتجلى فيه الاعتزاز بلغة آبائنا وأجدادنا، ونستحضر فيه ما حملته هذه اللغة من آداب وفنون وفلسفة. فاللغة العربية تحمل في طياتها بنيةً جمالية متفردة، تميزت بقواعد دقيقة وغنى لفظي جعلها تشكل مصدر إلهام للكثيرين. ومن هنا يتجلى دورها البارز في ترسيخ الهوية وتمييز الثقافة العربية عن غيرها.

ويوم اللغة العربية هو تجليٌّ لروح الهوية والثقافة التي تجمع شعوبًا متشابهة في تاريخها وجغرافيَّتها. إنّه ليوم يحمل في طياته عبق التاريخ ورونق الأدب، ويُعيد إلى الواجدة العربية مكانتها العليا كأحد أهم المنابر الثقافية في عالم الفكر والإبداع.

فاللغة هي لسان الأمة، ومن خلالها يتم تجسيد التراث وأيامها الخالدة. وتعد اللغة العربية بمثابة حجر الزاوية في بنية الثقافة العربية؛ حيث إنها تمثل مرآة تعكس جوانب الحياة والعقائد والتطلعات لهذا الشعب العريق.

فيوم اللغة العربية يعكس تكاتف المجتمع للحفاظ على هذا الإرث الثري والنفيس. إنّه يوم يذكرنا بواجبنا تجاه هذه اللغة التي أثرت في تاريخ الإنسانية بما قدمته من علوم وفنون وآداب.

كما أن الاحتفال بيوم اللغة العربية يعزز الشعور بالانتماء والولاء للهوية العربية العظيمة. ويتيح للأجيال الجديدة فرصة لاستكشاف جماليات هذه اللغة، وبذلك يتم تعزيز الفهم والتواصل الفعّال بين الأفراد.

ولغتنا العربية تستحق التأمل والتقدير، فهي محملة بأعظم الأعمال الأدبية والفلسفية التي أثرت في التفكير الإنساني. إنها لغة القرآن الكريم التي أنزلها الله تعالى لتكون هدى للبشرية، ومن خلالها نجد السر العميق لتلاقي الثقافات والشعوب.

ومن الأهمية بمكان أن نحتفل بيوم اللغة العربية كي نجعلها تتجدد وتتطور مع الزمن، وأيضًا لنثبت للعالم أنّنا نفتخر بهذا الإرث الثقافي الرائع. فمن خلال الحفاظ على لغتنا نحافظ على جذورنا ونحمي تراثنا الحضاري. كما يتيح احتفالنا بهذا اليوم فرصة للتأمل في الإسهامات الفذة التي قدمها أدباء وشعراء العرب في مختلف المجالات. إنها للغة أحاطت بالعلوم والمعارف، ورسمت مسارات الفلسفة والتفكير. وما أجمل أن تكون هذه اللغة حاضنة لأعظم الكتب وأبرز الأفكار.

في الختام، فإن يوم اللغة العربية يعدُّ مناسبة لتجديد العهد مع هذه اللغة العريقة وتأكيد التزامنا بالمحافظة على مكانتها الرفيعة ومكتسباتها العلمية. ويجب علينا أن نعمل معًا لنسهم في تعزيزها وإشاعة رونقها في العالم. كما يظهر يوم اللغة العربية ركن أساسي في تركيبة الهوية العربية، يمدنا بالقوة والفخر بتاريخنا وتراثنا. إنها تذكير بأننا نحن أحرارٌ بلغتنا، وأن الاحتفال بها يعني الاحتفال بجمال العرب وفخرهم بهويتهم الخالدة.

سكرتير التحرير

د. منى مجاهد المطري

الضرر المعنوي بين اعتبار الشريعة وإلغائها

يوسف العزوزي
المغرب

حرصت الشريعة الإسلامية منذ الوهلة الأولى وبعد تثبيت العقيدة وترسيخ مبادئ الإسلام وأسسه وقواعده على تهذيب سلوك أفراده من خلال عدد من الأحكام والقيم التي فرضها الإسلام وحث على التحلي بها كالصدق والأمانة والوفاء بالعهود وغيرها، وفي المقابل منعت جملة من الممارسات والسلوكيات التي إن لم تفض إلى إلحاق الضرر بالنفس فإن ضررها ولا شك سيلحق الغير.

لهذا وغيره فقد حرم كثير من تلك الوسائل المؤدية إلى الضرر كالكذب وشهادات الزور وخيانة العهود والمواثيق والغيبة وكل ما من شأنه أن يكون سببا ووسيلة إلى الإذاية وإلحاق الضرر بغير حق، سواء في الأموال، أو الأجساد، بل حتى الأعراض والعواطف والمشاعر، ماديا كان ذلك أو معنويا من غير تفصيل ولا توصيف، فلا ضرر ولا ضرار، والعام على عمومه حتى يرد المخصص.

وإنما أوجب الله تعالى الله والعذاب الأليم لأقوام حملوا البهتان والأثم العظيم إلا لأنهم كانوا سبب إذاية لله ولرسوله وللمؤمنين بالبهتان والكذب والافتراء والتقول من غير علم.

ولم يحدد القرآن نوع الإذاية ولا صِنفها، وإنما أطلق مسمى الإذاية دونَما قيد أو صفة لتشمل الضرر بجميع أنواعه وأشكاله

قال تعالى: Mإِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُّهِينًا ¬ L الأحزاب [٥٧، ٥٨]

يقول السيد قطب عند حديثه عن هاته الآية:"... إيذاؤهم كذبا وبهتانا بنسبة ما ليس فيهم إليهم من النقائص والعيوب... بنشر قالَة السوء عنهم -أي عن المؤمنين- وتدبير المؤامرات لهم، وإشاعة

التهم ضدهم، وهو عام في كل زمان ومكان".[1] ومثل هذا ما جاء في براءة نبي الله موسى عليه السلام بعدما أوذي واتهم بالبرص فبرأه الله مما قيل: M لاَ تَكُونُوا كَالَّذِينَ آذَوْا مُوسَىٰ فَبَرَّأَهُ اللَّهُ مِمَّا قَالُواۚ ¬ L الأحزاب [٦٩]

فمجرد مقالة قيلت في موسى عليه السلام، وتهمة أُلحِقت سماها الله إذاية وإنها لكذلك حقا.

يقول العلامة الصابوني رحمة الله عليه في الصفوة:"..أي لا تكونوا أمثال بني إسرائيل الذين آذوا نبيهم موسى واتهموه بالبرص في جسمه أو أدْرة لفرط تستره وحيائه".[2]

لأجل ذلك وغيره جعلت الشريعة الإسلامية عقوبة حد القذف ثمانين جلدة إن لم يثبت الزنا حقا؛ وذلك لأن مسألة الأعراض وحفظ الأنساب هي من أخطر ما يلحق الضرر بالإنسان، حرصت الشريعة الإسلامية على حفظها ومراعاتها والذود عنها من خلال النهي عن اقتحام سبل الضرر وإتيان أسباب الإذاية.

ويتجسد ذلك من خلال النصوص العامة والخاصة التي وردت قرآنا وسنة. فمن ذلك ما عن أبي سعيد الخدري رضي الله أن النبي صلى الله عليه وسلم قَالَ:" لا ضرر ولا ضرار من ضار ضره الله".[3]

فالحديث قاعدة عظيمة عند أهل العلم، مع قصر ألفاظه واختصار كلماته غير أنه يشتمل على قواعد، وليس على قاعدة واحدة، وهو يدخل في كثير من الأحكام الشرعية، ويبيّن السياج المحكم الذي بنته الشريعة لضمان مصالح الناس، في العاجل والآجل، ومعناه: أن الإنسان لا يجوز له أن يضر بنفسه ولا بغيره كان الضرر محسوسا ملموسا مشاهدا، أو معنويا أدبيا. فهو نص عام في تحريم جنس الضرر ونفي عمومه من غير تفرقة بين ما هو مادي أو معنوي.

مشكلة الدراسة:

تجيب الدراسة على جملة من الأسئلة منها ما يأتي:

ما حقيقة الضرر والضرر المعنوي؟

وكيف صانت الشريعة الإسلامية جانب الضرر المعنوي؟

وهل ما يصيب الإنسان في شرفه وعاطفته وعرضه من فعل مشين أو قول مهين يعد هدرًا في الشريعة الإسلامية؟

أهمية الدراسة:

تكمن أهمية الدراسة: في أن موضوع الضرر الأدبي من المواضيع التي لها أهميتها في الوقت الحاضر وكل الاوقات خاصة وأنها تمس حياة الناس، وتشغل بالهم، لما فيه من مراعاة لمشاعر الإنسان وأحاسيسه واعتباره وعواطفه وكرامته. ناهيك عن حفظ حقوقه المادية.

والشريعة الإسلامية حرّمت كثيرًا من التصرفات والأفعال والأقوال التي تلحق الضرر الأدبي بالإنسان، كالقذف والغيبة والسخرية والسب والشتم والتنابز بالألقاب في كتاب الله العزيز أو في سنة الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم لما تحدثه هذه التصرفات من أثر بالغ في نفس الإنسان.

الدراسات السابقة:

تناول بعض الفقهاء المعاصرين موضوع

الضرر الأدبي في كتبهم وإن كانوا لم يفردوه بكتاب مستقل ومن هذه الدراسات:

١. محمد فوزي فيض الله، نظرية الضمان في الفقه الإسلامي العام، مكتبة التراث، الطبعة الأولى، الكويت.

٢. علي الخفيف، الضمان في الفقه الإسلامي، معهد البحوث والدراسات العربية، بدون طبعة.

٣. وهبة الزحيلي نظرية الضمان ط. دار الفكر، دمشق سوريا، الطبعة ٢ (١٤١٨هـ -١٩٩٨م).

منهجية الدراسة:

تعالج هذه الدراسة التأصيل الشرعي لمبدأ المؤاخذة عن الضرر الأدبي، لذا فإن اعتمدت منهج:

منهج الاستقراء: عنيت بتحرير واستقراء النصوص الشرعية والأقوال الفقهية من الكتب والمؤلفات المختلفة من غير التقيد بمذهب أو مشرب معين من تلك الكتب. مع الاعتماد على منهج المقارنة بين الحين والحين متى اقتضى الأمر ذلك؛ لأن الأمور لا تتميز إلا بأضدادها، ولما في المقارنة من بعد عن التعصب وإثراء للفكر.

وقد وقعت الدراسة في مقدمة وثلاثة مباحث وخاتمة.

حقيقة الضرر.

إن الشريعة الإسلامية قد جاءت بأحكام وآداب شتى، الغرض منها ضبط تصرفات الناس في أقوالهم وأفعالهم ومعاملاتهم، وتهذيبها مع ما يتوافق وتعاليم الشريعة. وفي عصرنا الحاضر، نشأت وتنشأ الخلافات وتقع الخصومات والنزاعات بين الأفراد والجماعات، وينزل بعضهم ببعض المَضرات، متى غابت تلك التعاليم والقيم التي أمروا بالالتزام بها واتباع هديها ولم تُراع، فيصيب بعضهم بعضا بالأذى والمضرة قصدًا أو من غير قصد، عِلما أو جهلا.

فما هي حقيقة الضرر الواجب تركه المحرم إيقاعه؟

الضرر في اللغة:

يطلق الضرر ويقصد به معان، منها:

أنه يأتي بمعنى" خلاف النفع، وقد ضره وضاره بمعنى، والاسم الضرر".(٤)

وفي تقريب معجم المصطلحات هو: "مصدر ضر جمع أضرار: المكروه.(٥)

فمعنى الضرر إذن هو كل ما يكره المرء وقوعه عليه ونزوله به، لا فرق في ذلك بين قليله وكثيره.

واصطلاحا:

"ما يلحق الانسان من أذى لا يتحمله فتجب إزالته".(٦)

معناه في الاصطلاح الفقهي والقانوني هو "إلحاق مفسدة بالغير".(٧)

فالضرر بجميع أصنافه وأشكاله داخلة تحت هذين الحدين، من غير تخصيص لنوع معين من أنواعه.

ومثل ذلك ما ذكره الإمام الزحيلي رحمه الله في حده إذ قال إن الضرر هو: "كل إيذاء يلحق بالشخص سواء أكان في ماله أو جسمه أو

عرضه أو عاطفته"[٨].

ولعل هذا التعريف أوسع تلك التعريفات وأشملها حيث إنه يتناول جانب الضرر المادي والمعنوي وكل ما له علاقة بشعور الإنسان وعواطفه أو شرفه أو عرضة أو كرامته أو سمعته من غير تخصيصه بنوع معين من أنواع الضرر.

تعريف الضرر المعنوي:

تعددت تعريفات العلماء للضرر المعنوي، وتنوعت حدودهم، غير أنها في مجملها لم تتجاوز حدود إلحاق الأذى والمفاسد في الأعراض والكرامات والشرف والسمعة.

فمما ذكر من تلك التعريفات والحدود:

تعريف محمد فوزي فيض الله للضرر المعنوي بأنه:" إلحاق مفسدة في شخص الآخرين لا في أموالهم، وإنما يمس كرامتهم أو يؤذي شعورهم، أو يخدش شرفهم أو يتهمهم في دينهم أو يسيء إلى سمعتهم أو نحو ذلك من الأضرار التي يطلق عليها اليوم اسم الضرر الأدبي"[٩].

ومثله قول صاحب المعاملات المالية المعاصرة دبيان بن محمد: "الضرر الأدبي والمعنوي كالضرر الذي يلحق الإنسان بسبب الاعتداء على حريته، أو في عرضه، أو في سمعته، أو في مركزه الاجتماعي، أو اعتباره المالي"[١٠].

فالضرر الأدبي المعنوي ليس محله أموال المضرور أو جسده، وإنما يصيب مصلحة غير مالية ولا مادية محسوسة كالحرية والعرض والشرف.

وما ينبغي الاستهانة به بدعوى أنه معنوي فحسب، فليس من السهولة تجاهل هذه الأضرار، بل قد يكون وقعها أعظم وأشد من الضرر المادي، خاصة وأن المادي قابل للتعويض والبدل، أما المعنوي فلا يمكن تعويضه بحال. وكل محاولات ترميم الانكسار وجبر الخواطر لا تعدو أن تكون من قبيل قول ابن الرومي مواسيا نفسه بعد فقد فلذة كبده:

بكاؤكما يشفي وإن كان لا يجدي

فجودا فقد أودى نظيركما عندي

ولذلك كان لهذا النوع من الضرر اعتبار شرعي، ومنزلة في الشريعة. ولا أدل على ذلك ما أعده الله تعالى لمن سعى في إلحاق الأذى بالناس واتهامهم وخدش أعراضهم قال سبحانه: Mإِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ لُعِنُوا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ¬ L

يقول:...تقرير لمبدأ مهم وهو أن الضرر الأدبي بالمقياس الشرعي والاجتماعي له اعتباره المتميز في نظر الشريعة الإسلامية، وأنه قد يكون بحسب نوعيته أشد وأعظم في الميزان الشرعي من الأضرار المادية الكبرى.

فإذا ارتكبه إنسان عدوانا وافتراء استحق القمع في الدنيا، والعذاب في الآخرة، حتى قد يصبح من الملعونين في الدارين"[١١].

فكل ضرر مهما كان نوعه يتنافى وتكريم الإسلام للجنس البشري، ومن التكريم صيانة الأعراض وحفظ المكانة.

التعويض عن الضرر المعنوي.

مفهوم التعويض عن الضرر وأصله:

قـال الشيخ محمود شلتوت فـي تعريفه للتعويض:" هو المال الذي يحكم به من أوقع ضررًا على غيره في نفس أو مال أو شرف، والتقدير في تعويض الشرف من باب التعزير الذي وكلت الشريعة الإسلامية أمره إلى الحاكم يقدره بالنظر إلى قيمة الضرر ومنزلة المجني عليه والعرف الجاري في مثله. وأساس التعويض المالي في الشرف مأخوذ من مذهب الإمام الشافعي".[١٢]

وقال الدكتور وهبة الزحيلي عن التعويض: "ليس المقصود بالتعويض مجرد إحلال مال محل مال، بل يدخل في الغرض منه المواساة، إن لم تكن المماثلة، ومن أظهر التطبيقات على ذلك الدية والأرش، فليس أحدهما بدلاً عن مال ولا عما يقوم بمال".[١٣]

فالتعريفان إذن يظهران حقيقة التعويض عن الضرر المعنوي، وبعض تطبيقاته، وتقدير قيمته، وكذا الحكمة من التعويض عنه، والتي تكمن في المواساة وتطييب الخواطر وجبر ما حل من الانكسار وحصل من الانفطار.

غير أنه وإن حصل الاتفاق على أن الضرر المعنوي هو ما يصيب المرء في عرضه وسمعته من خلال السب، أو القذف، أو الترويع مما لا يسبب أذى ظاهرًا، لكن اختلف في جواز التعويض المالي عن الضرر النفسي.

فما موقف الشرع من التعويض المادي عن الضرر المعنوي؟

ثمت خلاف في مسألة التعويض عن الضرر الأدبي، وإنه وإن ذهب بعض الفقهاء والعلماء إلى القول بمشروعية التعويض عن مثل هذا الأذى، وقالوا: ولولا أن مثل هذا الأذى يسبب لصاحبه ألما، ما أوجـب الإسلام فيه عقوبة بدنية في حالة القذف بالزنا، أو عقوبة تعزيرية في حالة السب أو القذف بما دونه، ومثل ذلك ما ذكروه في شرب الخمر من التأديب؛ لأنهم جعلوا علة ذلك هي الشرب المفضي للهذيان المؤدي للافتراء فوجب التأديب، إلا أن ذلك لا يرفع الخلاف الموجود في قضية التعويض عن الضرر النفسي ولكل دليله ورأيه.

ولعل السبب الذي جعل تردد الفقه واختلاف الفقهاء في خصوص التعويض عن الضرر الادبي هو طبيعة النصوص المؤطرة للضرر المعنوي خاصة، وكذا طبيعة التعويض ومقدار التعويض والبدل، وغياب فروع قريبة الإلحاق.

حيث إن جل النصوص الواردة إنما هي في خصوص الضرر المادي، وأن ما ورد منها مما يمكن أن ينضوي تحته الضرر المعنوي تبقى نصوصا عامة في النهي عن الضرر دون بيان مقدار التعويض، فتبقى مجالاته اعتباطية غير محددة بحد ولا مقدرة بمقدار، ما يجعل منها سببا للفوضى لا الانضباط.

يقول الشيخ الزرقاء - رحمه الله -: "الحكم بالتعويض المالي عن الضرر الأدبـي حكم مستحدث، ليس له نظائر في الفقه الإسلامي".[١٤]

غير أنه قد وجد في السنة النبوية ما يدل على جواز التعويض عن الأذى النفسي.

فمما أخرجه الحاكم وابن حبان وغيرهما من

حديث عبد الله بن سلام في قصة إسلام زيد بن سعنة الحبر اليهودي، وفي القصة أن عمر أغلظ على زيد، وهدده بضرب عنقه عندما تطاول هذا الأخير في اقتضاء دين له على النبي صلى الله عليه وسلم، لكن النبي صلى الله عليه وسلم قال لعمر:"إنا كنا أحوج إلى غير هذا منك يا عمر أن تأمرني بحسن الأداء وتأمره بحسن التباعة اذهب به يا عمر فاقضه حقه وزده عشرين صاعًا من غير مكان ما روعته".[١٥]

فهنا قد وجدنا النبي صلى الله عليه وسلم يزيد زيدَ بن السعنة على حقه عشرين صاعًا مقابل ترويعه من قِبل عمر بن الخطاب رضي الله عنه وتهديده بالقتل، والترويع ضرب من الألم النفسي فجعل مقابل هذا الترويع وذلك التخويف عشرين صاعا يدفعها إليه تعويضا عما لحقه وإن كان نفسيا، فدل ذلك على مشروعة التعويض عن الأضرار النفسية.

فهذا الحديث يدل على أمرين:

جواز رد الدين بزيادة في العدد ويقاس عليه الوزن كذلك، وأيضا جواز التعويض عن الضرر ولو كان الضرر الحاصل معنويا ونفسيا فقط، لأن النبي صلى الله عليه وسلم قال: مكان ما روعته.[١٦]

ومن المعلوم أن "ما" من صيغ العموم وألفاظه عند أهل الفن، فهي عامة في كل ترويع وتخويف وتهديد، قليلِه وكثيره، ويلحق به كل ما من شأنه أن يكون سببا في إلحاق الأذى والضرر والانكسار.

ومن ذلك كذلك: مشروعية الصداق في الإسلام وحكمته.

المهر أو الصداق: "هو ما يبذله الزوج للزوجة في عقد النكاح، وهو المهر أيضا".[١٧]

قال العلامة الشافعي الماوردي رحمه الله مبينا حده وأسماءه:" والصداق: هو العوض المستحق في عقد النكاح.

وله في الشرع ستة أسماء جاء كتاب الله تعالى منها بثلاثة أسماء: وهي الصداق والأجر والفريضة، وجاءت السنة منها باسمين: المهر والعلائق، وجاء الأثر عن عمر رضي الله عنه باسم واحد: وهو العقور".[١٨]

ففلسفة الإسلام في تشريع المهر أنه شيء رمزي جعل للرغبة والمودة والمحبة التي يريد الزوج أن يعبّر عنها لزوجته. وليُستمال به قلب المرأة، وتتألف به ذلك الغريب الذي أرادها أن تكون أقربَ أقربائه، مُعربا عن صِدق رغبته وحقيقة طلبه، وليس ثمنًا ولا مقابلاً ماديًا لأي معنى من معاني الزواج الذي عبر عنه القرآن بأنه ميثاق غليظ، وإنما هو في نظر الشرع مشروع إنساني وإحدى مقاصده الكبرى قائم على معانٍ جليلة وأحاسيس ومشاعر رقيقة جميلة لا يمكن أن تُقدَّر بثمن مادي أو أي مقابل كيف كانت قيمته.

تلك الرمزية هي التي جعلت الإسلام لم يضع للمهر مقدارًا محددًا، وإن كان بعض الأئمة قد اختلفوا في تحديد أقله هل هو دينار من ذهب أو ربعه.[١٩] إلا أن حكمته والغرض منه يكمن في إكرام المرأة وإشعارها بأنها هي المطلوبة المرغوبة لا الطالبة، وإقدارها قدرها حتى ولو اقتضى الحال أن يفرض لها القنطار والقنطاران ذهبا، فلا يجوز العدول على ما فرض، كل ذلك

إكراما لها وهو يرفع من شأن المرأة، ويعلي من قدرها وحتى لا تجد في نفسها حرجا ولا يحل بمشاعرها ضرر جراء فقْد أهلها والاغتراب عن موطنها، فأثره النفسي ظاهر جلي غير خفي.

فالرجل يبذل المال ويهبه إياها نحلة منه، أي عطية وهدية وهبة منه، لا ثمنًا للمرأة، ولا أنه مقابل الاستمتاع.

فلو كان الأمر كذلك لما فرض الإسلام نصف المهر على من تزوج ثم طلق قبل أن يدخل بزوجته دون مسيس، تقديرًا لهذا الميثاق الغليظ والرباط المقدس، وإشعارا لها بالمواساة، مما يدل على أن الاستمتاع ليس هو الأساس، فهنا لم يحدث أي استمتاع البتة.

ولو كان سبب المهر وعلته الاستمتاع لوجب أن تدفع المرأة الصداق لزوجها كذلك، إذ الاستمتاع حاصل للطرفين فوجب المهر منهما وهو قدر مشترك بينهما، بل قد تكون المرأة أكثر استمتاعا منه فلا يلزم منه والحالة هاته إلزامها بالصداق، كما أن الاستمتاع وقدره غير منضبط بحد ولا مقدر بمقدار، وكل ذلك مما يؤكد أن غاية المهر وحكمته أعظم من الاستمتاع وأجَلّ من العوض والثمنية المادية. فالزوج لا يملك بدلَه شيئًا، إذ البضع بعد النكاح وقبله في مِلك المرأة فليس للزوج شيء تمَلَّكه بالمهر.

يقول الدكتور الزحيلي رحمه الله: "الحكمة من وجوب المهر: هي إظهار خطر هذا العقد ومكانته، وإعزاز المرأة وإكرامها، وتقديم الدليل على بناء حياة زوجية كريمة معها، وتوفير حسن النية على قصد معاشرتها بالمعروف، ودوام الزواج. وفيه تمكين المرأة من التهيؤ للزواج بما يلزم لها من لباس ونفقة".[٢٠]

ويقول الشيخ رشيد رضا في المنار كلاما قريبا من سابقه:"...أنه ينبغي للزوج أن يلاحظ في المهر غنى أعلى من معنى المكافأة والعوض، فإن رابطة الزوجية أعلى من ذلك بأن يلاحظ فيه معنى تأكيد المحبة والمودة، ...جعله للرجل جزاء وأجرا تطيب به نفسها، ويتم به العدل بينها وبين زوجها، فالمهر ليس ثمنا للبضع، ولا جزاء للزوجية نفسها".[٢١]

تلك المعاني الجليلة التي تضمنها المهر، من تطييب نفس المرأة به، وإكرامها وإعزازها بما قُدم لها، وإعلان حسن نية معاشرتها بالمعروف، وتمكينها من تهييئ نفسها بما يلزمها، كل ذلك ولا شك إن لم يجبر ما قد وجدته في نفسها من ضرر فراق أهلها، والاجتماع برجل غريب والإقامة ببيت غريب وموطن غريب ربما، لكنه كفيل بجبر بعضه وتقليل وقع الضرر الموجود ببعض ما بذل، فالنفوس ميّالة إلى من يحسن إليها ويدللها، فكيف إذا تعلق الأمر بالمال؟ وتلك الفطرة والنفس البشرية.

قال تعالى: M وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ ¬ L العاديات [٦-٨]

ومنه: المتعة في الطلاق وحكمته.

والمقصود بالمتعة هي: ما يعطيه الزوج لزوجته على الفراق تسلية لها لما يحصل لها من ألم الفراق".[٢٢]

يقول الدكتور معتصر عبد الله في تقريب المعجم:" متعة الطلاق: هي ما يعطيه الزوج لزوجته المطلقة زيادة على الصداق لجبر

خاطرها، وليس لها حد معلوم".[٢٣]

فما يعطيه الزوج لمطلقته عن طيب خاطر يجبر به ما قد يحصل من الألم والضرر النفسي الـذي حصل لها بسبب الفراق. وقد توافرت النصوص على مشروعية هذا النوع من المواساة والتسلية. فلقد أمر الله بها في القرآن الكريم. Mوَمَتِّعُوهُنَّ عَلَى الْمُوسِعِ قَدَرُهُ وَعَلَى الْمُقْتِرِ قَدَرُهُ مَتَاعًا بِالْمَعْرُوفِ L البقرة [٢٤١]

وقـال سبحانه: Mوَلِلْمُطَلَّقَاتِ مَـتَـاعٌ بِالْمَعْرُوفِ L البقرة [٢٣٦]

فالأمر الـوارد في هذين النصين بالمتعة وإن كان محتملا للوجوب والندب، باعتبار القرائن المحتفة به، ومحل اخـتلاف في بين العلماء والفقهاء، وموطن تردد بين المالكية والشافعية والحنفية في صيغة الأمر الواردة، إلا أنهم متفقون على أن ذلك يعتبر دليلا على تشريع المتعة في الطلاق لغرض جبر الخواطر والتعويض عن الأضرار النفسية المعنوية، حتى روي عن القاضي شريح رحمه الله أنه كان يجبر المطلق على دفع المتعة لمطلقته، كما أورده ابن عبد البر في الاستذكار.[٢٤]

وقد قال الشيخ الصابوني رحمه الله في تفسير الآية الثانية:" أي وإذا طلقتموهن فادفعوا لهن المتعة تطييبا لخاطرهن وجبرا لوحشة الفراق".[٢٥]

وذكر العلامة السيد قطب رحمة الله عليه في الظلال معلقا على هاته الآيات ما نصه:" فالواجب في هذه الحالة على الزوج المطلق ان يمتعها أي أن يمنحها عطية حسبما يستطيع ولهذا العمل قيمته النفسية بجانب كونه نوعا من التعويض...". [٢٦]

فبالمتعة تنفك تلك العقدة النفسية التي من الممكن أن تجعل الطلاق طعنة عداء وخصومة، وبها يندفع ذلك الجو المكفهر وينسم فيها نسمات الود والمعذرة، ويزيل عن الطلاق جو الأسف والأسى.

قال ابن العربي رحمه الله – وقريب منه كلام ابن الفرس في الأحكام كذلك- مبينا حكمة المتعة وعلة مشروعيتها:"..لِما لَحِق الزوجة من رحض العقد ووصم الحل الحاصل للزوج بالعقد، فإذا طلقها قبل المسيس ألزمه المتعة كفؤا لهذا المعنى".[٢٧]

فمتى كانت تلك الـزوجـة غير متضررة واختارت هي الطلاق والفراق لم يكن لها الحق في الحصول على المتعة؛ لأن محلها مرتفع فبأي وجه تستحقها عندئذ؟

فكل طلاق تختاره المرأة من غير سبب يكون للزوج في ذلك وكانت هي السبب في الفراق كأن تختلع فإنه يسقط حقها في المال وفي الأثر النفسي؛ لأنها هي التي ترغب به فينتفي الضرر.

يقول العلامة ابن الفرس:"..قالوا المرأة إذا اختارت فراق زوجها لم تشقق لذلك ولا حزنت، فلا يحتاج الزوج إلى تسليتها وتطييب نفسها".[٢٨]

بل قد يكون الـزوج غير راغـبٍ بالطلاق فيتضرر هو جراء ذلك. فلأجل هذا شرع له مبلغ من المال عند الخلع تدفعه الزوجة مقابل ما طلبت من الخلع، دفعًا للضرر الواقع من الزوجة على زوجها، كما شرع لها متعة الطلاق دفعا للضرر وتسلية للنفس وتطييبا للخاطر.

ومن هذا أيضا قولهم إن المرأة المراجَعة بعد

الطلاق وقبل المتعة لا متعة لها كذلك؛ لأن ما يحصل بالمتعة وهو التسلية قد حصل بالارتجاع، فلا محل للمتعة عندها.

يقول الإمام ابن العربي في المسالك: "المسألة الثالثة: فإن طلقها بعد البناء، ثم راجع قبل أن يمتع، فلا متعة لها، قاله ابن وهب وأشهب؛ لأن المتعة تسلية عن الفراق، والتسلية بالارتجاع أعظم".[٢٩]

ومنه: فلسفة رد الاعتبار.

والمقصود برد الاعتبار هو إرجاع الكرامة واستعادة المكانة في الحياة الاجتماعية.

لقد كانت الشريعة الإسلامية سباقة إلى رد الاعتبار والتكريم وحفظ الحقوق والذود عن العرض والشرف من كل ما يمكن أن يدنسه أو يمسه بأذى حسيا كان أو معنويا حتى.

فأتت فلسفة تشريع الحدود والأحكام التي تمنع إلحاق الغير بالآذي - أي أذى مطلقا حسيا كان أو معنويا بالقول أو الفعل - ضامنة لهذا الغرض محققة لتلك المقاصد عبر فلسفة التشريع التي امتازت بها الشريعة واختص بها الاسلام.

لذلك وغيره كان النبي حريصا على تعليم أصحابه ما يعزز تماسكهم ويقوي اعتصامهم ويؤكد وحدتهم ويهذب سلوكهم ويقوم معاملاتهم. فبين أن من سبقت إدانته بعقوبة جنائية وثبت جرمه، ثم ثبت بعد ذلك صلاحه وتوبته وحسن حاله لم يمنعه ما ثبت في حقه في أن يرَد له اعتباره ليتبوأ مكانه في المجتمع ووسط الأفراد كمواطن صالح جرى عليه من الخطأ ما يجري على الناس جميعا.

ومما ورد في هذا الباب ما رواه أبو هريرة رضي الله عنه: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أتي برجل شرب الخمر فقال اضربوه. قال ابو هريرة: فمنا الضارب بيده ومنا الضارب بنعله ومنا الضارب بثوبه فلما انصرف قال بعض القوم، أخزاك الله، فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لا تقولوا هكذا، لا تعينوا الشيطان عليه".[٣٠]

فالنبي عليه السلام علم الصحابة ونبههم على ترك لوم شارب الخمر بعد توقيع العقوبة عليه، وليس ذلك خاصا بشارب الخمر بل هو عام في كل من أدين بجرم ما حتى لا يجد احتقارا من أفراد المجتمع له ويكون ذلك سببا للتمادي في ارتكاب جريمته. وأعظم من ذلك حرص الإسلام على صيانة أعراض الأموات ورد الاعتبار لهم بعد إقامة الحد والتوبة. وقصة الغامدية خير شاهد ودليل.

وكذلك الشأن كان مع الغامدية رضي الله عنها. فلقد رد النبي صلى الله عليه وسلم للغامدية اعتبارها بعد موتها بعد أن استعظم عمر رضي الله صلاة النبي عليه السلام عليها وهي التي زنت فقال له وقد وجد ذلك عظيما: تصلي عليها يا نبي الله وقد زنت؟ فقال عليه السلام لعمر رضي الله ولغيره من بعده:" لقد تابت توبة لو قسمت على أهل المدينة لوسعتهم وهل وجدت توبة أفضل من أن جادت بنفسها لله؟".[٣١]

إن رد الاعتبار للمتضررين في الإسلام إذن أمر مشروع وارد، سواء تعلق الامر بالاعتبار المعنوي أو الحسي المادي، كل ذلك مما جاءت به الشريعة وقرره الإسلام عبر صور مختلفة

تضمنتها نصوصه، واحتوتها فصوصه.

وذلك لأن رد الاعتبار فيه تكريم للإنسان وتنزيهه عن كل إهانة قد يتعرض لها، وهو أصل جرت عليه الشريعة؛ حيث كرمت الانسان ابتداء، ونفت التهم، وذادت عن الأعراض والأنفس وكرامة الأشخُص مما يمكن أن ينتقص منها بقول أو فعل.

وقد حكى القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة نماذج عدة غير ما تقدم لصور رد الاعتبار تنوعت بين مواساة المتضرر مرة، وإنزال العقاب بصاحب الضرر أخرى وغيرها من النماذج والصور لرد الاعتبار.

فمن ذلك:

التعويض عن ضرر القذف والاتهام:

والمراد بالقذف الرمي والاتهام بالزنا، وهو عين الضرر والاذى النفسي والمعنوي، إذ فيه تدنيس للشرف واتهام للعرض، وتعريض للسب والشتم، وإلصاق للمذلة والمهانة لمن رمي واتهم بذلك.

وقد أورده الإسلام جزاء عن إيقاع الضرر الأدبي كغيره من الأحكام والقضايا التي كان الغرض الزجر عن ذلك الفعل الشنيع.

يقول عبد الله الطيار:" وقد ورد في الإسلام الجزاء عن إيقاع الضرر الأدبي وذلك بالتوبيخ، ومن ذلك ما روى أبو ذر - رضي الله عنه- أنه سابّ رجلاً فعيره بأمه، فقال الرسول - صلى الله عليه وسلم -: "أعيرته بأمه! إنك امرؤ فيك جاهلية".[٣٢]

أو الجزاء بالجلد كما في حد القذف، فإن القاذف يجب عليه حد القذف بشروط لما سببه من إيذاء أدبي ومعنوي للمقذوف وغيره".[٣٣]

ويقول الإمام ابن العربي رحمة الله عليه -عند تفسير قوله تعالى والذين يرمون المحصنات-: "يريد يشتمون. واستعير له اسم الرمي لأنه إذاية بالقول ولذلك قيل له القذف".[٣٤]

فخطورة القذف وضرره وأذاه إنما يجده من لحق به لا من صدر عنه، فجرح اللسان لا يقل ضررا وخطرا عن جرح اليد بل قد يفوقه، وفي هذا المعنى يقول يعقوب الحمدوني:

وقد يرجى لجرح السيف برء

ولا برء لما جرح اللسان

جراحات السنان لها التآم

ولا يلتام ما جرح اللسان

والذي يبرز ضرر جرم القذف وعظم أذاه، أمران اثنان:

أن الشرع قد جعل حد القذف حقا لله وللآدمي أيضا من حيث كونه شرع لدفع معرة القذف عنه، وللزجر عن عرضه وهو الظاهر كما حكاه العلامة الأمين الشنقيطي فقال رحمة الله عليه:" وأما حد القذف فإنه حق للآدمي وجب للجناية على عرض المقذوف".[٣٥]

وقال في نفس السياق كذلك:" فاذا تجرأ عليه القاذف انتهك حرمة عرض المسلم فكان للمسلم عليه حق بانتهاك حرمة عرضه، وانتهك أيضا حرمة نهي الله عن وقوعه في عرض المسلم".[٣٦]

ما رتبه الشارع الحكيم على القاذف الرامي من تغليظ في العقوبات الدنيوية والاخروية

البدنية والمعنوية.

قال تعالى:﴿وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا ۚ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾. النور [٤]

فلا شك أن الجلد عقوبة بدنية حسية، ورد الشهادة وعدم اعتبارها واستبعاده عن المشاركة في مظهر من مظاهر الحياة الاجتماعية والحقوق الدينية عقوبة معنوية؛ لذلك فإن نظرة الإسلام إلى الأعراض والأنساب نظرة مقدسة لا يجوز مسها أو القرب منها بسوء نية أو قول أو فعل، فمن استطاع أن يدفع عن عرض غيره سوءً دفع، ومن لم يستطع سكت عن الإساءة والأذى وحاد وامتنع، وذلك المنهج الأسلم، والسبيل الأقوم لحفظ الأنساب والأعراض الذي يعتبر أحد مقاصد الشرع الكبرى.

ولقد ذكر العلماء أن القذف وإن حصل بغير الرمي بالزنى أو نفي النسب فإنه يستوجب العقوبة أيضا، وما ذلك إلا حفظا للكرامات وتحصينا للأعراض من الإهانات.

يقول العلامة محمد الأمين الشنقيطي رحمه الله: "اعلم أن من قذف إنسانا بغير الزنى أو نفي النسب كأن يقول له: يا فاسق أو يا آكل الربا، ونحو ذلك من أنواع السب يلزمه التعزير وذلك بما يراه الإمام رادعا له".[٣٧]

ومن صور اعتبار الضـرر المعنوي: الدية في القتل الخطأ.

وهي عبارة عن المال الواجب في النفس أو ما دونها يدفع إلى أولياء المجني عليه بسبب تلك الجناية.

يقول الدكتور عبد الله معتصر في حدها: "الدية جمع ديات، وهي ما يعطى عوضا عن دم القتيل إلى وليه".[٣٨]

فإن الله تعالى قد أوجب على عَصَبة[٣٩] مَن قَتل قتلا خطأ دية القتل الخطأ، تؤدى لأهل القتيل تعويضا منه عن الضرر الذي أحدثه إلا أن يبرئ أولياء الهالك عصبة القاتل من الدية ويتصدقوا بها ويعطوهم إياها.

﴿وَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰ أَهْلِهِ إِلَّا أَن يَصَّدَّقُوا﴾. النساء [٩١]

قال ابن العربي رحمه الله عند بيان الاحكام المتعلقة بهاته الآية: "المسألة السابعة: "ودية مسلمة إلى أهله" أوجب الله تعالى الدية في قتل الخطأ جبرًا".[٤٠]

فقوله: "جبرًا" يقتضي أمرين:

أن الدية تجبر التقصير الحاصل من لدن القاتل الذي أدى إلى إزهاق نفس غيره خطأ من غير قصد.

أن دفع الدية من طرف عاقلة القاتل وعصبته الغرض منها جبر الضرر الذي لحق بأهل الهالك جراء هلاكه عن طريق الخطأ، ومواساتهم في الفقد والمصيبة التي ألمت بهم.

وكلا المعنيين يتحققان من خلال دفع المتسبب في الهلاك وأهله الدية لأهل الميت خطأ، فالجبر حاصل للمحلين معا، فالدية كما وجبت زجرا عن التقصير والحذر في جميع الأمور فإنها وجبت جبرًا للضرر والخطأ ومواساة أهل القتيل مواساة محضة كما أفهمه كلام العلامة ابن العربي -آنفا-

وغيره.[٤١]

يقول إبراهيم أبو رحمه: "ليس المقصود بالتعويض مجرد إحلال مال محل مـال، بل يدخل في الغرض منه المواساة، إن لم تكن المماثلة، ومن أظهر التطبيقات على ذلك الدية والأرش، فليس أحدهما بدلاً عن مال ولا عما يقوم بمال"[٤٢]

وفي التفسير الوسيط: "والتعبير عن أداء الدين بقوله مسلمة إلى أهله يومئ إلى وجوب حسن الأداء بأن تسلم هذه الدية إلى أسرة القتيل بكل سماحة ولطف جبرا لخاطرها عما أصابها".[٤٣]

ولذلك فمتى وجـدوا من أنفسهم قوة على التحمل للضرر أو مواساة لأنفسهم وآثروا أن يتصدقوا بتلك الدية كان لهم ذلك؛ لأنها حق لهم صرف للمواساة وجبر الخواطر والانكسار الحاصل جراء الفقد، فيجوز لهم التصرف فيها على النحو المرضي المشروع قبضا أو إعطاء.

وفي هذا المعنى يقول صاحب الفقه المنهجي على مذهب مالك :"..لأن الله تعالى شرعها حقًا للعبد، وتسوية للعلاقات الإنسانية أن لا يتهددها الضغائن والأحقاد، فإذا عفا صاحب الحق عن حقه؛ فذلك هو الأفضل".[٤٤]

يقول الامـام الطبري رحمة الله عليه:" والتصدق: الإعطاء. يعني إلا أن يبرئ الأولياء ورثة المقتول مما أوجب الله لهم من الدية عليهم ... - ويضيف – وأما الكفارة التي هي لله تعالى فلا تسقط بإبرائهم؛ لأنه أتلف شخصا في عبادة الله سبحانه فعليه أن يخلص آخر لعبادة ربه، وإنما تسقط الدية التي حق لهم".[٤٥]

ومن المعاني العظمى في باب جبر المكسور ومواساة جرحى الأنفس ولَمِ تصَدع العواطف وانفطار المشاعر، والتي حري بها أن تُتدبر وتتأمل ويُدرك كنهُها، اسم الله تعالى الجبار.

فإن الله تعالى قد جعل من أعظم أسمائه وأجل صفاته الجبار،

M الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ L الحشر [٢٣]

فإنه تعالى جابر كل كسير، ومغني كل فقير، وميسر على المعسر كل عسير، فيجبر أحوال عباده ويصلحها، فيرمم كسرهم، وتلتئم برحمته جراحات عواطفهم ومشاعرهم.

يقول أبو هلال العسكري في بيان معنى اسم الله الجبار: "وقال ابن عطاء: الجبار في أسماء الله تعالى جل اسمه بمعنى أنه يجبر الكسر".[٤٦]

وفي مفاتيح الغيب يقول الإمام الـرازي ما نصه: "وأما الْجَبَّارُ ففيه وجوه. أحدها: أنه فعال من جبر إذا أغنى الفقير، وأصلح الكسير. قال الأزهري: وهو لَعمري جابرُ كل كسير وفقير، وهو جابر دينه الذي ارتضاه. قال العجاج: قد جبَر الدينَ الإلهُ فجبر".[٤٧]

يريد بذلك: قد أصلح الدينَ الإلهُ فصلح.

ومنه كذلك: قول الشيخ رشيد رضا: "والجبار من أسماء الله تعالى فيه معنى العظمة والقوة والعلو على خلقه، وكونه لا يمكن أن يناله أحد بتأثير ما، ومعنى جبر القلب الكسير، وإغناء البائس الفقير".[٤٨]

فهاته المعاني الجليلة في ذلك الاسم العظيم حري بها أن يتمثلها العباد، ويتصف بها الافراد،

فيجبر بعضهم كسر بعض، ويواسي بعضهم بعضًا، غير أن الرحمة والعطف والمواساة صفة عزيز تشق على أولي الأنفس القاسية والقلوب العاتية الذين يستهينون بكل الجروحات النفسية والأضرار الأدبية المعنوية ولا يرفعون بها رأسا ولا يلقون لها بالا وإنها لفي عرف الشرع لضرر عظيم، وحسبك ما شرع جزاء عنها وعقوبة لها.

ولما كان في علم الله تعالى أن الاتصاف بتلك الصفات الحميدة ليست في مقدور كل البشر، وليس كل عباده مؤهلا لتحققها فيه لموانع تمنعهم من ذلك ولمرض في قلبهم وضعف في أنفسهم كالأنا وحب الذات وغياب مبدأ الاخوة والرحمة والشعور بالآخر، أوجب الله تعالى بعضَ ما يمكن أن تنجبر به القلوب، وترمم به العواطف، وتتسوى به العلاقات الإنسانية ولا تتقوض.

خاتمة:

إن الشريعة الإسلامية بغض النظر عن كونها صانت الأعراض والأنفس، فإنها قد حفظت على أهلها مشاعرهم وأعراضهم وعواطفهم من الانكسار، ومنعت كل ما من شأنه أن يعرضها للتصدع والانفطار، وحري بها ذلك!

فهي شريعة الرحمة والعدل، فإنها رحمة كلها وعدل كلها وحكمة كلها.

يقول الإمام ابن قيم الجوزية رحمه الله: "...فإن الشَّريعة مبناها وأساسها على الحكم ومصالح العباد، فِي المعاش والمعاد، وهِي عدل كلها، ورحْمة كلها، ومصالح كلها، وحِكمة كلها، فكل مسأَلة خرجت عن الْعدل إِلى الْجور، وعن الرحْمة إِلى ضدها، فليست من الشريعة، وإِنْ أُدخلتْ فِيها بالتأويل، فالشريعة عدل الله بين عباده، ورحمته بين خلقه.(٤٩)

وإنه لمما يأباه العقل الصحيح ويرفضه الفكر الرجيح وترده الفطرة السليمة اجتماع الرحمة والعدل مع الضرر؛ لذلك كانت الشريعة الإسلامية شريعة أساسها ألا تخافي ولا تحزني، شريعة يستحق فيها الجنةَ مَن سقى كلبًا، فكيف بمن صان قلبا؟

الحواشي

(١) في ظلال القران للسيد قطب ص٢٨٨٠ ج٥ / ط١٠ دار الشروق ١٩٨٢م

(٢) صفوة التفاسير لمحمد علي الصابوني ص٤٩٠ ج٢ ط٢ دار الفكر ١٩٩٨م

(٣) رواه الدارقطني – وغيره - في سننه كتاب في الاقضية والاحكام باب في المرأة تقتل إذا ارتدت ح٣٩٧٧ ط. الأنصار سنة ١٣٠٦هـ

(٤) الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية للجوهري ص٦٧٦ ط. دار الحديث القاهرة .٢٠٠٩م

(٥) تقريب معجم مصطلحات الفقه المالكي للدكتور عبد الله معتصر ص٨٦ ط١ سنة ٢٠٠٧ دار الكتب العلمية بيروت - لبنان

(٦) نفسه

(٧) فيض القدير شرح الجامع الصغير للمناوي ص٤٣١ ج٦ ط٢ دار المعرفة

(٨) نظرية الضمان لوهبة الزحيلي ص ٢٣ ط٢ ١٩٩٨م دار الفكر دمشق

(٩) نظرية الضمان في الفقه الإسلامي العام، محمد فوزي فيض الله ص٩٢ مكتبة التراث، الطبعة١ الكويت، ١٤٠٣هـ

(١٠) المعاملات المالية المعاصرة لدبيان بن محمد الدبيان ص٤٨٣ ج٥ ط٢. مكتبة الملك فهد ١٤٣٢ه

(١١) مذكرة تأصيلية على أساس الفقه الإسلامي لأحمد

الزرقا ج١ ص٦

(١٢) المسؤولية المدنية والجنائية في الشريعة الإسلامية لمحمود شلتوت ص ٣٥ ط جامعة الأزهر

(١٣) المذكرة الإيضاحية في القانون المدني الأردني لإبراهيم أبو رحمه مطبعة التوفيق ط٢ عمان ١٩٨٥م

(١٤) الفعل الضار للدكتور مصطفى الزرقا ص١٢١-١٢٤

(١٥) صحيح ابن حبان ٥٢١/١ مؤسسة الرسالة، بيروت. المستدرك للحاكم ٧٠٠/٣ ط. دار الكتب العلمية.

(١٦) البنوك التشاركية الإسلامية بالمغرب لعبد الله بن الطاهر ص١٤٤ بتصرف يسير ط١ مطبعة النجاح ٢٠١٨م

(١٧) تقريب معجم مصطلحات الفقه المالكي لعبد الله معتصر ص٨١

(١٨) الحاوي الكبير للماوردي ص٩٧٦ ج٩ ط. دار الفكر

(١٩) البهجة في شرح التحفة للتسولي ص٤٥٨ ج١ ط. دار الفكر

(٢٠) الفقه الإسلامي وادلته للزحيلي ص٢٨٩ ج٧ ط٣. دار الفكر – دمشق ١٩٨٩م

(٢١) تفسير المنار ص١٠ ج٥ ط. الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٠م

(٢٢) الفواكه الدواني للعلامة النفراوي ص٥٦ ج٢ ط دار الرشاد الحديثة ٢٠١٣م

(٢٣) تقريب معجم مصطلحات الفقه المالكي لعبد الله معتصر ص١١٧ ط. دار الكتب العلمية

(٢٤) الاستذكار لابن عبد البر ص١٢٠ ج٦ باب ما جاء في متعة الطلاق ح. عبدالمعطي قلعجي ط١ دار قتيبة ١٩٩٣م

(٢٥) صفوة التفاسير للصابوني ص١٢٨ ج١ ط. المكتبة العصرية ٢٠١٩م

(٢٦) في ظلال القران سيد قطب ص٢٥٧ ج١

(٢٧) أحكام القران لابن العربي ص٢٩١ ج١ ح. عبد القادر عطا ط. دار الكتب العلمية

(٢٨) أحكام القران لابن الفرس ص٣٥٨ ج١ ح. طه علي. ط١. دار ابن حزم ٢٠٠٦م

(٢٩) المسالك في شرح موطأ مالك لابن العربي ص٦١٢ ج٥ ط١. دار الغرب الإسلامي ٢٠٠٧م

(٣٠) صحيح الامام البخاري باب الضرب بالجريد والنعال ح ٦٤٢٤ دار طوق النجاة ط٢ ١٤٢٢ه

(٣١) سنن أبي داود باب المرأة التي امر النبي صلى الله عليه وسلم برجمها ح ٣٩١٤

(٣٢) أخرجه البخاريُّ في كتاب الإيمان ح٢٢،

(٣٣) الفقه الميسر لعبد الله الطيار ج١٠ ص٣٠ ط. مدار الوطن للنشر

(٣٤) أحكام القران لابن العربي ص٣٤٠ ج٣ ح عبد القادر عطا ط.٣ دار الكتب العلمية ٢٠٠٣م

(٣٥) أضواء البيان لمحمد الأمين الشنقيطي ص١٠٣ ج٦ ط. دار عالم الفوائد

(٣٦) نفسه ص١١٤ ج٦ د

(٣٧) أضواء البيان لمحمد الأمين الشنقيطي ص١٠٢ ج٦

(٣٨) تقريب معجم مصطلحات الفقه المالكي لعبد الله معتصر ص٦٥ بتصرف

(٣٩) المراد بالعصبة: الأقرباء من جهة الأب. ومن رحمة الله أنه لم يجعل إيجاب الدية في مال الجاني لأنه يضر به، فجعلت على العاقلة مواساة للقاتل وتخفيفًا عنه؛ لأنه معذور.

(٤٠) أحكام القران لابن العربي ج١ ص٦٠٠

(٤١) الجامع لاحكام القران للطبري ج٧ ص١١ ح عبد الله بن عبد المحسن التركي ط١. مؤسسة الرسالة٢٠٠٦م

(٤٢) المذكرة الإيضاحية في القانون المدني الأردني لإبراهيم أبو رحمه ط٢ التوفيق عمان ١٩٨٥م

(٤٣) التفسير الوسيط للقران الكريم لمحمد سيد طنطاوي ج٣ ص٢٥٨ ط. دار نهضة مصر

(٤٤) الفقه المنهجي على مذهب مالك مُصطفى الخِنْ، مُصطفى البُغا، علي الشّرْبجي ج٨ ص٤١ ط٤. دار القلم ١٤١٣ هـ - ١٩٩٢ م

(٤٥) نفسه ص٢٤-٢٥

(٤٦) الفروق اللغوية للعسكري ص٢٤٧ ح محمد إبراهيم سليم ط. دار العلم والثقافة

(٤٧) مفاتيح الغيب للرازي ج٢٩ ص٥١٣ ط. دار إحياء التراث العربى

(٤٨) تفسير المنار للشيخ رشيد رضا ج٦ ص٢٧٣ ط الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٠م

(٤٩) إعلام الموقعين لابن قيم الجوزية ٣ج ص ١٤ – ١٥ ح. مشهور بن حسن ط. دار ابن الجوزي

قائمة المصادر

القرآن الكريم

- أحكام القران لابن العربي المعافري الأندلسي ح. عبد القادر عطا ط. دار الكتب العلمية.
- أحكام القران لابن الفرس ح. طه علي. ط١. دار ابن حزم ٢٠٠٦م
- أضواء البيان لمحمد الأمين الشنقيطي ط. دار عالم الفوائد
- إعلام الموقعين لابن قيم الجوزية ح. مشهور بن حسن ط. دار ابن الجوزي
- تاج اللغة وصحاح العربية للجوهري دار الحديث القاهرة ط.٢٠٠٩م
- تفسير المنار لرشيد رضا ط. الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٠م
- تقريب معجم مصطلحات الفقه المالكي لعبد الله معتصر ط١ سنة ٢٠٠٧ دار الكتب العلمية بيروت - لبنان
- مذكرة تأصيلية على أساس الفقه الإسلامي لأحمد الزرقا
- مفاتيح الغيب للرازي ط. دار إحياء التراث العربى
- نظرية الضمان لوهبة الزحيلي ط٢ ١٩٩٨م دار الفكر دمشق
- نظرية الضمان في الفقه الإسلامي العام، محمد فوزي فيض الله مكتبة التراث، الطبعة١ الكويت، ١٤٠٣هـ
- صحيح الامام البخاري باب الضرب بالجريد والنعال دار طوق النجاة ط/. ١٤٢٢هـ
- صحيح ابن حبان مؤسسة الرسالة، بيروت - لبنان
- صفوة التفاسير لمحمد علي الصابوني ط٢ دار الفكر ١٩٩٨م
- صفوة التفاسير للصابوني ط. المكتبة العصرية ٢٠١٩م
- في ظلال القران للسيد قطب ط١٠ دار الشروق ١٩٨٢م
- فيض القدير شرح الجامع الصغير للمناوي ط٢ دار المعرفة
- سنن الدارقطني كتاب في الاقضية والاحكام باب في المرأة تقتل إذا ارتدت ط. الأنصار سنة ١٣٠٦هـ
- الاستذكار لابن عبد البر باب ما جاء في متعة الطلاق ح. عبدا لمعطي قلعجي ط١ دار قتيبة ١٩٩٣م
- البنوك التشاركية الإسلامية بالمغرب لعبد الله بن الطاهر ص١٤٤ بتصرف يسير ط١ مطبعة النجاح ٢٠١٨م
- البهجة في شرح التحفة للتسولي ط. دار الفكر
- التفسير الوسيط للقران الكريم لمحمد سيد طنطاوي ط. دار نهضة مصر
- الجامع لاحكام القران للطبري ح عبد الله بن عبد المحسن التركي ط١. مؤسسة الرسالة٢٠٠٦م
- الحاوي الكبير للماوردي ط. دار الفكر
- المذكرة الإيضاحية في القانون المدني الأردني لإبراهيم أبو رحمه مطبعة التوفيق ط٢ عمان ١٩٨٥م

- المعاملات المالية المعاصرة لدبيان بن محمد الدبيان ط٢. مكتبة الملك فهد ١٤٣٢ه
- المسالك في شرح موطأ مالك لابن العربي ط١. دار الغرب الإسلامي ٢٠٠٧م
- المسؤولية المدنية والجنائية في الشريعة الإسلامية لمحمود شلتوت ط جامعة الأزهر
- الفروق اللغوية لابي هلال العسكري ح محمد إبراهيم سليم ط. دار العلم والثقافة
- الفقه الإسلامي وادلته للزحيلي ط٣. دار الفكر – دمشق ١٩٨٩م
- الفقه الميسر لعبد الله الطيار ط. مدار الوطن للنشر
- الفقه المنهجي على مذهب مالك مُصطفى الخنْ، مصطفى البُغا، علي الشّرْبجي ط٤. دار القلم ١٤١٣ هـ - ١٩٩٢
- الفواكه الدواني للعلامة النفراوي ط دار الرشاد الحديثة ٢٠١٣م

ما تَبَقَّى من شِعْرِ أبي بكر بن المُنَخَّل الشِّلْبِيّ "جمع ودراسة"

د. محمد محجوب محمد عبد المجيد
جامعة أم درمان الإسلامية
السودان

شهدت بلاد الأندلس في منتصف القرن السادس الهجري تحولا وانتقالا كبيرين، إذ أفل نجم دولة المرابطين وبزغت شمس دولة الموحدين، ومع أن الدولتين قامتا على مبدأ ديني، هو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، لكن- مع ذلك-كانت الدولة الموحدية أرسخ قدما، وأطول زمنا، وأقوى تأثيرا في بلاد الأندلس.

لا شك أن هنالك شعراء كانوا شاهدي عيان على العصرين المرابطي والموحدي بالأندلس، وربما قالا فيهما شعرا، ومنهم شاعرنا ابن المنخل الشلبي، وحقا أنه لم يصلنا له شيء في مدحه المرابطين إلا أنه - دون شك- كان مشاركا في الحياة الثقافية، فضلا عن الحياة السياسية، إذ كان - كغيره من الشلبيين- كارها للدولة المرابطية، ناقما عليها، مشاركا في الثورة ضدها سواء بالقول أو بالفعل، فقد كان وزيرا في حكومة ابن المنذر المؤيد لثورة ابن قسي الثائر على سلطة المرابطين.

ويأتي عصر الموحدين فكان ابن المنخل أحد الشعراء البارزين الذين مدحوا خليفة الموحدين عبد المؤمن بن علي وابنه يوسف، ووثق الأحداث التي صاحبتهما لدرجة غدا فيها شعره وثيقة تاريخية مهمة لأهم أحداث الأندلس على أيام الموحدين الأولى. وعلى الرغم من قيمته الأدبية والتاريخية لم يجد شعره حظه من الدرس والنقد. ولعل هذا ما حفزنا- بعد التعريف به وبمكانته الأدبية- إلى جمع ما تبقى من شعره ودراسته دراسة فنية.

حياته:

هو أبوبكر محمد بن إبراهيم بن عبد الله بن المُنَخَّل[1] المَهْرِي[2] من أهل شِلْب[3]، ولا نعرف على وجه اليقين تأريخ مولده، وإن كنا نظن أنه ولد ما بين العقدين السابع والثامن من القرن

الخامس الهجري، والذي يدفعنا لهذا الاعتقاد أن له شعرا[٤] قاله وهو في السابعة والسبعين من العمر، وفيه يشكو من الكبر، وينتظر فيه الموت ويسأل عن قدومه. وأكبر الظن أنه لم يعش بعده طويلا، فإذا كانت وفاته سنة ٥٦٠هـ[٥]، فالغالب - والله أعلم- أنه قد ولد في حدود سنة ٤٨٠هـ[٦].

وليس بين أيدينا شيء عن سنيه الأولى أو مكانته الاجتماعية أو أسرته باستثناء أنه عربي الأرومة كما يفصح نسبه المهري، وأن له ابنا اسمه عبد الله[٧] كان شاعرا مثله[٨]. فالضباب لم يلف حياة ابن المنخل وحده، بل أغلب معاصريه، يقول عبد الهادي التازي إن "معظم معاجم رجال العصر الموحدي ظلت صامتة اللهم إلا ما كان من ابن الأبار"[٩] الذي ترجم له ترجمة مبتسرة.

أكبر الظن أنه كان من عامة الشلبيين وأنه - كعادة المجتمع الأندلسي وقتئذ- اختلف إلى حلقات التعليم لتلقف المعارف الأساسية من علوم اللغة والدين الإسلامي الحنيف. ويبدو أن نفسه كانت مهطعة للعلم والمعرفة، فإلى جوار ما ناله من علوم طفق - على غير عادة أهل الأندلس- يدرس علم الكلام، بل ويشارك فيه.[١٠] ويبدو أنه حذقه كما يفهم من أبيات[١١] قالها له صديقه ابن المنذر[١٢]، ونستخلص من هذا الخبر أنه كان متوقد الذهن، ثاقب النظر، قوي الحجة، قادرا على الجدال، وغيرها من الصفات التي يحتاجها دارس علم الكلام.

ويبدو أنه كان صاحب مكانة كبيرة في مجتمع مدينته شلب فإلى جوار مكانته الأدبية كانت له مكانة اجتماعية مرموقة لدرجة أن ابن المنذر عامل ابن قسي بشلب استوزره مدة من الزمن[١٣]، ولعل هذا ما دفع المرحوم محمد عبد الله عنان إلى القول "إن ابن المنخل كان من أدباء المريدين- اتباع ابن قَسِيّ- وشعرائهم، وقال إنه انضم إلى الدعوة الموحدية بعد انهيار ثورة المريدين"[١٤] وتبعته في هذا الرأي الأستاذة الدكتورة عصمت دندش فوصفته بأنه "شاعر المريدين ووزير ابن المنذر وكاتبه"[١٥]، ولم تقف عند هذا الحد، بل ذهبت إلى أبعد من ذلك، فقالت "إن جزالة شعره كانت خير عون لابن قسي" والأمر غير ذلك إذ لم يصفه أحد ممن ترجم له بأنه كان شاعر المريدين، أو أنه عضد بشعره أطروحة ابن قسي[١٦]، وحقا أنه وزر لابن المنذر صاحبه مدة من الزمن لكن ليس إيمانا منه بصدق ما يقوله ابن قسي، بل لأن - في الغالب- ابن المنذر ألحَّ عليه بحكم الصداقة التي تجمعهما، ولما يعرفه عنه من كفاءة ورجحان العقل وغيرها من الصفات التي تتوافر لأصحاب هذا المنصب، أو ربما قبل صاحبنا-ابن المنخل- لأنه كان- كغيره من أهل شلب - يضطغن على المرابطين، وأنه مثلهم وجد أن ثورة ابن قسي ربما تزيح وجههم البغيض عن شلب. فضلا عن ذلك أنه يستحيل عقلا ومنطقا ألا يدرك ابن المنخل-الدارس لعلم الكلام - بعقله الواعي أن ابن قسي مدع، وأنه "صاحب حيل ورب شعبذة"[١٧] ومخاريق، إذا نحن نطمئن تمام الاطمئنان إلى أنه لم يكن شاعرا لمريدي ابن قسي.

ونقدر تقدير الظن أنه كان مشاركا في الحياة السياسية إلى حد ما، ففضلا عن وزارته لابن المنذر كما مر سابقا، وجدناه ضمن الوفد الكبير الذي وفد على والي إشبيلية يوسف بن عبد المؤمن بن علي سنة ٥٥٢هـ مباركا انتصاره

على الوهيبي بطبيرة، يقول ابن عذاري"وقد وفد عليه أشياخ بني وزير وفي جملتهم الشاعر الأديب ابن المنخل "وقال في ذلك شعرا"[١٨] وكأنه غدا- كما نقول بلغة هذا العصر- المتحدث الرسمي باسمهم . وعندما نزل عبد المؤمن بن علي أمير الموحدين بجبل الفتح- جبل طارق- كان أحد الشعراء الذين مدحوه. وعندما أقرَّ أبو سعيد عثمان بن عبد المؤمن بأحقية أخيه يوسف ابن عبد المؤمن بالخلافة الموحدية فبايعه بذلك كان شاعرنا أحد الذين حضروا هذه اللحظة التاريخية بجبل طارق سنة ٥٦٠هـ وكان وقتها شيخا مسنا كما يصفه ابن صاحب الصلاة[١٩]

ومهما يكن من الأمر فقد نزل شاعرنا بجبل الفتح مرتين، الأولى لمدح عبد المؤمن بن على، والثانية للترحيب بمبايعة عثمان بن عبد المؤمن لأخيه الخليفة يوسف، ولعل هذا يدحض ما قاله عنه المرحوم عمر فروخ بأنه "انتقل إلى إفريقية واتصل بالموحدين منذ قيام دولتهم"[٢٠] ونلاحظ أن كل الأحداث المهمة المرتبطة بمدينة شلب على عهدي المرابطين والموحدين كان شاعرنا مشاركا فيها.

أما وفاته فيقول ابن الأبار أنه توفي في حدود سنة ٥٦٠هـ[٢١]، بينما جعله الذهبي في خاتمة وفيات سنة ٥٦٠هـ[٢٢]، معلقا أنه - ومن ذكرهم معه- مالم يتحقق من تاريخ وفاتهم.[٢٣] ولعل هذ ما دفع صلاح الدين الصفدي[٢٤] إلى القول إن وفاته كانت في عشر الستين وخمسمائة أي ما بين (٥٦٠- ٥٦٩ هـ) دون تحديد دقيق. إن أخبار ابن المنخل ضنينة بصورة لا تجعلنا نرسم له شخصية واضحة المعالم، بينة القسمات

أخلاقه وصفاته:

ثمة إجماع - وما أقله- من المؤرخين له على أنه كان "جيد الضبط، صاحب صلاح وخير"[٢٥]، ونستخلص من قليل الأخبار التي عندنا، والمساجلات الشعرية التي بينه وبين أقرانه، أو التي خلعها على ممدوحيه أن أهم صفاته إلى جوار الصلاح والخير، الوفاء للأصدقاء، وخير شاهد على ذلك موقفه من ابن المنذر صديقه الذي نكبته الأيام، وضاقت عليه الأرض برحابتها، وأفضت به إلى سَمْلِ عينيه، يقول ابن المنذر مخاطبا إياه:

طلبتَ عزيزًا لا يُنال فإن يَكُنْ

فإنّ أبا بكرٍ بذاك جديرُ[٢٦]

رضيتُ به حَظًّا من النّاسِ كُلهمْ

فما بعدَه حُرٌّ إليه نشيرُ

يظل ابن المنخل وفيا لصاحبه حتى إذا اخترمته المنية بكاه بكاء حارا. ومن جليل صفاته التي تدل على صحة النفس، وسلامة الوجدان، ويقظة الضمير، والارتباط بالوطن الصغير شلب والتعلق به حثه للخليفة الموحدي[٢٧] على استعادته من أيدي ابن الرنك كما سيأتي فيما بعد.

الواضح أن ابن المنخل كان شخصية مرموقة في المجتمع الشلبي، فالولاة يشكون له غدر الزمان استجارةً به (الوالي ابن المنذر)، والأدباء يعرضون عليه شعرهم إجازةً له (ابن سكن الشلبي)[٢٨]، فضلا عن مشاركته الفاعلة في كل أفق من آفاق الحياة، سياسيا بوصفه متحدثا عن مدينته في لقائهم بوالي إشبيلية، واجتماعيا في مشاركته الآخرين، فرحهم(كتهنئة لمولود)[٢٩]

وحزنهم(كرثاء ابن المنذر)[٣٠]

شعره:

سبق أن أشرنا من قبل إلى أن ابن المنخل عاش زمنا طويلا يمكننا وصفه بمخضرم دولتي المرابطين والموحدين، وأكبر الظن أنه قال فيهما شعرا كثيرا لدرجة أن أصبح له ديوان شعر، يقول ابن الأبار "قال لي: ابن سالم وقد رأيت هذين البيتين-ذكرهما- في ديوان شعر ابن المنخل"[٣١] ويقول في موضع ثان إن شعره مدون"[٣٢] ويؤكد المراكشي ذلك قائلا إن شعره كان مدونا"[٣٣] ويبدو أنه كان ذائع الصيت لدرجة أن له راوية"[٣٤] يقول ابن الأبار "إن عبد الله بن أحمد الشلبي[٣٥] صحب ابن المنخل وروى عنه بعض شعره"[٣٦]. ولعل هذا يدفعنا للتساؤل عن أسباب تفسر لنا قلة الشعر الذي بين أيدينا وأسباب ضياع ديوانه. من السهل علينا أن نقول إن عوادي الزمن وغائلة الأيام كانت وراء ذهاب ديوانه، لكن الواضح أن ثمة أسبابا منطقية قد تكون صالحة لتفسير ذلك، منها، ما هو مرتبط بالظروف السياسية التي عاشتها الأندلس لاسيما في فترة الصراع ما بين المرابطين والموحدين الأمر الذي جعل المؤرخين ينصرفون إلى الأحداث السياسية والتركيز عليها، حتى من أهتم بقضايا الشعر مال إلى الاقتضاب المخل لذلك تجد التراجم موجزة لدرجة بعيدة، ثاني الأسباب وقد يكون أكثرها وجاهة أن شلب -مدينة الشاعر- كانت بعيدة جدا عن مراكز الأندلس اللامعة ثقافيا وسياسيا كإشبيلية أو قرطبة، ويبدو أن ابن المنخل كان رهين مدينته لم يكن ليفارقها إلا قليلا، ولعل هذا ما أخمل ذكره[٣٧]، إذ لم نجد له ذكرا بين مؤرخي الأدب في العصر المرابطي وإنما عند مؤرخي العصر الموحدي، فلو كان ذائع الصيت لاحتفظ المؤرخون بديوانه، أو بقطاع عريض من شعره.

ومهما يكن الأمر فالواضح أن ابن المنخل كان شاعرا مشهورا بمدينة شلب، وأن شعره أو ديوانه ظل حبيس مدينته لم يكد يتعداها إلا قليلا، وأنه ضاع كما ضاع كثير من دواوين الشعر الأندلسي.

مصادر شعره:

كان ابن الإمام الإستجي (ت: ٥٦٠هـ) هو أول من ذكر لنا الشاعر ابن المنخل في كتابه المقتضب، لكن - للأسف الشديد- لم يقل شيئا ذا بال، اللهم إلا كلاما مسجوعا لا يسمن ولا يغني من جوع، ونتعجب منه وهو ابن مدينته ومعاصره وقد رآه بأم عيني رأسه ألا يذكر له شعرا.

يعد ابن صاحب الصلاة (ت: ٥٩٥هـ) ثاني من عرف بصاحبنا الشاعر، وهو أكثر من ذكر له شعرا ووثقه بالأحداث التاريخية التي قيل فيها، ولعل من حسن الحظ أن ابن صاحب الصلاة كان حاضرا للأحداث وشاهدا عليها، ولولا طبيعة كتابه القائمة على ذكر الأحداث التاريخية ودعمها بالشعر والنثر لضاع شعر ابن المنخل والكثير من أخباره. فكان مجموع ما جمعه له -جزاه الله خيرا- ثمانية وتسعين بيتا.

أما صفوان بن إدريس (ت: ٥٩٨هـ) فقد جمع له أربعة عشر بيتا في زاد المسافر، وكان من الممكن أن يختار له أكثر من لك لكن طبيعة كتابه تحتم عليه الاقتضاب.

ما تَبَقَّى من شِعْرِ أبي بكرِ بنِ المُنَخَّل الشلبيّ "جمعٌ ودراسة"

وذكر له الشريشي (ت: ٦٢٠هـ) أبياته الدالية مع ابنه عبد الله في بـاب الإجـازة كما وهم في اسمه فأسماه ابن المبجل وأكبر الظن أنه تصحيف لحق بالتحقيق.

يعد ابن الأبار (ت: ٦٥٨هـ) أول من ترجم لحياته ونشأته وعرف به وبديوانه وراويته في كتابه التكملة، وذكر له بيتين من الشعر ثم ذكر له بيتا واحدا في تحفة القادم، لكنه جاء في الحلة السيراء فذكر له أربعة وعشرين بيتا في معرض حديثه عن الوزير ابن المنذر فكان مجموع ما ذكره له سبعة وعشرين بيتا.

كما اهتم به ابن سعيد (ت: ٦٨٥هـ) وذكر له أربعة أبيات في رايات المبرزين، وجاء فكرر بيتين منهما في المغرب، فكان كل ما ذكره له هو أربعة أبيات.

أما عبد الواحد المراكشي (ت: ٧٠٣هـ) فذكر له في الذيل والتكملة بيتين نقلهما كما نقل الترجمة بحذافيرها من ابن الأبار في التكملة. ويأتي بعده ابن عِذاري المراكشي (ت: بعد ٧١٢هـ) في البيان المغرب فينفرد بذكر ثلاثة أبيات مدح بها يوسف بن عبد المؤمن، كما ذكر له بيتين من قصيدته في مدح عبد المؤمن بن علي، فمجموعه خمس أبيات. أما الذهبي (ت: ٧٤٨هـ) فذكر له بيتين في تاريخ الإسلام.

وأما ابن ليون التجيبي (ت: ٧٥٠هـ) صاحب لمح السحر في روح الشعر فانفرد بذكر ثلاثة أبيات قالها صاحبنا في مولود اسمه قمر، وجاء فذكر له ثلاثة أبيات من حائيته التي مدح بها الخليفة يوسف بن عبد المؤمن، فمجموع ما ذكره لشاعرنا ست أبيات. وأما الصفدي (ت: ٧٦٤هـ) فذكر له بيتين وَهِمَ في نسبتهما له، والصحيح أنهما لابنه عبد الله. وأما المقري (ت: ١٠٤١هـ) في نفح الطيب فقد ذكر له البيتين اللذين وردا في معظم من ترجم له، أعني بيتيه في رثاء الذات، فضلا عن تكرار الأبيات التي وردت في قصته مع ابنه عبد الله كما مر سابقا، كما وَهِمَ فنسب له ثلاثة أبيات فائية هي في الأصل لمحمد ابن إبراهيم بن أبي الحسين من شعراء كتاب التشبيهات لابن الكتاني الطبيب (ت: ٤٢٠هـ).

موضوعات شعره:

تعددت الموضوعات أو الآفاق التي طوَّف فيها شاعرنا ابن المنخل الشلبي، وكان على رأسها- بحسب ما بين أيدينا من شعر- المديح، فله فيه ثلاث قصائد، اثنتان تناهزان المئة بيت، وثالثة بها مطلع غزلي من ثلاثة أبيات.

تعد بائيته التي مدح عبد المؤمن بن علي أطول قصائده إذ تصل إلى خمسين بيتا، وفيها يثني على خليفة الموحدين وقد خضد شوكة الخارجين بالمغرب ثم جاء إلى الأندلس ونزل بجبل طارق:

فَتَحْتُمْ بِلادَ الشّرْقِ فاعْتَمِدُوا الغَرْبا

فإنّ نَسِيمَ النّصْرِ بالفَتْحِ قد هَبّا[٣٨]

ونلاحظ أنه يهجم على المديح مباشرة دون توطئة أو تمهيد، ويبدأ- مخالفا المنطق الأرسطي- بالنتائج ثم يعطف بعد ذلك على المقدمات. ولعل كلمة "فتحتم" التي ابتدر بها قصيدته ذات دلالات عميقة لا سيما والمكان الذي أنشد فيه المدحة كما يقول ابن صاحب الصلاة هو جبل الفتح- كما سمَّاه عبد المؤمن بن علي بدلا عن

جبل طارق- واستخدام صيغة الماضي فتحتم- مع أن الأندلس وقتها لم تحرر بعد- يوحي بالتفاؤل والحبور، فضلا عن استخدام صيغة الجمع تعظيما للفعل(الفتح) ولفاعله (ابن عبد المؤمن). ما يلبث أن يحرضه على استكمال مشروعه الكبير بفتح الغرب(الأندلس)حتى يملك الأرض شرقا وغربا، ومع أن فتح الغرب لم يستكمل بعد ، إذ لا تزال هناك أماكن خارجة عن طاعة الموحدين إلا أن الحاضر وماحُقِّق فيه من نصر يوحي ببشرى نصر قادم لا محالة، قول:

أَصَرْتُم إليه الخَيلَ وهي أجَادِلٌ
فسَالَتْ بكم بَحْرًا وطَارَتَ بكم رَكْبَا
ودُسْتُم بها هاماتِ كُلِّ مُضَلِّلٍ
ولم تَتْرُكوا عُجْمًا هناك ولا عُرْبا
رمَيتُمْ بها مِثْلَ السِّهامِ فأصْبَحَتْ
كُماتُهُم صَرْعى وأمْوالُهُم نَهْبَا

ويقدم صورتين متقابلتين لأعداء الخليفة، الأولى قبل المعركة والثانية بعدها، يقول في الأولى:

أتَوْكُم يَجُرُّون الحَدِيدَ سَوَابِغا
كأنّهُمُ البَحْرُ الغُطَامِطُ قد عُبّا
وظَنُّوا- وفي الظّنِّ الجَهَالَةُ- أنّهم
يفلّون من أجنادِكَ الصّارِمَ العَضْبَا
فلَمّا تَلاقَيتُمْ وَبَيّنَتِ الوَغَى
تولّوْا وقد طَارَتْ قُلُوبهم رُعْبَا
أضَلّتْهُمُ البِيضُ الصّوارمُ والْقَنَا
فَكَانَتْ لهم رَفْعًا وكانُوا لها نَصْبَا
وقَادَتْهُمُ تلك السُّيوفُ إلى الرّدى
وما غَادَرَتْ سَهْلَ الْقِيَادِ ولا صَعْبَا
ورامُوا فِرَارًا والرِّمَاحُ تَنُوشُهُم
فما قطعوا فَجًّا ولا سَلَكُوا شِعْبَا
وخَرّوا جميعًا هَامدِين كأنّهُم
نَدَامى تَسَاقوا بينهم أكؤسَ الصّهْبَا

ويصور أعداء الموحدين وقد ذلت هاماتهم، وصرعت كماتهم، ونهبت أموالهم مع أنهم جاءوا مدججين بالسلاح، مؤازرين بالكثرة الكاثرة (البحر الغطامط)وظنوا- جهلا وتوهما- أن قوة سلاحهم ، وكثرة جندهم كافيتان لاستئصال شأفة الموحدين، ما لبثوا أن تفاجأوا بخير الأجناد قوة وشجاعة، فطارت قلوبهم، وكهمت سيوفهم، وتكسرت رماحهم، وطاشت سهامهم حتى إذا ولوا على أعقابهم مدبرين من هول الموت انتاشتهم سهام الموحدين فسقطوا هامدين.

ويقول في الصورة الثانية لقد انتهى بهم الأمر وقد غشتهم المنايا، وأصبحت رؤوسهم منحشرة بين الصخور، أو مغبرة في التراب، ولا تزال أجواء الموت تخيم على المكان حتى جاءت الريح، ريح بأس الخليفة فذهبت بمعظمهم، وتركت من تبقى منهم أسير أغلاله، وهذا جزاء كل من يزهى برأيه، ويتمادى في غروره، ويشق عصا الطاعة:

تَغَشّتْهُمُ سُودُ المنايا فأصْبَحَتْ
مَفَارقُهم تَغْشَى الجَنَادلَ والتُّرْبَا
وَهَبّت عليهم رِيحُ بَأسِكَ حَرْجَفًا
فما تَرَكَتْ نَبْعًا عَلَيهم ولاقَضْبَا

لقد حَكّمَتْ فيهم ظُبى الهنْدِ رَأيَـهُ

تُقَتّلهُم ضَـرْبًـا وتُـوسِـرُهُم سِرْبَا

وكانوا لهم جُنْـدًا فصاروا غَنِيمَةً

كذلك من يُـزْهَـى بـآرائه عُجْبَا

والواضح أن لابن المنخل مقدرة فذة على الانتقال من العام إلى الخاص دون أن تشعر بنبو أو جفوة، فبعد أن يمدح الخليفة الموحدي بنصره المؤزر يتسلل خفية فيحرضه على تحرير بلدته شلب من يد ابن الريق (أو ابن الرنك) الذي استبد بها:

أقيموا إلى ابْنِ الرّيْقِ بعد صُدُورها

وليس عليكُمْ أن تُـرى ضُـمّـرًا قُبّا

ويأخذ الصراع بين الموحدين وأعدائهم الإسبان عنده بُعْدًا دينيا، أو صراعا بين الإسلام والنصرانية، فها هو يناشد أمير المؤمنين الموحدين عبد المؤمن بن علي أن يستبيح حُرم النصارى الإسبان، وأن يكسر تماثيلهم، ويحطم صلبانهم :

ضَـمَـانٌ عليكُمْ أنْ تبيحُوا حَرِيمَهُ

وأن تكسروا فيها التّماثِيلَ والصّـلْبَا

ويشيد بجنود الخليفة ويشبههم بالأسود التي تمتص من شدة بأسها ما تمجه جراح الأعداء من دماء حتى إذا استحرَّ القتل، وأشتد أوار الحرب لاذت رغم شدتها وبأسها بالخليفة لتتحصن به، فهو قطب رحاهم، وركنهم الشديد، فالخليفة كالقلب وأجناده كالجسم:

ومـــن تَـــخِـذَ الآسَـــادَ عُدّةَ حَـــرْبِهِ

أعَـــدّ مُـــجَاجـــاتِ الـــكُلوم لـه شِرْبَا

يـلـوذُون في الهَيجَا بـــأرْوَعَ مَاجِدٍ

إذا دارت الهيجاءُ كـــان لها قُطْبا

وإنْ عَصَفَتْ رِيحُ الوغى أحْدَقُوا به

فكانوا لـــه جِسْـمًا وكـــان لهم قَلْبَا

وهو إذ يغالي في مدح الخليفة الموحدي لكنه مع ذلك ينسجم مع الثقافة الموحدية السائدة حينئذ والتي كانت تبالغ في تقدير الخليفة الموحدي لدرجة أنها تكسبه بعض القداسة، يقول فوزي عيسى إن الشعراء "كانوا يخلعون على الموحدين صفات المثالية في الحكم والتدين، وأنهم جددوا رسوم الدين، وأعادوا إليه شبابه الذي تولى"[٣٩]، يقول ابن المنخل:

وقد كـان هـذا الـدّيـنُ ولّـى شَبَابُه

فلما تـوَلّـى الـدّيـنُ لم يَعْدُ أنْ شَبّا

ومن الصفات التي جارى فيها ابن المنخل أنداده من الشعراء المعاصرين له "وصف الخليفة بنفاذ البصيرة وبعد النظر واستطلاع الغيب"[٤٠]:

ولـو عَـلِـمَ الـنّـاسُ الـخَـفِـيّـاتِ أمْـرَه

لما درسُـوا صُحْفًا ولا صَنّفُوا كُتْبَا

وفي ظل الحماسة التي بثها الموحدون في نفوس رعيتهم يبعث صاحبنا وقد امتلأت نفسه قوة وزهوا برسالة إلى ريموند ملك أرغون ينذره بما سيلقاه من جيش عرمرم يضيق به الأفق كثرة في العدد والعتاد:

فَـقُـلْ لابْـنَ رِيـمُـنْـد تـأهّـبْ لـغَـزْوَةٍ

يَسُدُّ عليكم جَيْشُها الأفْتَحُ السّهْبَا

ويختم مدحته قائلا إن العرب لم تعطِ الخليفة زمام قيادتها طائعة مختارة، بل لأنها رأت

الدعوة الموحدية وقد استحالت شهب هدى ترمي شياطين المارقين سواء من أعداء الوطن والدين(النصارى) أو أعداء الوطن (الخارجين عن الدولة)، ولايزال الخليفة يرمي بشرره نصرة لدينه، وحماية لرعيته حتى أذعن له الخارجون وأصبحوا فيما بعد أجناده:

فما أعْطَتِ الْعُرْبُ الْقَيَادَ طَوَاعَةً
ولا أسْمَحَتْ ودًا ولا أذْعَنَتْ حُبّا
ولكن رأتْ شُهْبَ الْهُدى مُسْتَنِيرةً
فخَافَتْ رُجُومًا من أسِنّتِه شُهْبَا
رأوا بك دَينَ الله كيف اعْتِزَازُه
وأنْتُمْ لَه حَرْبٌ فكانوا له حرْبَا

وله مدحة ثانية يهنئ فيها الخليفة أبا يعقوب يوسف بن عبد المؤمن وقد أصبحت الخلافة الموحدية خالصة له بعد أن بايعه أخوه أبو سعيد عثمان آخر أخوته المغاضبين، يقول ابن المنخل:

تَهْنَ الْخِلافَةُ أنْ جَلَوتَ صَبَاحَها
ومَدَدْتَ من نُورِ الهُدَى أوْضَاحَها[٤١]
وعَقَدْتَ عَقْدَك في الوفاءِ وَعَهْدَها
ووَصَلْتَ رَاحَك في العَلاءِ وراحَها
وَوَفَرْتَ من حُسْنِ السّياسَةِ حَظّها
فَحَمَيْتَ جانبها ورشت جناحها
صَدَقَتْ أمِيرَ المؤمنين فِرَاسَةٌ
لاحَتْ كضَوْءِ الصُبْحِ حين ألاحَها
لكنّها عَيْنُ اليَقِينِ بأنّها
قد أوْقَدَتْ بك للهُدى مِصْباحَها

ويفتتح القصيدة بتهنئة الخلافة إذ عهدت أمرها لمن جلا غيهبها بفلق الصباح، ومدها بنور الهدى، وعقدها بعقد الوفاء وحسن التدبير والسياسة، وحمى مربعها، وراش جناحها، فتقوت وتعضدت، هدى ووفاء وحماية.

وبعد أن يتخلص من التهنئة يتفرغ للخليفة ويشيد به وبجميل صفاته وجليل سجاياه. ويمدحه كرما وشجاعة، فالكرم هو سحابه الفياض، والشجاعة هو سلاحها الفتاك، فإذا أهلك الأعداءُ رعيته بريح العذاب أحياهم برياح الخير، فمثلما تبطش يد الخليفة بالأعداء تسخو برعيتها:

لم تَحْوِها حَتّى حَوَيْتَ فَضَائلا
شُدّتْ إليك نِطَاقَها ووشَاحَها
إنْ كانَتِ النّعماءُ كُنّ سَحَابَها
أو كانَتِ الْهَيْجاءُ كُنّ سِلاحَهَا
إنْ أهْلَكَ الأعْداءَ رِيحُ عذابها
بعَثَتْ لأحْياءِ العُفَاةِ رِيَاحَها

ويقول إن الخلافة ظلت شرودا زمنا طويلا حتى إذا جاء الخليفة الموحدي استقرت في رحابه متناسية شرودها تاركة جموحها، وكأن المقام قد طاب لها في حماه. ويقول إن خلقه الكريم أفحم الشعراء والخطباء فلم يَجِيرُوا جوابا:

شَرَدَتْ زَمَانًا عن أكُفِّ مَعَاشِرٍ
نَسِيَتْ لديك شُرُودَها وجِمَاحَها
قَامَتْ وقد حَمِدَتْ إليك مَقَامَها
وَزَكَتْ فلم تَطْلُب إليك سَرَاحَها
قَامَتْ خَلائقُك الكِرامُ بَوصْفِها

طَـوْرَ المديحِ فَـأفْحَمَتْ مُـدّاحَـهـا
رَدّتْ على الخُطَباءِ والشُّعراءِ في
حَـوْكِ الـكلامِ فَعَطّلَتْ أمْدَاحَها

ولا اعتقد "أن شاعرا شرقيا استطاع أن يشخص الفضائل ويصورها مثلما صورها ابن المنخل" كما مر في الأبيات السابقة. ما يلبث أن يقول إنه وعلى الرغم من فرحته بالنصر الموحدي إلا أن ثمة مرارة لازالت تعتريه، فموطنه الصغير شلب لا يزال رهين الاعتقال:

إنّ الأعـادي لاتَـزَالُ كـعهـدها
تُـورِي بِـشِـلْـبَ مَـغَـارهـا وكِفَاحَها
قـد غَيّضَتْ أنْـهَارَها وَتَـحَـرّقَـتْ
أشَـجْـارَهـا وتَـكـفّـأتْ أقْـدَاحَـهـا

ويصور بدقة ما حاق بأهل شلب، فالماء عصب الحياة قد غاض، والشجر سبيل العيش تحرقت أوراقه، والقدح أداة الكرم والعطاء انكفأ بؤسا وفقرا ومسغبة، لقد فقدت شلب حياتها وعيشها وكرمها الفياض، فما الذي تبقى لها.

وينتقل بعد هذه الصورة القاتمة ببراعة إلى صورة يملؤها الأمل والرجاء، فيقول إن كان أعداؤها-أعداء شلب- قد غلّقوا ماحولها فإن الخليفة الموحدي أبا يعقوب مفتاح لكل مغلق، ومبيد لكل طاغية:

مـا ضَـرّنا إنْ غَـلّقُـوا مـا حولها
إن كـان سَـيْـفُـك بعدها مِفْتَاحَها
وأنـا الـزّعِـيـمُ إذا أشَـرْتَ بلحظةٍ
أنْ تَـسْـتَـرِدّ عِـداءَهـا وطِـمَـاحَـهـا
فعلى سيُـوفِـك أنْ تَـبِـيـدَ كُـمـاتَـه
وعلى جُيوشِكَ أنْ تُـرَوّح سَاحَـها

وبعد أن يخلص من تحريضه للخليفة وحثه على استعادة شلب نراه يشكو الليالي التي برحته ومنعته وصاله للخليفة وهو به راغب، ولاتزال الليالي والنائبات تصده حتى كادت نفسه تضيق وروحه تتلف، مايلبث أن يستجيب له بعد مشقة ولأي دهره الكنود فيزيح عنه المنغصات:

أشْـكُـــو إليك مِـــنَ اللّيالي إنّـــها
قد أبْرَحَـتْ بِظَـلامـتي أبْـراحَـها
كَـــمْ رُمْـتُ أنْ ألْـقَـاكُـمُ وتَصدُّني
نُـوَبٌ تُـنِـيخُ بساحتي أتْرَاحَـها
وَتَـضِـيـقُ نفسي ثم أجري ذِكْـرَكُـم
فتـظلُّ تَسْتَـدنِي إلـيّ نَجَاحَها
إنْ كـان دهري يبتغي إفْسَادَها
بِجَمِيل رأيـك قد أسَـوْتَ جِرَاحَها

ويختم قصيدته قائلا إن وصوله إلى الخليفة أو ملك الهدى - كما يسميه - أراحه من عنت القلق والشكوى، ففي رحابه قرت بلابله وانتهى قلقه:

قَلِقَتْ ركابي من مُـعَـاودَةِ السُّرى
وَحَـمَـدْن رأيـي حين كُنْتَ صَبَاحَها
وَصَـلَـتْ إلـى مَـلِـكِ الْـهُـدى فأعاذها
ممّـــا شَكَتْهُ مـــن السُّـــرى وأرَاحَها

وله قصيدة طويلة - كما يقول ابن عذاري- يمدح فيها الأمير على إشبيلية - وقتئذ- يوسف بن عبد المؤمن وقد تهيأ لهزيمة الوهيبي الخارج عن الدولة، لكن للأسف الشديد لم يذكر لنا ابن

عذارى - سامحه الله- غير ثلاثة أبيات ابتدرها بمطلع غزلي:

أقَـدُّكَ أم غُصْنٌ مِـنَ الْـبَـانِ أهْيَف

ولَحْظُكَ أم سَيفٌ مِنَ الْهِنْدِ مُرْهَفُ(٤٣)

فقالوا أغَـزْوٌ قُلتُ : لا شَـكّ أنّـه

فقالوا فَمَنْ يَغْزُو العِدَى قُلتُ: يُوسُفُ

سَلِيلُ أمِيـرِ الـمُؤْمِنِـين وَكَـفُّـهُ

وصَـارِمُـهُ العَضْبُ الـذي يُتَخَوّفُ

وقبل أن نغادر قصيدة المديح عند ابن المنخل يمكننا أن نشير إلى أمرين مهمين، الأول على مستوى المضمون، والثاني على مستوى الشكل، أما الأول فنلاحظ أن قصيدة المديح عنده لا تقتصر على رسم صورة الخليفة الممدوح فحسب، بل يمتد نطاقها فتصور الصراع المحتدم بين الموحدين وأعدائهم، كما لا تهمل الحديث عن أدوات هذا الصراع من وصف للجيش وأدوات قتاله (السيف-الرمح-الخيل.....) فضلا عن عدوهم الغاشم سواء في تكوينه، أو في المآل الذي انتهى إليه. وبالتالي نستطيع أن نقول إن قصيدة المديح عنده تتجاوز كونها تنضيد أبيات، وخلع سجايا ورسم ملامح وصفات إلى وثيقة تاريخية مهمة تستطيع من خلالها أن تتعرف على الأحداث وتتابعها بكل دقة وتفاصيل وبالتالي يتأزر الشاعر(الفن) والمؤرخ(التأريخ) ليكونا شاهدا على العصر الذي أظلهما.

وأما الأمر الثاني فهو قلة الجمل الانشائية، ففي مجموع القصيدين اللتين ناهزتا المئة بيت لم نجد فيهما غير خمسة مواضع للجمل الانشائية(٤٤)، ولعل هذا يحتاج إلى تعليل وتفسير لاسيما والجملة الانشائية (نداء- استفهام - توكيد....) رهينة بقصيدة المديح إذ توفر لها الطابع الحماسي الانفعالي خاصة وأنها تنشد بين جموع المحتفين بجبل الفتح.

يبدو لي أن ابن المنخل- وقتها كان قد تجاوز السبعين-كان قد بلغ درجة من الهدوء والاتزان لذا كان من الطبيعي أن يمدح بروية وتؤدة، ودون صخب وانفعال وأصوات زاعقة تحرك العامة، وتلهب حماستهم. وكان في قصيدتيه مبدعا غاية الإبداع بدليل اهتمام المؤرخين بقصيدتيه وحفظهما كاملتين. فالهدوء والرزانة لا يفقد قصيدة المديح هيبتها طالما كان الشاعر مبدعا ومجيدا لفنه.

لم يكن ابن المنخل مشاركا في الحياة السياسية والثقافية فحسب، بل على الصعيد الاجتماعي، ففضلا عن علاقاته القوية مع علية القوم وصناع القرار كانت له صداقات مع بَلَدِييه الشلبيين، لذا كان من الطبيعي بمكان أن يكون له شعر يصور هذه العلاقات الأخوية(الإخوانيات)، فمن هذا الشعر همزيته التي يراجع بها صديقه ابن المنذر الوزير وفيها يفصح عن ارتباطه به ووفائه له:

وإذا تَـرَقّى مِـنْبَرًا لِـمُلِمّةٍ

عَطَفَ القُلُوبَ على مناهجِ رائِـهِ(٤٥)

كـانـت لـيـالـيـه نُـجُـومُ زَمَـانِـنَـا

فـتَـنَـاثَـرَتْ حُـمَـمًـا على ظَـلْـمَـائِـهِ

يامُلْبِسي النُّعْمى بِحُسْنِ ثنائه

وَمُـمَـيِّـزي نَـقْـدًا بِـصِـدْقِ وَلائِـهِ

أَلْقَـــى عليّ مَـدِيحَـــهُ فلبِسْتُهُ

بُـرْدًا وَرَدّ علـيّ فَـضْـلَ رِدَائِـهِ
وأعَارَنـــي مِـــنْ خُلْقِه وَصِفَاتِهِ
فَسَحَبْتُ ذَيلَ الوَشْيِ من صَنْعَائِهِ

وفيه يشيد بابن المنذر والذي يصفه "بملبس النعمى" ويقول إنه هو من أعاره من خلقه القويم وسجاياه الأسمى:

لَـبّيْـكَ مِـــنْ دَاعٍ تَيَمّمَ حُبُّهُ
قلبي فَصَيّره إلـى سَـوْدَائِـهِ
إنْ كان أبْنَاءُ الـــزّمانِ تَشَبّهُوا
بأبِيهِمُ ما أنْـــتَ مِـــنْ أبْـنَائِهِ
فَـذَرِ الـحَسُودَ لِـمَا بـه فـدواؤُهُ
فـي مَـوْتِـهِ وحـيـاتُـهُ مـــن دَائِـهِ

ويشير إلى غدر الزمان به ويتمنى أن يفاديه بنفسه:

للهِ دَرُّكَ مِـــنْ فَـــتًى عَبَثَتْ بـه
أيـدي الـزّمـانِ فـأخْـلَـفَـتْ بَـعَلائِـهِ
أفْـدِيـه مِـنْ حُـرٍّ جَـفَـاهُ زَمَـانُـهُ
لـو كـان يَـسْـمَـحُ دَهْـرُنـا بـفـدائِـهِ

ويعدد صفات ابن المنذر ومنها، شجاعته وشدة بأسه، وحسن خلقه، وهمته العالية وقدرته الفذة على الخطابة والإقناع الذهني:

قَدْ كان مِثْلَ السّهْمِ يَنْفُذُ في الوغى
والـنّـصْـرُ مَـعْـقُـودٌ بـرأسِ لـوائِـهِ
شَهْمًا إذا دَجَـتِ الخُطوبُ تبلجت
لـعُـقُـولِـنـا الأقْـمَـارُ مِـنْ لألائِـهِ
شِـيـمٌ كـأزْهَـارِ الـرّبـيـعِ وراءهـا
هِـمَـمٌ تَـحُـطُّ الـنّـجْـمَ مـن عَـلْـيـائِـهِ
وإذا تَـرَقّى مِـنْبَـرًا لِـمُلِمّةٍ
عَـطَـفَ الـقُـلُـوبَ على مناهجِ رائِـهِ

وتتجلى براعة الشاعر في جمعه الممتاز بين الصورتين، الشمية والبصرية في البيت الثالث، وفيها يشبه شيمه بأزهار الربيع رائحة وعطرا، وهمته بالنجم الذي أُزري به، وانحط من عليائه وترك للهمة محله. ويختمها بالتحسر على كل جليل كان يوفره لأخدانه، وكل جميل كان يخصهم به، ويقول إن لياليه ومجالس أنسه التي كان يقودها كانت نجوما حتى إذا عدا عليه الدهر وقعد به تناثرت حمما ينير بعضها الظلماء:

كـانـت لـيـالـيـه نُـجُـومُ زَمَـانِـنَـا
فـتَـنَـاثَـرَتْ حُـمَـمًـا على ظَـلْـمَـائِـهِ

ومن شعره في مراجعة ابن المنذر أيضا، رائيته التي يحاول من خلالها أن يخفف عن ابن المنذر مصيبته، فهو لم يفقد عينيه فحسب، بل عدا عليه الدهر وأذاقه من بؤسه، فضلا عن انصراف الأصدقاء عنه وتركه وحيد يعاني وحدة حسرة وويلا:

تَجَافَ عَنِ الدُّنْيا وَعَنْ بَرْدِ ظِلّها
فـإنّ بُـرُودًا لا يـدُومُ حَـرُورُ[٤٦]
فَدَيتُكَ لا تَـأسَـفْ لـدُنْـيَـا تَقَلّصَتْ
وأوْحَـشَ يَـومًـا مِـنْـبَـرٌ وسَـرِيـرُ

ويحاول صاحبنا أن يلتمس له أسبابا تقرُّ بها بلابله، وتخفف بها حسرته، فيقول له إن الدنيا لا يدوم لها شأن، فلا ظلها يبقى، ولا حبورها يدوم. ويفاديه كعادته بنفسه:

وإنْ عَرِيَتْ جُرْدُ المَذَاكِي وَذُلِّلَتْ
أسُودٌ فلَمْ يُسْمَعْ لهُنّ زَئِيرُ
وَغُودرتِ الرّاياتُ تَهْفُو كأنّها
جَوَانِحُ مِنْ ذُعْرٍ عليك تَطِيرُ
وكانَتْ ولم تُذْعَرْ عليك كأنّها
إذا رَفْرَفَتْ يَومَ الهِياجِ نُسُورُ

ويناشده ألا يأسف عليها، فالمذاكي(الخيول) عريت من فارسها، والأسود أخضعت، والرايات طويت من بعد ذهابه عنها، وابن المنخل إذ يختار الجليل من كل شيء خيلا وأسدا وراية فإنه يذكر ابن المنذر بما كان ينهض به عندما كان وزيرا من جهة، ويخفف عنه بعض ما يعتمل في نفسه من حزن وأسى على حاضر بئيس.

طَلَبْتَ وَفاءً والوَفاءُ سَجِيّةٌ
وَلَكِنّها - أُمُّ الوَفاءِ- نَزُورُ
رأيْتُكَ تَبْغِي مِثْلَ نَفْسِكَ في العُلا
طِلابٌ لَعَمْري ما أرَدْتَ عَسِيرُ
ومَنْ ذا الذي يَسْمُو سُمُوّك للعُلا
وَيَعْفُو عَنِ الزّلّاتِ وهو قَدِيرُ

ويقول إن الوفاء قليل، ويعاتب صديقه ابن المنذر عتابا خفيا لطيفا إذ كيف يتهيؤ له أن يطلب من الآخرين أن يكونوا مثله وفاء وسموا وعفوا، فهذا أمر عسير وغير متيسر لهم. وإلى جوار مساجلاته الشعرية ومجاراته لعلية القوم ومنهم ابن المنذر -كما مر سابقا- نجده يشارك العامة فرحتهم، فها هو يهنئ أحدهم بمولود أسماه قمر:

هِلالٌ تَألّقَ أمْ كَوْكَبُ
وَبَحْرٌ تَدَفّقَ أم مُذْنَبُ[٤٧]
بدا طالِعًا في سَمَاءِ العُلَى
فأشْرَقَ مِنْ نُورِهِ الْغَيْهَبُ
ولا غَرْوَ أنْ تَتَلاقَى البُدُور
فَيُولَدُ لِلْقَمَرِ الْكَوكَبُ

ومن موضوعات شعره الوصف، ومنه قوله:

إنْ يَنْقَلِبْ لَيلُ الشّبَابِ نَهَارا
فَلَقَدْ أجَدّ بنا المَشِيبُ عِثَارا[٤٨]
فَوَدِدْتُ أنّ الليلَ أصْبَحَ حَاضِرا
عندي وأنّ الصُّبْحَ كان ضِمَارا
كُنّا نَرَى أنّ المَشِيبَ جَلالَةٌ
حَتّى لَبِسْنَاه فكان بَوَارا
قالوا: وَقَارٌ قُلْتُ : وَاوٌ أُقْحِمَتْ
ما تُبْصِرُ الحَسْنَاءُ إلا قَارا

والأبيات بديعة فهو يقيم علاقة بين الشباب والشيب فيستعير للشباب الليل وللشيب النهار، ويتمنى بقاء الليل واستدامته، ففيه القوة والفتوة، ويخشى مجيء الصباح ويتمنى غيابه، ففي مجيئه نذير بالنهاية، لكن أنَّى يتيسر له بقاء الليل وغياب النهار، فالحياة لابد أن تمضي بتناوب الليل والنهار من جهة، وانتقال المرء من الشباب إلى الشيب من جهة ثانية. ويبدو أنه قد بدأ يقنع ذاته بتعذر مدافعة الشيب إذ له قوة وسطوة حتى إذا استسلم له فوخط فوديه وأوهمه بقبوله لما به من وقار تبين له خلاف ما يعتقد. وفي البيت الأخير يتلاعب بالألفاظ فيقول إن الشيب ليس وقارا، بل قار -أقحمت واو قبله- بدليل أن

الحسناء لا ترى إلا-القار- صاحب الشعر الأسود (الشاب). أو ربما قصد أن الحسناء لا تري من ذي الشيب غير وجه أسود كالح.

وله رائية في الغزل الشاذ أغلب الظن أنه نظمها مجاراة لروح العصر أو ربما ارتجلها ارتجالا في جلسة سمر، وفيها يقول:

وَفَـاتِـك الـطّـرْفِ ذِي احْـــوِرارِ

خَـــــدّاهُ لـلـوَرْدِ والْـبَـهَـار[٤٩]

كـالـغُـصْـنِ فـــي قَـــدِّهِ ولـكـن

كـالـظّـبـي فـي الـجِـيـدِ والـنِّـفَـارِ

دَارَيْتُـــه والـــزّمـــانُ يَـلْـوِي

أطْـــرَافَ لَـيْـلِـي عـلـى نَـهَـارِي

فَـــكُـلّـــما رُمْـــتُ مـنـهُ وَصْلا

لَـــجّـجَ فـــي الـتّـيـه والـنِّـفَـارِ

حَـــــتّى إذا كـان بَـعْـدَ حِـيْـنٍ

ألْـــجَـمَـهُ الـدّهْـرُ بـــالـعِـذَارِ

فـجـاء سَـمْـحَ الـعِـنَـانِ سَـهْلا

عـلـى مُـــرَادِي وبـاخْـتِـيَـارِي

وابن المنخل إذ يتحدث كثيرا فإنه لا يقول شيئا ذا بال، فالأوصاف مكرورة ومحفوظة في ذاكرة كل شاعر، على شاكلة الطرف أحور، والخد ورد وبهار، والقد كالغصن، والجيد جيد ظبي، ويسترسل في وصف تقريري فج لينتهي في آخر المطاف إلى أن صاحبه الذي لج في البعد والنفور طُرَّ شاربه(العذار) فجاء على رغبته ومراده.

والأبيات مهلهلة النسج، فاترة الإحساس، ملفقة تلفيقا، فضلا عن أنها لم تخل من عيوب الإيقاع، ومنه الإيطاء في البيتين الثاني والرابع، فقد كرر لفظ "النفار" بمعنى واحد مرتين، وما كان أغناه عن ذلك. ولعلنا نتعجب من صاحب زاد المسافر صفوان بن إدريس كيف استقام لذائقته أن تحفظ مثل هذه الأبيات، أو تكون قد عُلقت له،[٥٠] على حد تعبيره- كغيرها من شعر الموحدين لدرجة أن يختارها لشاعرنا؟!. فالأبيات لا طائل وراءها ولو نسيتها ذاكرة صاحب الزاد الشعرية أو ضرب عنها صفحا لأراحنا منها، ومن عنت التدقيق بها ودراستها.

وله بيتان في رثاء ذاته، وأكبر الظن أنهما من قصيدة طويلة شكا فيها همه وبثه، وضعفه الإنساني وقد استبد به الكبر استبدادا، ولم يجد حيال هذا الضعف "غير أن ينتظر الموت الذي لابد منه، ويتساءل عن موعد حلوله"[٥١]،ومكان حدوثه ، وهيئته التي يأتي عليها :

مَضَتْ لِـيَ سَبْعٌ بَعْدَ سبعينَ حِجّةُ

ولـي حَـرَكَـاتٌ بعدها وسُـكُـونُ[٥٢]

فَيَا لَيتَ شِعْرِي أيْنَ أوْ كَيفَ أو مَتَى

يَكُـــونُ الـذي لابُـدّ أنْ سَيكُونُ

وفي الهجاء له مقطوعتان تدلان على ظرف وتندر ليس أكثر.

الخصائص الفنية:

اللغة والأسلوب:

تأثرت لغته لا سيما في قصيدة المديح "بالبيئة الحربية وصراعاتها"[٥٣]، فها هو يقتبس الألفاظ الدالة على القتال أو أدواته، ويدسها في تضاعيف قصيدته، ومنها قوله:

أضَلّتْهُمُ البِيضُ الصّوارمُ والْقَنَا

فَكَانَتْ لهم رَفْعًا وكانُوا لها نَصْبَا[٥٤]

وقَادَتْهُمُ تلك السُيوفُ إلى الرّدى

وماغَادَرَتْ سَهْلَ الْقِيَادِ ولا صَعْبَا

ورامُوافِرَارًاوالرِّمَاحُتَنُوشُهُم

فما قطعوا فَجًا ولا سَلَكُوا شِعْبَا

ويتعدد التكرار - بوصفه وسيلة من وسائل الأداء الشعري - عنده، ومنه تكرار الحروف كتكرار (عليَّ) تأكيدا لفضل سيده عليه قولا وفعلا :

ألْقَى عليّ مَديحَهُ فلبِسْتُهُ

بُرْدًا وَرَدّ عليّ فَضْلَ رِدَائِهِ[٥٥]

ومن ألوان التكرار، تكرار الأفعال، ومنه :

قَامَتْ وقد حَمِدَتْ إليك مَقَامَها

وَزَكَتْ فلم تَطْلُب إليك سَرَاحَها[٥٦]

قَامَتْ خَلائقُك الكِرامُ بَوصْفِها

طَوْرَ المديحِ فَأفْحَمَتْ مُدّاحَها

ونلاحظ أنه كرر الفعل "قام" مرتين، في الأولى جعل فاعله مستترا(الخلافة)، بينما جعله في الثانية حاضرا بقوة "خلائق الخليفة"، وليس من شك أن ذكره للفاعل يؤكد أهميته وكأن القيام عنده قيامان، الأول خفي خافت لأنه معلوم بالضرورة (قيام الخلافة بالتسليم للخليفة)، والثاني حاضر قوي (خلائق الخليفة). ويكثر من الجمل الشرطية - لاسيما في المديح - كأن يفيد من الأداة "إذا" في القطع بسجايا الممدوح شجاعة وكرما:

وإذا امْتَطَى ظَهْرَ الحِصَانِ رأيتَهُ

بَدْرَ الكَتَائِبِ لَيْثَهاجَحْجَاحَها[٥٧]

وإذا امْتَرَيْتَ نَوالَهُ ألْفَيْتَه

سَمْحَ الخَلائِق جَزْلَها وَضّاحَها

ومنه أيضا قوله:

إنْ كانَتِ النّعماءُ كُنّ سَحَابَها

أو كانَتِ الْهَيْجاءُ كُنّ سِلاحَهَا

وهو إذ يأتي بالأداة "إن" التي تفيد التشكك فإنه يلحقها بالفعل الماضي "كان" محيلا بذلك الشك يقينا، أو بمعنى ثان تحقق الوقوع في الزمن الماضي. وأحيانا يشد أزر أسلوب الشرط بأسلوب التفضيل تأكيدا للمعنى وزيادة فيه مثل:

إذا أجْدَبَتْ أرْضٌ نَحَاها بِجُودِه

فما أغْزَرَ السُقْيا وما أكْثَرَ الْخَصْبَا[٥٨]

ومن أساليبه، الحذف ومنه، حذف المبتدأ في قوله:

يلوذُون في الهَيجَا بأرْوَعَ مَاجِدٍ

إذا دارت الهيجاءُ كان لها قُطْبا[٥٩]

مَلِيكٌ كأنّ الأرْضَ قَبْضَةُ كَفّه

فلا بُعْدَ فِيمَا يَنْتَحِيه ولا قُرْبَا

فبعد أن يهيئ المسرح اللغوي للممدوح ذاكرا شجاعته، وأنه مركز الأحداث وقطب رحاها، تجده في البيت الذي يليه يسرع بالإفصاح عنه استجابة لعجلة القارئ الذي ينتظر بلهفة معرفته، ولعل هذا ما جعله يحذف المبتدأ، ويعجل بالخبر، فلو تلفظ بالمبتدأ وقال هو مليك لذهبت فخامته - كما يقول القدماء- فالحذف هنا يكسب الممدوح

مهابة وجلالا.

ويسلك هذا المهيع- حذف المبتدأ لتعظيم المخبر عنه - مرة أخرى في ذكر شلب (بلاده) التي جعله كرم الخليفة ينساها وينسى تاريخه بها، ما يلبث في البيت التالي يعجل- مستغنيا عن المبتدأ (هي)- بذكرها وذكر مكانتها في قلبه، فمثلما أرضى الخليفة في البيت الأول جاء فأرضى ذاته في البيت الثاني:

نسينا بـــه أبـــاءَنَا ودِيـــارَنَـــا

فها نحنُ لا نَرْتَاحُ إنْ ذكروا شِلْبَا(٦٠)

بلادٌ قَضَى فيها الشّبابُ مآربي

وأبـقـى لنفـسي مـا بَـقَيْتُ بها أرْبَا

إن لابن المنخل حسا لغويا دقيقا ومعرفة عميقة بدلالات الحروف، ولعل هذا ما أعانه في تبليغ خطابه الشعري بأيسر سبيل وبأعمق معنى، ومنه زيادة (لما) بعد إذا في قوله:

إذا مـا ذكـرنـاه وقـد ضَـاقَ أمْـرُنـا

تَـفَـرّج حتى صار مُتْسَعًا رَحْـبَـا(٦١)

فقد زاد ما الموصولة بعد إذا الشرطية لا لإقامة الوزن، بل لزيادة المعنى ومبالغة فيه، انظر كيف استقام له أن يجعل من ذكر الخليفة فرجة لكربة واتساعا لرزقه، ويفيد من اسم الموصول(الذي) تأكيدا وقصرا:

أنـت الـذي إن حَـلّ ربـعَـك طـارِقٌ

ألقَتْ لك الكُومُ العتاقُ رِمَاحَها(٦٢)

كما يوظف حرف الباء في خدمة معانيه:

رأوا بك دَيـنَ الله كيف اعْـتِـزَازُهُ

وأنْتُمْ له حَرْبٌ فكانـــوا له حَرْبَا(٦٣)

فقد جعل الفعل رأى يتعدى بالباء بدلا عن (في) ولما كانت الباء تفيد الاستعانة والمصاحبة لجأ إليها تأكيدا للمدح، فلما رأى أعداء الخليفة - بواسطته - التدين الحق والصلاح أذعنوا لحكمه وخضعوا لسلطانه.

ويوظف "الحال" توظيفا فنيا ليقرب به الصورة للمتلقي لدرجة أنه يراها، ويكاد يلمسها بيديه، خذ مثلا قوله:

ورامُـوا فِـرَارًا والـرّمَـاحُ تَنُوشُهُم

فما قطعوا فَجًا ولا سَلَكُوا شِعْبَا(٦٤)

وخَـرُّوا جميعًا هَـــامدِين كـــأنّهُم

نَدَامى تَسَاقوا بينهم أكؤسَ الصّهْبَا

ففي البيت الأول يصور لك فرار الأعداء والرماح تلحق بهم، وفي البيت الثاني بين لك حالة سقوطهم، وأحيانا يؤخره ليبدأ به البيت مثل قوله:

وإذا دَعَـاهُـم صَـارِخٌ لِـكَـريـهَةٍ

طارُوا لها بِيْضَ الوجوه صِبَاحَها(٦٥)

مُتَـهَـلِّلين كـأنّ فـي قَـسَـمَـاتِـه

سُـرُجًـا تُـبَـيّـنُ تَـحْـتَـهـا أشْبَاحَها

والحال-هنا - يحدث نوعا من الترابط النصي بين البيتين، فمعنى البيت الأول لا يكتمل إلا بالحال في البيت الثاني "متهللين"، فضلا عن أن تأخيره يحدث نوعا من التشويق للقارئ الذي يريد معرفة حال وجوههم وهو في ساحة الحرب.

إن ثقافة ابن المنخل كانت متعددة الأطراف، واسعة الجناب، لا تجد سبيلا في تبليغ خطابها الشعري إلا وسلكته. فها هو يضمّن شعره بعض

الأمثال العربية، ومنها" عند الصباح يحمد القوم السُرى"[٦٦] في قوله:

قلقت ركابي من مُعَاودةِ السُرى

وَحَمَدْنَ رأيي حين كنتُ صبَاحَها[٦٧]

وأحيانا يخالف المثل فيما ضرب له وكأنه يعيد إنتاجه، انظر عبثه بالمثل العربي القائل "من سلك الجَدَد أمِن العِثَار"[٦٨] في قوله:

إنْ يَنْقَلِبْ لَيلُ الشّبَابِ نَهَارا

فَلَقَدْ أجَدّ بنا المَشِيبُ عِثَارا[٦٩]

كُنّا نَرَى أنّ المَشِيبَ جَلالَةٌ

حَتّى لَبِسْنَاه فكان بَوَارا

فالمثل العربي يقول من سلك الأرض المستوية نجا من العثرة أو السقوط لكن صاحبنا يقول إنه كان يظن أن المشيب أو الشيب جددا أو وقارا (أمانا وعافية) حتى إذا جاءه ووخطه، تبين له وهم ما كان يظن، فالشيب يفضي للعثار، إي نهاية الشباب وذهاب غضارته.

كذلك لم يخلُ شعره من الألفاظ الغربية التي تنبو عن الذوق الحضري الأندلسي من جهة، وتضطر القارئ إلى المعجم ومنها (الغطامط- القب-الحرجف-الكوم-درتها.....). كما جعل من تضمين الأسماء أداة يوصل بها خطابه الفني، ويعضد بها موقفه الوطني، فكان أن ذكر في بائيته التي مدح بها الخليفة الموحدي عبد المؤمن بن علي ابن الريق[٧٠] وابن ريمند[٧١] النصرانيين المنتزيين على شلب تذكيرا للخليفة أو لفتا لنظره، ولم يغفل أن يذكر كبير الأساقفة النصارى "البطريق"[٧٢] - رأس المحرضين- حتى يعضد أطروحة الصراع الديني بين الإسلام والنصرانية. إن استعانته بالأسماء يخدم الفن(الشعر)والموقف(الوطن) والتأريخ(التوثيق).

ويحاكي ابن المنخل النمط السائد عند شعراء الأندلس حينها من محاكاة النماذج الشعرية ومعارضة القصائد المشهورة - للمشارقة- إعجابا بها، أو طلب المضاهاة أو نشدان التفوق"[٧٣]، فها هو يعارض بائية المتنبي- الذي يعد عند الأندلسيين" المثل الأعلى والنموذج المحتذى"[٧٤]- التي مطلعها :

فَدَيْنَاك مِنْ رَبْعٍ وإنْ زِدْتَنَا كَرْبَا[٧٥]

فإنّك كُنتَ الشّرقَ للشَمْسِ والغَرْبَا

ببائيته التي مطلعها:

فَتَحْتُمْ بِلادَ الشّرْقِ فاعْتَمِدُوا الغَرْبا

فإنّ نَسِيمَ النّصْرِ بالفَتْحِ قد هَبّا [٧٦]

والقصيدتان تتفقان في وجوه كثيرة، فكلاهما على زنة الطويل وقافية الباء، وكلاهما في مدح عظيم (سيف الدولة عند المتنبي، وعبد المؤمن بن علي عند ابن المنخل) لكن ابن المنخل لم يكتفِ بذلك، بل" استعار من المتنبي طائفة من الألفاظ والمعاني والأساليب فضلا عن انتزاع المعاني"[٧٧] : إذ يقول ابن المنخل:

ومن تَخِذَ الآسَادَ عُدّةَ حَرْبِهِ

أعَدّ مُجَاجاتِ الكُلوم لـه شِرْبَا[٧٨]

"فإنه ينتزع قول أبي الطيب"[٧٩]**:**

ومن تَكُنِ الأُسْدُ الضّواري جُدُودَه

يكُنْ لَيلُهُ صُبْحًا ومَطْعَمُه غَصْبا[٨٠]

وإذ يقول المتنبي:

عليمٌ بأسرار الدِّيانات واللُّغَى

لهُ خَطَراتٌ تفْضَحُ النّاسَ والكُتْبَا[٨١]

يقول ابن المنخل مغيرا عليه:

لو علم الناسُ الخفيات أمره

لما درَسُوا صُحُفًا ولا صَنّفُوا كُتْبَا [٨٢]

لم يأخذ ابن المنخل المعنى من المتنبي فحسب، بل أخذ صدر البيت بحذافيره من قول بلديه ابن هانى الأندلسي:

ولو عَلِمَ النّاس الخفيات أمره

لما كان في الأرض العريضة جاهِلُ[٨٣]

وفي شعره أيضا أنفاس ابن الرومي، فقوله:

بلادٌ قضى فيها الشّبابُ مآربي

وأبقى لنفسي ما بقيت بها أربا[٨٤]

فيه - كما يقول عبد الهادي التازي[٨٥] - إشارة إلى قول ابن الرومي:

وحَبّبَ أوْطانَ الرِّجالِ إليهمُ

مآربُ قضّاها الشبابُ هنالكا[٨٦]

إذا ذَكَرُوا أوطانَهم ذكّرتهُمُ

عهودُ الصبا فيها فحنُّوا لذلكا

أما قوله :

قَامَتْ خَلائقُك الكِرامُ بَوصْفِها

طَوْرَ المديحِ فَأفْحَمَتْ مُدّاحَها[٨٧]

رَدّتْ على الخُطَباءِ والشُّعراءِ في

حَوْكِ الكلامِ فَعَطّلَتْ أمْدَاحَها

ففيه نظر لقول أبي تمام:

فَتْحُ الفتوح تعالى أنْ يَحِيطَ به

نَظْمٌ من الشِّعْرِ أو نَثْرٌ من الخُطَبِ[٨٨]

فإذا كان أبو تمام قد جعل انتصارات الخليفة العباسي أعيت الشعراء والخطباء فإن ابن المنخل قد جعل صفات الخليفة الموحدي قد أفحمت المداح شعراء وخطباء. لكن الفرق والبينونة بينهما أن أبا تمام قد اختزل المعنى في بيت واحد، بينما اضطر ابن المنخل إلى بيتين ليشرح معناه. ولا يقتصر الأخذ على استعارة الألفاظ ومحاكاة الأساليب، بل يتعداه إلى أخذ معاني القدماء ومحاولة الزيادة عليها، فقول ابن المنخل:

أنت الذي إنْ حَلّ رَبْعَك طَارِقٌ

أَلْقَتْ لك الْكُومُ العِتَاقُ رِمَاحَها[٨٩]

وتَخَاضَعَتْ ذُلُلًا إليك رِقَابُها

تُزْجِي إليك هِجَانَها وَلَقَاحَها

يذكرنا بقول الفرزدق مفتخرا بذاته:

فَمَكَنْتُ سيفي من ذَوَاتِ رِمَاحها

غِشاشًا ولم أحْفَلْ بُكاءَ رِعَائِيا[٩٠]

فالشاعران (ابن المنخل والفرزدق) يتحدثان عن الكوم ذات الرمح، أي الإبل الكريمة التي يعجب بها صاحبها لما عليها من شحم ولحم ومنظر جميل فتأبى نفسه- لنفاستها- نحرها، لكنهما مع ذلك نحراها إكراما للضيف. والشاعران إذ يتشابهان في المعنى لكن في معنى ابن المنخل مبالغة وزيادة إذ جعل الناقة هي من يطلب النحر إكراما للضيف.

وعلى غرار اهتمامه بألفاظه كان حريصا

على تحسين معانيه والتجديد فيها إذ لم يترك سبيلا لتجويدها إلا وسلكه، وعلى رأسه المحسنات المعنوية، ومنها تجاهل العارف، أو سوق المعلوم مساق غيره كما يسميه السكاكي:

أقَـدٌكَ أم غُصْنٌ مِـنَ الْـبَـانِ أهْيَف

ولَحْظُكَ أم سَيفٌ مِنَ الْهِنْدِ مُرْهَفُ(٩١)

ولا شك أن وكده هنا هو المبالغة في المدح، فالشاعر يعلم أنه قدٌّ لا غصن بان، ولحظٌ لا سيف قتال لكن ما رأته عينه من حسن جعله يشعر بحَيْرةٍ أمام هذا الكمال قواما ولحظا ولعل هذا ما دفعه للتساؤل.

ومن محسنات المعنى عنده التضاد، وفيه يتجاوز التصور البسيط والساذج له أعني الجمع بين الشيء وضده إلى معنى أكثر عمقا وأرحب دلالـة، فمن خلالـه يقدم صـورة حية ونابضة للحياة وما يعتمل فيها من صراع بين مكوناتها، وتجاذب بين أطرافها، انظر قوله مادحا خليفة الموحدين:

مَـلِـيكٌ كـأنّ الأرْضَ قَـبْضَـةُ كَـفِّـه

فلابُعْـدَفِـيمَـايَـنْـتَـحِيهولاقُرْبَـا(٩٢)

لكَفّيهِ فَـضْـلٌ بـان عـن كُـلِّ فاضِلٍ

إذا شَـدّ عَقْدَ السّلْمِ أو بَعَثَ الْحَرْبَا

انظر كيف تهيأ للخليفة أن يجمع بين الأضداد (البعد والقرب- السلم والحرب) دون أن يشعر بعنت أو يحس بمشقة. وأحيانا يجعل التضاد في آخر كلمتين بالبيت، لا تكون فيهما الأولى ممهدة لمجيء الثانية فحسب، بل هي مرتبطة بها ارتباطا لا فكاك منه، ويكثر هذا اللون في قصيدة المديح، ومنه:

إنّ المعالي مُـذْ نَـشَـأنَ سَـحَـائـبٌ

تَسْقِي ثَـراكَ غُدُوّهـا ورَوَاحَـهـا(٩٣)

كَلِفَتْ بهـا أعـداؤُهـا حـتـى لقد

أخَـذُوا عليها نَـجْـدَهـا وَبِطَـاحَـهـا

ففي البيت الأول يطابق بين (الغدو والرواح) مبالغة في وصف مكانة الخليفة بالسحاب الذي لا يترك أرضا في غدوه ورواحه، وفي الثاني يطابق بين (النجد والبطاح) لبيان ما حاق بشلب من ضياع أراضيها. فالتضاد(الطباق) لا يكسب المعنى بهاء فحسب، بل يسهل على الشاعر مهمة استخراج القافية. كما يفيد من المقابلة في قوله:

إنْ أهْـلَـكَ الأعْـداءَ رِيـحُ عذابها

بعَثَتْ لأحْـيـاءِ الـعُفَـاةِ رِيَـاحَـهـا(٩٤)

فقد قابل بين أهلك وبعث والأعداء ورعيته المحتاجين(العفاة)، وريح العذاب ورياح الخير.

ويقوده حرصه على كمال تبليغ المعاني في أحسن صورة لها على الجمع بين الأمور المتناسبة،" فالتناسب والائتلاف والمؤاخاة بين المعاني أو مراعاة النظير كما يسميه القدماء" (٩٥) سبيل ممتاز ومهيع مناسب لتبليغها، وإقرارها في روع القارئ:

وَشَـرَتْ سُيوفُك بالعلى أغْـمَـادَهـا

يَـومَ الْـوَغَى فاسْتَجْزَلَتْ أرْبَاحَها(٩٦)

تَسْقِي الـعُـدَاةَ سِمَامَها فكأنّـها

أيْـدٍ تُـصِـفّـقُ لِلـنّـدَامَى رَاحَها

مـا ضَـرّنا إنْ غَـلّقُـوا مـا حولها

إن كـان سَـيْـفُـك بعدها مِفْتَاحَها

انظر كيف ناسب بين الشراء والربح في البيت الأول، ولائم بين الفعل تسقي والراح في البيت الثاني، أما في البيت الثالث فناسب بين إغلاق المدينة من قبل النصارى وبين سيف الخليفة مفتاح كل مغلق.

ومن جليل محسنات المعنى رد الأعجاز على الصدور الذي ألح عليه في أبيات متتالية:

وإنْ لَـقِيَتْ هَضْبًا حَـوَافِـرُ خيلِهِ

أصارتْهُ سَهْلاً لا ترى فَوْقَه هَضْبَا(٩٧)

إذا جـــاوزَتْ دَرْبًـــا إليكم فإنـما

يَجُوزُ وشِيكُ الموْتِ نَحْوَكُم دَرْبَـا

وإنْ يَقْضِ نَحْبًا مِنْهُمُ ذو بسالَةٍ

فَمِنْ نَفْسِ جَبْارٍ لَكُمْ يَقْتَضِي النّحْبَا

والواضح أنه سلك طريقا واحدا، وهو جعل الكلمة الأولى في أول البيت والثانية في آخره. ونلاحظ دقة اختياره للكلمات التي كانت صالحة لتكون قافية للأبيات وقرارا لها ليس لكونها من سنخها، بل لأن المعنى يستدعيها، ونحن لا نلقي القول على عواهنه، خذ مثلا البيت الأول تجده يتحدث عن الهضبة(الأولى)التي كانت موجودة قبل أن تأتي عليها خيل الخليفة فتحيلها سهلا بشدة حوافرها أما الهضبة(الثانية) فجعل وجودها اللفظي دليلا على زوالها المادي، أو بمعنى ثان أن الخيل لم تترك هضبة إلا وقد سهلتها سهلا. فرد الأعجاز على الصدور لا يؤكد المعنى أو المعاني التي يرمي إليها الشاعر ويرسخها في روع المتلقي فحسب، بل يجعل" أول الكلام دال على آخره، وآخره مرتبط بأوله، وهذا عينه قصد البلاغة ووكدها"(٩٨)

ومهما يكن من أمر فإن ابن المنخل كان حريصا على المعاني وعناصر تحسينها أكثر من حرصه على محسنات الألفاظ، ولعل هذا قد يفسر لنا - إلى حد كبير- قلة المحسنات اللفظية في شعره، وعلى رأسه الجناس الذي كان حضوره خجولا لدرجة لا تكاد تسمع له صوتا، بل همسا خفيفا.

الإيقاع:

أما فيما يخص الإيقاع الخارجي فلم يخرج صاحبنا عن العروض الخليلي، بل نظم على الأبحر الأكثر دورانا في الشعر العربي، كالطويل في قوله

يا مُلْبِسي النُّعْمى بحُسْنِ ثنائه(٩٩)

وَمُمَيِّزي نَقْدًا بِصِدْقِ وَلائِـهِ(١٠٠)

والكامل قوله:

تَهْنَ الْـخِلافَـةُ أنْ جَلَـوتَ صَبَاحَها

ومَـدَدْتَ من نُـورِ الهُدَى أوْضَاحَها

كما نظم على مخلع البسيط مثل:

وَفَـاتِـك الـطّـرْفِ ذِي احْـــورَارِ

خَـــــدّاهُ لـلـوَرْدِ والْـبَـهَـارِ(١٠١)

ومن المتقارب قوله:

هـــِلالٌ تَـأَلّـقَ أمْ كَـــوْكَـبُ

وَبَـحْـرٌ تَـدَفّـقَ أم مُـذْنَـبُ(١٠٢)

وعلى الرغم من قلة الشعر الذي بين أيدينا والذي يمنع من إصدار أحكام سديدة قائمة على الاستقراء الكامل لكن هذا لا يمنع من القول إنه اختار الكامل والطويل(١٠٣) للمواقف الجادة

(المديح - الرثاء - وحديثه عن الكبر)، بينما مال في معابثته لمخلع البسيط، وللمتقارب في التهنئة بمولود.

وعلى غِرار عنايته بأوزانه وقوافيه عني بالموسيقى الداخلية، ومنه **الازدواج** وهو" توازن جملتين عروضيا، أو هو الجمل المتماثلة الأوزان، والمقاطع الصوتية المتشابهة في الإيقاع"(١٠٤)، وعنده يأخذ شكلين، الأول - وهو الغالب- غير مسجوع ومنه:

أصَرْتُم إلـيــه الخَيلَ وهــي أجَــادِلٌ

فسَالَتْ بكم بَحْرًا/ وطَارَتَ بكم رَكْبَا (١٠٥)

إذا أجْـدَبَـتْ أرْضٌ نَحَاها بِـجُـودِه

فما أغْزَرَ السُقْيا / وما أكْثَرَ الْخَصْبَا

وأحيانا قليلة يجعله مسجوعا مثل قوله:

قـد غَيّضَتْ أنْـهَــارَها/ وَتَـحَــرّقَـتْ

أشَـجْـارَهـا/ وتَـكـفّـأتْ أقْـدَاحَـهـا(١٠٦)

ومن الموسيقى الداخلية نوع دقيق من التقابل الأفقي، وفيه تتساوى كل كلمة في صدر البيت مع الكلمة التي تقابلها في العجز، في وزنها الصرفي والعروضي:

إنْ /كـانَـتِ/ النّعماءُ/ كُـنّ/ سَحَابَها

أو/كانَتِ/الْهَيْجاءُ/كُنّ/سِلاحَهَا(١٠٧)

فـعـلـى/سيُـوفِـك/أنْ/تَـبِـيـدَ/كُـمـاتَـهـا

و على/جُيوشِكَ/أنْ/تُرَوّح/سَاحَـهـا

والواضح إن هذا التقابل يحدث إيقاعا متساويا تهش له الأذن، ولا تكاد تملّ سماعه.

ويقوده حرصه على استكمال الإيقاع الداخلي أن تكون الكلمة التي تسبق كلمة القافية ذات ارتباط وثيق بها، أما على سبيل التلازم (العجم والعرب، الطعن والضرب) مثل قوله:

ودُسْتُم بـــهـا هامـــاتِ كُـلِّ مُضَلّلٍ

ولم تَتْرُكوا عُجْمًا هناك و لا عُرْبـا(١٠٨)

قَـرُوكم عِـتَـاقًـا شُـــزّبًا وعَـــواتِقـا

بما قد قَرَاهُمْ جَيشُك الطّعْنَ والضّرْبَا

أو على سبيل التضاد (سهلا وصعبا) في قوله:

وقَـادَتْـهُـمُ تلك السّيوفُ إلى الـرّدى

وما غَادَرَتْ سَهْلَ الْقِيَادِ ولا صَعْبَا(١٠٩)

ولا شك أن الـتلازم والتضاد في الأبيات السابقة لا يهيئان القارئ للقافية فحسب، بل يجعلنا يتلفظ بها قبل نطق الشاعر بها. فالقافية على هذا النحو تشعر القارئ بأنه مشارك في بناء النص.

الصورة الفنية:

تميزت صوره الفنية بتنوع وسائل بنائها، وعلى رأسها التشبيه وفيه يمزج بين عوالم لا تكاد تعرف تناغما وانسجاما، مثل الجمع بين عالمي القتال والخمر في قوله:

تَسْقِي الـعُـدَاةَ سِمَامَها فكأنّـــها

أيْـــدٍ تُـصِـفّـقُ للنّـــدَامَى رَاحَها(١١٠)

فهو يشبه السيف وهو يسقى الأعداء سما ذعافا باليد التى تصفق الخمر أو التي تنقلها من إنـاء لإنـاء ليصفو مما بـه، فالسيف ويد الخمار كلاهما يسقيان، الأول سما والثاني خمرا، وكلاهما يسعيان لتحقيق أربه، القتل ماديا

عند الأول، ومعنويا عند الثاني. وتعجبه هذه الصورة- صورة السيف والخمر بوصفها أداة للقتل- فنراه يعمد إلى تكرارها مرة أخرى:

وخَــرُوا جميعًا هَــامـدِين كـأنّـهُـم

نَدَامى تَسَاقوا بينهم أكؤسَ الصّهْبَا(١١١)

ومن جميل التشبيه قوله واصفا جيش العدو - وهو يجر الدروع جرا- بالبحر الغطامط، ولا يخفى على فطنة القارئ اختياره للفظ الغطامط وتوظيف صوته القوي تعبيرا عن كثرة العدو وقوته الجامحة.

أتَــوْكُــم يَـجُــرُّون الحديدَ سَوَابِغا

كأنّــهُــمُ الـبَـحْرُ الغُطَامِطُ قد عُبّا(١١٢)

وإلى جوار التشبيه يكثر من الاستعارات المكنية، ويفيد من خصائصها في تجسيد المعاني وتشخيص الأشياء. كأن يجعل للبأس ريحا تجتاح الأعداء اجتياحا لا يبقي ولا يذر:

وَهَبّت عليهم رِيـحُ بَـأسِكَ حَرْجَفا

فمـا تَرَكَتْ نَبْعًا عَلَيهم ولا قَضْبَا(١١٣)

ويفيد منها أيضا مصورا حالته النفسية وهو يكابد المشاق بغية الوصول لخليفة الموحدين:

كَــمْ رُمْـتُ أنْ أَلْـقَـاكُمُ وتَصدُّني

نُــوَبٌ تُــنِـيخُ بساحتي أتْرَاحَـها(١١٤)

ويوفق في اختيار الألفاظ التي تفصح عن حالته، فكم الخبرية "كم رمت" تؤكد محاولاته المتكررة في التخلص من واقعه المرير، أما الفعل "تنيخ" المسند للمصائب لا يشي بثقلها على نفسه فحسب، بل ببقائها الدائم وملازمتها المستمرة.

وينبي بناؤه للاستعارة عن خيال جامح يحلق في عنان السماء دون رغبة في العودة للأرض أو ملامستها أنظر قوله:

وَشَــرَتْ سُيوفُك بالعلى أغْـمَـادَها

يَــومَ الْـوَغَى فاسْتَجْزَلَتْ أرْبَاحَها(١١٥)

فالسيوف قد باعت الأغماد حين تخلت عنها مقابل قطع رقاب الأعداء. ومن خصائص صوره، الصورة السريعة الخاطفة التي لا تستغرق أكثر من بيت، مثل قوله مهنئا يوسف بن عبد المؤمن وقد خلصت له الخلافة:

تَهْنَ الْـخِلافَـةُ أنْ جَـلَـوتَ صَبَاحَها

ومَدَدْتَ من نُورِ الهُدَى أوْضَاحَها(١١٦)

ويطغى على الصورة الضوء سواء الحقيقي منه"صباحها-أوضاحها" أو المجازي"نور الهدى"، إذ ليس هناك من سبيل أكثر إقناعا من الضياء والإشراق في التأكيد على جلاء حق يوسف بن عبد المؤمن في خلافة أبيه. ومثلما جعل لون الضياء(الأبيض) حقا وحياة للخليفة الموحدي نجده يجعل من اللون الأسود (سود المنايا) موتا ونهاية لأعدائه:

تَغَشّتْهُمُ سُـودُ المنايا فأصْبَحَتْ

مَـفَارقُهم تَغْشَى الجَنَادلَ والتُّرْبَ(١١٧)

وأحيانا لا يرسم مشهدا خاطفا- كما مر سابقا-، بل يُعنى بكثرة التفاصيل والحشد لدرجة يستغرق البناء عدة أبيات، ويبدو هذا الاسترسال واضحا في صورة "الخيل":

أصَرْتُم إلـيــه الخَيلَ وهــي أجَادِلٌ

فسَالَتْ بكم بَحْرًا وطَارَتَ بكم رَكْبَا(١١٨)

ودُسْتُم بـــهـــا هامـــاتِ كُـــلِّ مُضَلّلٍ

ولم تَتْرُكوا عُجْمًا هناك ولاعُرْبـــا

رمَيتُمْ بها مِثْلَ السّهامِ فأصْبَحَتْ

كُـمَـاتُـــهُم صَرْعى وأمْـــوالُـــهُم نَـــهْبَـا

فقد شبهها بالصقور في سرعة انقضاضها، وبالبحر في كثرتها الكاثرة، ويشير إلى سرعة استجابتها لفارسها الخليفة إذ داست بحوافرها هامات أعدائه المضليين فأذلتهم، ما لبثت أن استحالت - بعد كل ما قامت به- سهما نافذا صرع الأعداء واغتنم غنائمهم. ولا تزال صورة الخيل لا تبارح خياله ومنها:

وأنْ تُـوردُوهـا نَهْرَ دُويَـرْ صَوادِيا

فتأنَفُ أنْ تُسْقَى بها البَارِدَ الْعَذْبَا[١١٩]

تَعَافُ غَيرَ الماءِ صَفْوًا فـإنْ جرى

به مـــن دَمِ الْأعْـداءِ أفْـــنَـــينَهُ شُرْبَا

أمُرْسِلَها شُعْثَ النّواصِي سَوَاهِما

ومُصْدِرُها شُقْرًا وقد وَرَدَتْ شُهْبَا

وفي البيتين الأول والثاني يصور الخيل وهي ترد النهر - نهر دوير- صادية، وهي وإن كانت لا تشرب الماء إلا عذبا صافيا تحملت عطشها لأنها إلى دماء الأعداء أظمأ. أما البيت الأخير فيكتظ بالعناصر الفنية، ومنها، التوظيف الفني الممتاز للألوان، فقد كنى باللون الأحمر (شقرا) عن الخيل وهي عائدة من ساحة الوغي، وباللون الأبيض(شهبا) وهي في طريقها للقتال، وبلون الغبرة (شعثا)عن كثرة الحروب، وعلينا ألا نغفل تصويره للخيل ذاهبة للحرب وعائدة منها اعتمادا على المقابلة اللطيفة بين مصدرها(صدرت) ووردت، وبين شقرا(بدم) وشهبا(بدون دم).

ومن الصور البديعة صورة المعالي التي شبهها بالسحاب الذي يغدو ويروح ليسقي الثرى ما يلبث أن يقول إن خيره شبيه بلبن - أو دِرّتَها – الأبل يشبع ظمأ كل من يشربه، وتتجلى براعة الشاعر في تجسيد المعاني العقلية-صورة المعالي- ونقلها إلى مشاهد بصرية :

إنّ المعالي مُـذْ نَـشَـأنَ سَحَـائِـبٌ

تَسْقِي ثَـراكَ غُـدُوّهـا ورَوَاحَها[١٢٠]

فَـوَضَـعْـتَ دِرّتَـهـا وَقُـدْتَ زِمَامَها

فَتَسَكّبَتْ بك بِشْرَها وَسَمَاحَها

وتتعدد المصادر التي يستعير منها صوره، ففضلا عن الطبيعة وساحة الحروب يستعير من القرآن الكريم، فصورة الرياح التي تلقح الغيوم حتى تتنزل الأمطار، أو الرياح سبيل استمرار الحياة في قوله:

كـــأنّ نَـعَـامَ الـــدّوّ بـاضَـتِ بـأفْـقِـهِ

وقد لقَحَتْ هُوجُ الرّياحِ به سُحْبَا[١٢١]

مأخوذة من قوله تعالى" وأَرْسَلْنَا الرِّيَاحَ لَـوَاقِحَ"[١٢٢]، وفي البيت صورتان ففضلا عن الصورة التي استعارها من القران الكريم نجده في الشطر الأول يشبه كثافة جيش الخليفة وكبر حجمه بكبر حجم وكثافة بيض النعامة في الفلاة.

الخاتمة:

تعددت الموضوعات في شعر ابن المنخل الشلبي، وكان على رأسها المديح الذي عمد فيه إلى ذكر الفضائل الأخلاقية للممدوح(شجاعة- كرم- ....)، وتصوير الصراع الديني ما بين

الخليفة المسلم وأعدائه النصارى، كما لم تخرج مدائحه عن النمط السائد في قصيدة المديح في العصر الموحدي، وهو الغلو والمبالغة في وصف خليفة الموحدين، فضلا عن طول القصيدة الذي قد يصيب القارئ بشيء من الملل. كما عكست موضوعات شعره عن مشاركته للأخرين حزنهم (في أخوانياته مع صديقه الوزير المنكوب ابن المنذر) وفرحهم (تهنئته لمولود). كذلك لم يخل شعره من مجاراة روح العصر كالغزل بالمذكر، كما قاده ضعفه وكبر سنه لرثاء ذاته قبل أن تخترمه المنية.

تأثرت لغته- لاسيما في قصيدة المديح- بأجواء الحرب والقتال التي استعار الكثير من ألفاظها، كما تعددت أساليبه اللغوية في أداء المعنى، فكان التكرار والجمل الشرطية والحال والحذف، ولم يغفل عن العناصر القديمة، ومنها استعارة شعر القدماء وتضمين الأمثال العربية ومحاكاة النماذج الممتازة "بائية المتنبي".

على غرار اهتمامه بألفاظه عُني بتجويد معانيه وتحسينها، فكان أن أفاد من تجاهل العارف في المبالغة، ومن التضاد في رسم صراعات الحياة وتقلباتها، ومن مراعاة النظير في إحداث ضرب من الائتلاف والتآخي بين المعاني.

لم تخرج موسيقاه عن العروض الخليلي وعن الأبحر الأكثر شيوعا، كالكامل والطويل، كما اهتم بموسيقاه الداخلية فأكثر من الازدواج والتقابل الأفقي.

أما صوره الفنية فتميزت بتنوع وسائل بنائها (التشبيه الاستعارة)، وتعدد مصادر استيحائها(طبيعة- ساحة حرب- قرآن كريم)، فضلا عن تفاوتها مابين الصورة السريعة والكثيرة التفاصيل(صورة الخيل)، وكان إذا أعجبته صورة عمد إلى إعادتها مرة أخرى(صورة الخيل - صورة السيف والخمر).

شعره:

١

من الكامل

يا مُلْبِسي النُّعْمى بحُسْنِ ثنائه
وَمُمَيِّزي نَقْدًا بِصِدْقِ وَلائِهِ
أَلْقَى عليّ مَدِيحَهُ فلبِسْتُهُ
بُرْدًا وَرَدّ علىّ فَضْلَ رِدَائِهِ
وأعَارَنِي مِنْ خُلْقِه وَصِفَاتِهِ
فَسَحَبْتُ ذَيلَ الوَشْيِ من صَنْعَائِهِ
لَبّيْكَ مِنْ دَاعٍ تَيَمّمَ حُبُّهُ
قلبي فَصَيّره إلى سَوْدَائِهِ
إنْ كان أبْنَاءُ الزّمانِ تَشَبّهُوا
بأبِيهِمُ مَا أنْتَ مِنْ أبْنَائِهِ
فَذَرِ الحَسُودَ لِمَا به فدواؤُهُ
في مَوْتِهِ وحياتُهُ من دَائِهِ
لله دَرُّكَ مِنْ فَتًى عَبَثَتْ به
أيدي الزّمانِ فأخْلَفَتْ بَعَلائِهِ
أفْدِيه مِنْ حُرٍّ جَفَاهُ زَمَانُهُ
لو كان يَسْمَحُ دَهْرُنا بفدائِهِ
قَدْ كان مِثْلَ السّهْمِ يَنْفُذُ في الوغى
والنّصْرُ مَعْقُودٌ برأسِ لوائِهِ

شَهْمًا إذا دَجَتِ الخُطوبُ تبلّجَتْ

لـعُـقُـولِـنـا الأقْـمَـارُ مِـنْ لألائِـهِ

شِـيـمٌ كـأزْهَـارِ الـرّبـيـعِ وراءهـا

هِـمَـمٌ تَـحُـطُّ الـنّـجْـمَ من عليائِهِ*

وإذا تَـرَقّى مِـنْـبَـرًا لِـمُلِمّةٍ

عَطَفَ الـقُـلُـوبَ على مناهجِ رائِـهِ

كـانـت لـيـالـيـه نُـجُـومُ زَمَـانِـنَـا

فـتَـنَـاثَـرَتْ حُـمَـمًا على ظَـلْـمَـائِـهِ

التخريج:

الحلة السيرا: ٢/ ٢٠٩-٢١٠

*في الحلة غلوائه: والصواب عليائه، ففضلا عن صحة المعنى مناسبتها للفعل تحط.

المناسبة:

بعث ابن المنذر بعد نكبته لابن المنخل بقصيدة مطلعها:

يـا واحـدي مـن ذا الـورى بولائه

ووحـيـدهـم إن نـاظـروا بـذكـائـه

فأجابه ابن المنخل بالقصيدة أعلاه.

٢

من المتقارب

هـــلالٌ تَـألّـقَ أمْ كَـــوْكَـبُ

وَبَـحْـرٌ تَـدَفّـقَ أم مُـذْنَـبُ

بـدا طـالِـعًـا فـي سَـمَـاءِ الـعُـلَـى

فـأشْـرَقَ مِـنْ نُـورِهِ الْـغَـيْـهَـبُ

ولا غَـرْوَ أنْ تَـتَلاقَـى الـبُـدُورُ

فَـيُـولَدُ لِلْقَمَـرِ الْـكَوكَـبُ

التخريج:

لمح السحر من روح الشعر: ١٦١

المناسبة:

قال هذه الأبيات في التهنئة بمولود اسمه قمر.

٣

من الطويل

فَتَحْتُمْ بِلادَ الشّرْقِ فاعْتَمِدُوا الغَرْبا

فـإنّ نَسِيمَ النّصْرِ بالفَتْحِ قد هَبّا

أصَرْتُم إلـيـه الخَيلَ وهـي أجَـادِلٌ

فَسَالَتْ بكم بَحْرًا وطَارَتَ بكم رَكْبَا

ودُسْتُم بـهـا هامـاتِ كُـلِّ مُضَلّلٍ

ولم تَتْرُكوا عُجْمًا هناك ولاعُرْبا

رمَيتُمْ بها مِثْلَ السّهامِ فأصْبَحَتْ

كُـمَـاتُـهُمصَرْعـىوأمْـوالُـهُمنَـهْبَـا

أتَـوْكُـم يَـجُـرّون الـحَـدِيدَ سَوَابِغا

كأنّـهُـمُ الـبَـحْـرُ الغُطَامِطُ* قد عُبّا

وظَنّوا- وفـي الظّنّ الجَهَالَةُ- أنّهُم

يفلّون من أجنادِكَ الصّارِمَ العَضْبَا

فلَمّـا تَـلاقَيتُمْ وَبَيّـنَـتِ الـوَغَـى

تـولّوْا وقد طَـارَتْ قُلُوبهم رُعْبَا

أضَلّتْهُمُ البِيضُ الصّوارمُ والْقَنَا

فَكَانَتْ لهم رَفْعًا وكانُوا لها نَصْبَا

وقَادَتْـهُـمُ تلك السّيوفُ إلى الرّدى

ومـاغَـادَرَتْ سَهْلَ الْقِيَادِ ولا صَعْبَا

ورامُـوا فِـرَارًا والـرِّمَـاحُ تَنُوشُهُم ... فتأنَفُ أنْ تُسْقَى بها البَارِدَ الْعَذْبَا

فما قطعوا فَجًّا ولا سَلَكُوا شِعْبَا ... تَعَافُ غَيرَ الماءِ صَفْوًا فإنْ جرى

وخَرُّوا جميعًا هَـامِدِين كـأنّهُم ... به مـن دَمِ الْأعْـداءِ أفْـنَـينَهُ شُرْبَا

نَدَامى تَسَاقوا بينهم أكؤسَ الصّهْبَا ... ومـن تَـخِـذَ الآسَـادَ عُدّةَ حَـرْبِهِ

تَغَشّتْهُمُ سُودُ المنايا فأصْبَحْتْ ... أعَـدّ مُـجَاجـاتِ الـكُلوم لـه شِرْبَا

مَـفَـارقُهم تَغْشَى الجَـنَادلَ والتُّرْبَا ... يـلـوذُون في الهَيجَا بـأرْوَعَ مَاجِدٍ

وَهَـبّت عليهم رِيـحُ بَـأسِكَ حَرْجَفا ... إذا دارت الهيجاءُ كـان لها قُطْبا

فمـا تَـرَكَتْ نَبْعًا عَلَيهم ولاقَضْبَا ... وإنْ عَصَفَتْ رِيحُ الوغى أحْدَقُوا به

لقد حَكّمَتْ فيهم ظُبى الهنْدِ رَأيَهَا ... فكانوا لـه جِسْـمًا وكـان لهم قَلْبَا

تُقَتّلهُم ضَـرْبًـا وتُـوسِـرُهُم سِـرْبَا ... مَـلِـيكٌ كـأنّ الأرْضَ قَـبْضَـةُ كَـفّـه

وكانوا لهم جُنْدًا فصاروا غَنِيمَةً ... فلا بُعْدَ فِـيمَـا يَـنْـتَـحِيه ولاقُرْبَـا

كذلك مـن يُـزْهَـى بـآرائه عُجْبَا ... لكَفّيهِ فَضْلٌ بـان عن كُـلِّ فاضِلِ

قَـرُوكم عِـتَـاقًا شُزّبًا وعَواتِقـا ... إذا شَدّ عَقْدَ السّلْمِ أو بَعَثَ الْحَرْبَا

بما قد قَرَاهُمْ جَيشُك الطّعْنَ والضّرْبَا ... إذا أجْـدَبَـتْ أرْضٌ نَحَاها بِـجُـودِه

أقيموا إلى ابْنِ الرّيْقِ بعد صُدُورها ... فما أغْزَرَ السُّقْيا وما أكْثَرَ الْخَصْبَا

وليس عليكُمْ أن تُـرى ضُـمّـرًا قُبّا ... ولـو عَـلِـمَ الـنّـاسُ الـخَـفِـيّـاتِ أمْـرَه

رعَتْها الفيافي فاسْتَدَقّتْ جُسُومَها ... لما درسُـوا صُحْفًا ولا صَنّفُوا كُتْبَا

بما قد رَعَتْ فيها الكلا يابِسًا رَطْبَا ... وقـد كـان هـذا الـدّيـنُ ولّـى شَبَابُه

عليها رِجَـالٌ كـالْـقِـداحِ وإنّـمـا ... فلما تـوَلّـى الـدّيـنُ لم يَعْدُ أنْ شَبّا

يكونون في الهيجاءِ هِنْدِيةً قَضْبَا ... إذا مـا ذَكَـرْنَـاهُ وقـد ضَـاقَ أمْـرُنـا

فـإن تبدؤا بالغربِ فالفَتْحُ واضِحٌ ... تَـفَـرّجَ حتّـى صـار مُـتّسِـعًا رَحْـبَـا

وإنّ نُـجُـومَ الـدّينِ طَـالِـعَةٌ غَـرْبَـا ... كـذلـك مَـنْ يَـلْـقَ الْـخَـلِـيـفَـةَ تَـلْـقَـه

ضَـمَـانٌ عليكُمْ أنْ تبيحُوا حَرِيمَهُ ... بَشَائِرُ يَسْتَجْلِي بها السّهْلَ والرّحْبَا

وأن تكسروا فيها التّماثِيلَ والصّـلْبَا ... نسينا بـه أبـاءَنَا وديـارَنَـا

وأنْ تُـوردُوهـا نَهْرَ دُوَيْـرْ صَوادِيا ... فها نحنُ لا نَـرْتَـاحُ إنْ ذكـروا شِلْبَا

بلادٌ قَضَى فيها الشّبابُ مآربي
وأبقى لنفسي ما بَقِيْتُ بها أرْبَا
تُبَشّرُنا عنه الصّباحُ بِغُرّةٍ
إذا طلعَتْ حَيّتْ ببهجَتِها الرّكْبَا
فَقُلْ لابْنَ رِيمُنْد تأهّبْ لغَزْوَةٍ
يَسُدُّ عليكم جَيْشُها الأفْتَحُ السّهْبَا
إذا جُرّدَتْ فيها السُيوفُ حسِبْتَها
جَدَاولَ رَوضٍ والرّمَاحَ به قَضْبَا
كأنّ نَعَامَ الدّوّ باضَتِ بأفْقِهِ
وقد لقَحَتْ هُوجُ الرّياحِ به سُحْبَا
وإنْ عَثَرَتْ أعْلامُهُ لمُحَارِبٍ
جرى دَمُه من تحتها وابِلاً سَكْبَا
وإنْ لَقِيَتْ هَضْبًا حَوَافِرُ خيلِهِ
أصارتْهُ سَهْلاً لا ترى فَوْقَه هَضْبَا
إذا جاوزَتْ دَرْبًا إليكم فإنما
يَجُوزُ وشِيكُ الموْتِ نَحْوَكُم دَرْبَا
وإنْ يَقْضِ نَحْبًا مِنْهُمُ ذو بسالَةٍ
فَمِنْ نَفْسِ جَبْارٍ لَكُمْ يَقْتَضِي النّحْبَا
ويسْتَنْشِدُ البَطْرِيقُ في عَرَصَاتِكم
فَدَيْنَاك مِنْ رَبْعٍ وإنْ زِدْتَنَا كَرْبَا
أمُرْسِلَها شُعْثَ النّواصِي سَوَاهِما
ومُصْدِرُها شُقْرًا وقد وَرَدَتْ شُهْبَا
تَرَفّقْ عليها إنّها خَيرُ مَكْسَبٍ
وأفضلُ مَالِ المَرْءِ أفْضَلُه كَسْبَا
فلو لم تُجِزْها السُفْنُ نحو عدوّها
لجازت إليه البَحْرَ تَقْطعُه وَثْبَا
فما أعْطَتِ الْعُرْبُ الْقِيَادَ طَوَاعَةً
ولا أسْمَحَتْ ودًا ولا أذْعَنَتْ حُبّا
ولكن رأتْ شُهْبَ الْهُدى مُسْتَنِيرةً
فخَافَتْ رُجُومًا من أسِنّتِه شُهْبَا
رأوا بك دَينَ الله كيف اعْتِزَازُهُ
وأنْتُمْ لَه حَزْبٌ فكانوا لَه حَرْبَا

التخريج:

المن بالإمامة : ٩٥-٩٨، البيتان الأول والثاني: البيان المغرب:١٤٦/٣

*في المن: الغمالط والصواب ما أثبتناه

المعاني:

الغطامط: البحر العظيم الكثير الماء

تنوشهم: تصيبهم

تغشتهم: لابستهم

الحرجف: الريح الباردة

قروكم: أكرموكم

عتاق: جمع عتيق هو الأصيل من كل شيء

شزب: جمع شازب وهو الضامر لا المهزول من الخيل

القب: العظم الناتئ من الظهر ويقصد به الهيف

مجاجات: مج الشيء إذا رماه أو لفظه

الدو: الفلاة

البطريق: كبير الأساقفة

المناسبة:

قالها مادحا خليفة الموحدين عبد المؤمن بن علي وقد نزل بجبل الفتح سنة ٥٥٥هـ

٤

من الكامل

تَهْنَ الْـخِلافَـةُ أنْ جَلَـوتَ صَبَاحَها
ومَـدَدْتَ من نُـورِ الهُدَى أوْضَاحَها
وعَقَدْتَ عَقْدَك في الوفاءِ وَعَهْدَها
ووَصَلْتَ رَاحَـك فـي الـعَلاءِ وراحَها
وَوَفَـرْتَ من حُسْنِ السِّياسَةِ حَظّها
فَـحَمَـيْتَ جانبها ورشت جناحها
صَدَقَتْ أمِـيرَ الـمؤمنين فِرَاسَـةٌ
لاحَتْ كضَوْءِ الصُّبْحِ حين ألاحَـها
لكنّـا عَـيْـنُ الـيَـقِـيـنِ بـأنّـهـا
قد أوْقَـدَتْ بك للهُدى مِصْباحَها
لـم تَـحْـوِها حَـتّـى حَـوَيْـتَ فَضَـائلا
شَـدّتْ إلـيك نِـطَـاقَـها ووشَـاحَـها
إنْ كـانَـتِ الـنّـعـمـاءُ كُـنّ سَحَابَها
أو كـانَـتِ الْـهَـيْـجـاءُ كُـنّ سِلاحَـهَـا
إنْ أهْـلَـكَ الأعْـداءَ رِيـحُ عذابها
بـعَـثَـتْ لأحْـيـاءِ الـعُـفَـاةِ رِيَاحَها
شَـرَدَتْ زَمَـانًـا عن أكُـفِّ مَعَاشِرٍ
نَـسِـيَـتْ لديك شُـرُودَهـا وجِمَاحَها
قَـامَـتْ وقد حَـمِـدَتْ إليك مَقَامَها
وَزَكَـتْ فلم تَطْلُب إليك سَرَاحَها
قَـامَـتْ خَلائـقُـك الـكِـرامُ بَوصْفِها
طَـوْرَ الـمديحِ فَـأفْـحَـمَـتْ مُـدّاحَـها
رَدّتْ على الخُطَباءِ والشُّعراءِ في
حَـوْكِ الـكلامِ فَعَطّلَتْ أمْدَاحَها
فَالْبَسْ مَحَاسِنَها وَجُـرّ ذُيُولَها
فاللهُ قَـدّرَهـا لَـكُـم وأتَـاحَـها
سُسْتَ الـزّمانَ وأهْلَـهُ بِشَمَائِلٍ
ضَمِنَتْ لـغـايـاتِ الأُمُـورِ صَلاحَها
إنّ المعالي مُـذْ نَـشَـأنَ سَحَـائبٌ
تَسْقِي ثَـراكَ غُـدُوّهـا ورَوَاحَـها
أخْضَلْت من مَـاءِ الحياة مُـرَادَها
فَغَـدَتْ تُبوّئُ فـي ذَرَاك مَـرَاحَها
وَجَـرى بـذاك الـعَذْبُ في شَجَراتِها
فَثَنَتْ علـيك غُـصُـونُها أمْـدَاحَها
فَـوَضَـعْـتَ دِرّتَـهـا وَقُـدْتَ زِمَامَها
فَتَسَكّبَتْ بك بِشْرَها وَسَمَاحَها
والـمَأثُـرَاتُ إذا اعْـتُبِـرنَ فـإنّـما
طُـبِعَتْ جُـسُـومًـا كُـنْتُمُ أرْوَاحَها
سَلْسَلْتُمُ راحَ الـمَـكـارِمِ للورى
فَسَـقَـيْتُـمُـوه نَـمِـيرَهـا وقَـرَاحَها
مَرَحَتْ جِيادُك ليس يَثْنِيها السُّرى
ولأمْـرِ غَـيبٍ مـا تُـطِـيـلُ مَـرَاحَها
وَشَـرَتْ سُيوفُك بالعلى أغْـمَـادَهـا
يَـومَ الْـوَغَى فاسْتَجْزَلَتْ أرْبَاحَها
تَسْقِي الـعُـدَاةَ سِمَامَها فكأنّـها

أيْـدٍ تُـصِـفّـقُ للـنّـدَامَى رَاحَها
قـد غَيّضَتْ أنْـهَـارَها وَتَـحَـرّقَـتْ

بأكُفّ طَائفَةٍ تَرَى يـومَ الْـوَغَى
أشَـجّـارَهـا وتَـكـفّـأتْ أقْـدَاحَـهـا

بِفَنَـائِهـا أنْ تَـسْـتَـحِـدّ فَـلاحَـهـا
كَلِفَتْ بهـا أعـداؤُهـا حـتـى لقد

هَـجَـرَتْ لأطـرافِ الـرّمـاحِ سِهَامَها
أخَـذُوا عليها نَـجْـدَهـا وَبِـطَـاحَـهـا

وَنَـفَـتْ لأشْـفَـارِ الـظُّـبى أرْمَـاحَها
مـا ضَـرّنا إنْ غَـلّقُـوا مـا حولها

تَخْتَارُ مِـنَ بِيضِ السُّيوفِ فَلِيلَها
إن كـان سَـيْـفُـك بعدها مِفْتَاحَها

وَتَـذُمّ من سُمْرِ الـرّمـاحِ صِحَاحَها
وأنـا الـزّعِـيـمُ إذا أشَـرْتَ بلحظةٍ

وتَـظَـلّ إنْ سَـفَـعَ الحَدِيدُ وُجُوهَها
أنْ تَـسْـتَـرِدّ عِـداءَهـا وطِـمَـاحَـهـا

صَبَغَتْ بِـتَـامُـورِ القُلُوب صِفَاحَها
فعلى سيُـوفِـك أنْ تَـبِـيـدَ كُماتَها

وإذا دَعَـاهُـم صَـارِخٌ لِـكَـرِيـهَةٍ
وعلى جُيوشِكَ أنْ تُـرَوّح سَاحَـها

طـارُوا لها بِيْضَ الوجوه صِبَاحَها
أشْـكُـو إليك مِـنَ اللّيالي إنّـهـا

مُتَـهَـلّلِين كـأنّ فـي قَـسَـمَـاتِـهم
قد أبْرَحَـتْ بِظَـلامـتي أبْـراحَـها

سُـرُجًـا تُـبَـيّـنُ تَـحْـتَـهـا أشْبَاحَها
كَـمْ رُمْـتُ أنْ ألْـقَـاكُمُ وتَصدُّني

أنـت الـذي إنْ حَـلّ رَبْـعَـك طَـارِقٌ
نُـوَبٌ تُـنِـيخُ بساحتي أتْرَاحَها

ألْـقَـتْ لك الْـكُـوَمُ الـعِـتَـاقُ رِمَاحَها
وَتَـضِـيـقُ نفسي ثم أجري ذِكْـرَكُـم

وتَخَاضَعَتْ ذُلُلًا إليـك رِقَابُـها
فتـظَـلّ تَسْتَـدنِي إلـيّ نَجَاحَها

تُزْجِي إلـيـك هِـجَـانَـها وَلَـقَـاحَها
إنْ كـان دهـري يبتغي إفْسَادَها

وإذا امْتَطَى ظَهْرَ الحِصَانِ رأيتَهُ
بِجَمِيل رأيـك قـد أسَـوْتَ جِرَاحَها

بَـدْرَ الـكَـتَـائِبِ لَـيْـثَـها جَحْجَاحَها
قَلِقَتْ ركابي من مُـعَـاودَةِ السُّرى

وإذا امْتَـرَيْـتَ نَـوالَـهُ ألْـفَيْتَـه
وَحَـمَـدْن رأيـي حين كُنْتَ صَبَاحَها

سَمْحَ الـخَلائِـق جَزْلَها وَضّاحَها
وَصَـلَـتْ إلـى مَـلِـكِ الْـهُدى فأعاذها

يـا رَوْضَـةً لـلآمِـلِـيـن وَجَـنّـةً
ممّـا شَكَتْهُ مـن السُّـرى وأرَاحَها

تدعُو بَـحَـيّ على الـنّدى مِنْاحَها
وإليكَهَا قـد بَيّـنَتْ عـن طـاعَـةٍ

إنّ الأ عـادي لاتَـزَالُ تـعـهـدهـا
قَصَرَتْ عليكم مَحْضَها وصَرَاحَها

تُـورِي بِـشِـلْـبَ مَـغَـارِهـا وكِفَاحَها
وَشَـدَتْ بِـذِكْـرِكُـمُ الْجَمِيلِ فَعَطّلَتْ

زَهْـرَ الْـحَدائِقِ وَرْدَهـا وَصَبَاحَها

التخريج:

المن بالإمامة :١٧٣- ١٧٥، ١-٣ لمح السحر في روح الشعر،١٦٣

المعاني:

أوضاحها: جمع وضح وهو الضوء أو بياض الصبح

درتها: الدرر في البيت هو الحليب

صفق الشراب: مزجه

التامور: غشاء القلب وأراد الشاعر دم تامور القلب

الكوم: الأبل عظيمة السنام

رماحها: يقال للناقة إذا سمنت ذات رمح وللنوق ذات رماح وذلك لأن صاحبها إذا نظر إليها ضنَّ بها

هجان: البيض الكرام

لقاح: الناقة التي نتجت ووضعت

امتريت: مرا الشيء أي استخرجه وهنا بمعنى اختبرته

نواله: عطاؤه

الزعيم : الضامن

المناسبة:

قالها بجبل الفتح مهنئا الخليفة الموحدي يوسف بن عبد المؤمن وقد بايعه آخر إخوته.

٥

الدال

من مجزوء الوافر

يقول ابن المنخل لابنه أجز:

تَنِقٌ ضَفَادِعُ الوادي

فقال ولده:

بِصَوتٍ غَيرِ مُعْتَادِ

فقال ابنُ المنخل:

كأنّ ضَجِيجَ مُعْوِلِها

فقال ولده:

بَنُو الملّاح في النادي

فقال ابنُ المنخل:

وَتَصْمُتُ مِثْلَ صَمْتِهِمُ

فقال ولده:

إذا اجْتَمَعُوا على زادِ

فقال ابنُ المنخل :

فلا غَوْثٌ لِمُلْهوفٍ

فقال ولده :

ولا غَيْثٌ لِمُرْتَادِ

التخريج:

زاد المسافر: ١٣٠، رايات المبرزين/٩١-٩٢، المغرب فى حلى المغرب:٣٨٧/١ وفيه أخلَّ بالبيتين الثالث والرابع، شرح مقامات الحريري، ١١٢/٣، نفح الطيب:٥٢٠/٣

الروايات:

في رايات المبرزين: مقولها بدلا عن معولها

في شرح مقامات الحريري ونفح الطيب: نقيق مقولها بدلا عن ضجيج معولها

وفي شرح مقامات الحريري تصحيف للاسم إذ سماه ابن المبجل بدلا عن ابن المنخل

المناسبة:

كان بين ابن المنخل وبلدِيِّه ابن الملَّاح مباعدة، فنشأ ابناهما على ذلك، فعتب ابن المنخل ولده على شتمه ولد ابن الملاح, فأنشد هجاء فيه لولد ابن الملاح، وكانا على واد تنق ضفادعه، فقال أبوبكر ابن المنخل لابنه أجز. فكانت الأبيات أعلاه.

٦

الراء

من مخلع البسيط

وَفَاتِكِ الطَّرْفِ ذِي احْوِرارِ
خَدّاهُ لِلوَرْدِ والْبَهَارِ
كالغُصْنِ في قَدِّهِ ولكن
كالظّبي في الجِيدِ والنِّفَارِ
دَارَيْتُه والزّمانُ يَلْوِي
أطْرَافَ لَيْلِي على نَهَارِي
فَكُلّما رُمْتُ منهُ وَصْلا
لَجَّ في التِّيه والنِّفَارِ
حَتّى إذا كان بَعْدَ حِيْنٍ
ألْجَمَهُ الدّهْرُ بالعِذَارِ
فَجاء سَمْحَ العِنَانِ سَهْلا
على مُرَادِي وباخْتِيَارِي

التخريج:

زاد المسافر:١٢٩

٧

من الطويل

تَجَافَ عَنِ الدُّنْيا وَعَنْ بَرْدِ ظِلِّها
فإنّ بُرُودًا لا يَدُومُ حَرُورُ
فَدَيتُكَ لا تَأسَفْ لِدُنْيَا تَقَلّصَتْ
وأوْحَشَ يَومًا مِنْبَرٌ وسَرِيرُ
وإنْ عَرِيَتْ جُرْدُ المَذَاكِي وَذُلِّلَتْ
أسُودٌ فلَمْ يُسْمَعْ لهُنّ زَئَيرُ
وَغُودرتِ الرّاياتُ تَهْفُو كَأنّها
جَوَانِحُ مِنْ ذُعْرٍ عليك تَطِيرُ
وكانَتْ ولم تُذْعَرْ عليك كأنّها
إذا رَفْرَفَتْ يَومَ الهِياجِ نُسُورُ
طَلَبْتَ وَفاءً والوَفاءُ سَجِيّةٌ
وَلَكِنّها أُمُّ الوَفاءِ نَزُورُ
رأيْتُكَ تَبْغِي مِثْلَ نَفْسِكَ في العُلا
طِلابٌ لَعَمْري ما أرَدْتَ عَسِيرُ
ومَنْ ذا الذي يَسْمُو سُمُوّك للعُلا
وَيَعْفُو عَنِ الزّلّاتِ وهو قَدِيرُ

التخريج:

الحلة السيراء:٢/٢١٠

المناسبة:

الأبيات أعلاه يجيب بها شاعرنا على قصيدة بعثها له صديقه ابن المنذر وقد خلع من منصبه، وسملت عيناه يقول ابن المنذر في مطلعها:

لئن غض منك الدهر يوما بأزمة

فحسبك أن تلقى وأنت صبور

٨

من الكامل

إنْ يَنْقَلِبْ لَيلُ الشَّبَابِ نَهَارا

فَلَقَدْ أجَدّ بنا المَشِيبُ عِثَارا

فَوَدِدْتُ أنّ الليلَ أصْبَحَ حَاضِرا

عندي وأنّ الصُّبْحَ كان ضِمَارا

كُنّا نَرَى أنّ المَشِيبَ جَلالَةٌ

حَتّى لَبِسْنَاه فكان بَوَارا

قالوا: وَقَارٌ قُلْتُ : وَاوٌ أُقْحِمَتْ

ما تُبْصِرُ الحَسْنَاءُ إلا قَارا

التخريج:

زاد المسافر: ١٢٩

٩

الفاء

من الطويل

أقَدُكَ أم غُصْنٌ مِنَ الْبَانِ أهْيَفُ

ولَحْظُكَ أم سَيفٌ مِنَ الْهِنْدِ مُرْهَفُ

ومنها:

فقالوا أغَزْوٌ قُلتُ : لا شَكّ أنّه

فقالوا فَمَنْ يَغْزُو العِدَى قُلتُ:يُوسُفُ

سَلِيلُ أمِيرِ المُؤْمِنين وَكَفُّهُ

وصَارِمُهُ العَضْبُ الذي يُتَخَوّفُ

التخريج:

البيان المغرب: ١٤٦/٣

المناسبة:

قالها في مدح يوسف بن عبدالمؤمن عندما كان واليا على إشبيلية، وقد اكتفى المراكشي- سامحه الله- بثلاثة أبيات فقط- جريا على طبيعة كتابه المهتم بالأحداث التاريخية- لكنه ذكر أنها قصيدة طويلة.

١٠

من السريع

مَنْ دَلّنِي مِنْكُمْ على شَاعِرٍ

يَمّمَنِي بالْهَجْوِ ثُمّ اخْتَفَى

مَنْ دَلّنِي مِنْكُمْ على عَيْنَهِ

حَكّمْتُهُ في صَفْعِ ذاك الْقَفَا

التخريج:

زاد المسافر:١٢٩- ١٣٠

١١

القاف

من الكامل

ما ضَرّها - وهي الجَمَالُ- بأسْرِهِ

لو أنّها زُفّتْ إلى عُشّاقِهَا

التخريج:

تحفة القادم : ٦٤، الوافي بالوفيات : ١٤٧/١٠

المناسبة:

حكى أحد الأدباء أن ابن سكن الشلبي الشاعر كان بمجلس أنس على نهر شلب بالجسر وقد تعرضت هناك أحدى الجواري بجوار الجسر وذكرته عيون المها، فلما بصرت به رجعت عن وجهها، وسترت ما ظهر من محاسن وجهها، فقال ابن سكن:

وعقيلة لاحت بشاطئ نهرها
كالشمس طالعة لدى آفاقها
فكأنها بلقيس وافى صرحها
لو أنها كشفت لنا عن ساقها
حورية قمرية بدوية
ليس الجفا والصد من أخلاقها*

ثم لقى أبابكر بن المنخل فأنشده هذه الأبيات فقال البيت أعلاه.

*ذكر صاحب الوافي البيتين الأول والثاني وأخل بالبيت الثالث

١٢

النون

من الطويل

مَضَتْ لِيَ سَبْعٌ بَعْدَ سبعينَ حِجّةُ
ولي حَرَكَاتٌ بعدها وسُكُونُ
فَيَالَيتَ شِعْرِي أيْنَ أوْ كَيفَ أو مَتَى
يَكُونُ الذي لابُدّ أنْ سَيكُونُ

التخريج:

زاد المسافر: ١٣٠، الذيل والتكملة: مج ٤/ ١٠٤، تاريخ الإسلام :٢٠٢/١٢، المستملح:٦١، نفح الطيب: ١١٧/٤، الأولياء والعلماء بتلمسان: ٣١١

الروايات:

في الذيل والتكملة ونفح الطيب والمستملح وتاريخ الإسلام ست بدلا عن سبع

١٣

الياء

من الطويل

بأيِّ حُسَامٍ أرْفَعُ الخَطْبَ بَعْدَمَا
فَقَدْتُ الحُسَامَ المُنْذِرِيّ اليَمَانِيا
وَمَنْ لي بِمِثْلِ المُنْذِرِيّ مُحَمّدٍ
صَدِيقًا صَدُوقًا أو خَلِيلاً مُصَافِيا
وقد كُنْتُ أسْتَدْنِي البَعِيدَ برأيه
فَيَأْتِي على حُكْمِ الإرَادَةِ دَانِيا

التخريج:

الحلة السيراء:٢١١/٢

المناسبة:

الأبيات في رثاء صديقه ابن المنذر الوزير

ما نسب له وهو لغيره:

من الكامل

كَمْ لَيلَةٍ دَارَتْ عَلَيّ كوَاكِبٌ
للخَمْرِ تَطْلُعُ ثُمّ تَغْرُبُ في فمي

قَبّلْتُها في كَفِّ مَنْ يَسْعَى بها
وخلَطْتُ قُبْلَتَها بِقُبْلَةِ مِعْصَمِ
وكأنّ حُسْنَ بَنَانِه مع كَأسِهِ
غَيْمٌ يُشِيرُ لنا بِبَعْضِ الأنْجُمِ

التخريج:

نفح الطيب: ٧٣/٤

وفي كتاب التشبيهات ص ١٠٢ تنسب لمحمد إبراهيم بن أبي الحسين والشطر الثاني من البيت الثالث:

.....غـيـم
تنشب فيه بعض الأنجم

والأبيات ليست لابن المنخل - كما يقول المقري- فقد رواها ابن الكتاني في كتاب التشبيهات لمحمد بن إبراهيم بن أبي الحسين، والمعروف أن ابن الكتاني توفي سنة ٤٢٠ه، أي قبل مولد ابن المنخل بأكثر من نصف قرن من الزمان فيستحيل إذا أن تكون الأبيات لصاحبنا. أغلب الظن أن الذي أوهم المقري هو التشابه بين اسمي صاحبنا والآخر.

(١) المقتضب من كتاب سمط الجمان، لابن الإمام الأستجي، تح: حياة قارة، دار الثقافة، الدار البيضاء، ط ٢٠٠٣، ص ٦٥. التكملة، لابن الأبار،

الحواشي

تح: عبد السلام الهراس، دار الفكر، بيروت، ط١ ١٩٩٥، ٢٧/٢، زاد المسافر وغرة محيا الأدب السافر، لصفوان بن إدريس، اعتنى بنشره عبد القادر محداد، بيروت ١٩٣٩، ٨٧، المغرب في حلى المغرب، لابن سعيد الأندلسي، تح: شوقي ضيف، دار المعارف، القاهرة، ط ٤، ٣٨٧/١ (وقد أسماه وحده ابن منخل)، رايات المبرزين وغايات المميزين، لابن سعيد الأندلسي، تح: محمد رضوان الداية، دار طلاس، دمشق، ط١، ١٩٨٧، ص ٩١، الذيل والتكملة، للمراكشي، تح: إحسان عباس ومحمد بن شريفة وبشار عواد، دار الغرب الإسلامي، تونس، ط ١، ٤:١٠٤/٢٠١٢، تأريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، للحافظ الذهبي، تح: بشار عواد، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط ١ ،٢٠٠٣، ٢٠٢/١٢، المستملح من كتاب الصلة، للذهبي، تح: بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي ، تونس، ط١، ٢٠٠٦، ٦١، الوافي بالوفيات، للصفدي، تح: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، دار إحياء التراث الإسلامي، بيروت، ط ١، ٢٠٠٠ ، الأعلام، للزركلي، دار العلم للملايين، بيروت، ط ١٥ ، ٢٠٠٢، ٢٩٥/٥، تاريخ الأدب العربي "عصر المرابطين والموحدين"، عمر فروخ، دار العلم للملايين، بيروت، ط١ ، ١٩٨٢، ص ٤٠٣.

(٢) المهري: نسبة إلى قبيلة مَهْرَة العربية اليمنية

(٣) شِلْبُ: مدينة بغرب الأندلس، وهي قاعدة كورة أكشوبنة، وهي بقبلي باجة، لها بسائط فسيحة وبطائح عريضة، ولها جبل منيف كثير المسارح والمياه، وهي حسنة الهيئة بديعة البناء، مرتبة الأسواق، وأهلها وسكان قراها عرب من اليمن وغيره وكلامهم بالعربية الصريحة، وهم فصحاء يقولون الشعر، بل قلَّ أن ترى من أهلها من لا يقول شعرا ولا يعاني أدبا، ولو مررت بالفلاح خلف فدانه وسألته عن الشعر قرض من ساعته ما اقترحت عليه، وأي معنى طلبته منه. وهم نبلاء خاصتهم وعامتهم، وأهل بوادي هذه البلدة في غاية الكرم لا يجاريهم فيه أحد" الروض المعطار في خبر الأقطار، للحميري، تح: إحسان عباس، مكتبة لبنان، بيروت، ط٢، ١٩٨٤، ص ٣٤٢، وتقويم البلدان، لأبي الفداء صاحب حماة، اعتنى بتصحيحه: البارون ماك كوكين، دار الطباعة السلطانية، باريس، ١٨٥٠م، ١٩٧، ومعجم البلدان، لياقوت الحموي، دار صادر، بيروت، د.ت.ط، ٣٥٧/٣

(٤) نقصد قوله:

مضت لي سبع بعد سبعين حجة

ولي حركات بعدها وسكون

فيا ليت شعري أين أو كيف أو متى

يكون الذي لابد أن سيكون

قال صفوان بن إدريس في زاد المسافر إنها آخر شعره قاله:٨٨

(٥) التكملة: ٢/ ٢٨

(٦) وقد جانب الصواب المرحوم عمر فروخ فذكر في هامش ص ٤٠٣ من كتابه تاريخ الأدب العربي "عصر المرابطين والموحدين" أن مولده كان في حدود سنة ٤٤٠هـ، وهذا أمر متعذر إذ يستحيل عقلا أن يكون قد عاش حوالي ١٢٠ سنة (٤٤٠-٥٦٠هـ)

(٧) عبد الله بن محمد بن إبراهيم بن المنخل المهري من أهل شلب له شعر. انظر الوافي بالوفيات: ٢٩٣/١٧

(٨) ولعل هذا ما جعل بعض المؤرخين، قدماء ومحدثين يخلطون بين شاعرنا وابنه عبد الله فينسبون لابنه عبد الله بعض شعر أبيه، فمن القدماء: الصلاح الصفدي إذ ذكر بيتين لابن المنخل الأب وهما في الأصل لابنه عبد الله، انظر: الوافي بالوفيات: ٩١/٢وإن جاء في ترجمته في مكان أخر لابن المنخل "الابن" فصَوَّبه. انظر: الوافي بالوفيات: ٢٩٣/١٧، ومن المحدثين: محمد عبد الله عنان، انظر كتابه دولة الإسلام في الأندلس" عصر المرابطين والموحدين"، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط ٢، ١٩٩٠، ٤/ ٦٧. وعبد المجيد عبيدات، انظر بحثه: مدينة شلب الأندلسية من الفتح وحتى السقوط، رسالة ماجستير، الجامعة الأردنية، ٢٠١٣، ص ١٧٤.

(٩) انظر مقدمة تحقيقه للمن بالإمامة: ٩

(١٠) التكملة: ٢/ ٢٨

(١١) نقصد قوله: يا طالبا علم الكلام تحققا

أبشر فقد أدركته بلقائه

انظر: الحلة السيراء، لابن الأبار، تح: حسين مؤنس، دار المعارف، القاهرة، ط ٢، ١٩٨٥ :٢٠٨/٢

(١٢) ابن المنذر: هو محمد بن عمر بن المنذر يكنى أبا الوليد، أحد أعيان شلب من بيت قديم في المولدين، لازم التعليم بإشبيلية حتى تميز بالمعارف الأدبية، ووليَ خطة الشورى ببلده، ثم تزهد، صاحب أحمد بن قسي الدعي، وقام في بلدته بدعوته، ولي له شلب. ثم خرج عليه، قُبض عليه وسمل عينيه، توفي سنة ٥٥٨ه: انظر الحلة السيراء: ٢٠٢/٢ وما بعدها

(١٣) السابق نفسه: ٢/ ٢٠٨

(١٤) دولة الإسلام في الأندلس العصر الثالث ، القسم الأول:٤٦٦

(١٥) انظر كتابها: الأندلس في نهاية المرابطين ومستهل الموحدين" عصر الطوائف الثاني " الأندلس في نهاية المرابطين ومستهل الموحدين" عصر الطوائف الثاني"، عصمت عبد اللطيف دندش، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط١، ١٩٨٨ :٧٣، وأحالت وصفه بشاعر المريدين ووزير ابن المنذر وكاتبه لابن صفوان في زاد المسافر، والحق غير ذلك، فابن صفوان لم يذكر عن ابن المنخل شيئا سوى شعره فقط، بينما كان ابن الأبار في الحلة السيراء هو -وحده- من ذكر أنه كان وزيرا لابن المنذر، كذلك وصفها له بالكاتب أيضا لم يذكره أحد ممن ترجم له. والواضح أنها نقلت عن المرحوم عنان- دون أن تشير له- قوله عن ابن المنخل "كان وزير ابن المنذر وكاتبه" ثم أخطأت في الإحالة، انظر عنان: دولة الإسلام في الأندلس العصر الثالث / القسم الأول:٤٦٦

(١٦) ذكر القدماء أن ابن حربون كان من شعراء ابن قسي الثائر، وأنه لازمه فترة ما لبث أن تركه. فلو كان صاحبنا ابن المنخل من شعراء ابن قسي لذكره القدماء مع ابن حربون بلديّه. انظر الحلة السيراء

:٢/ ٢٠١ ففيها أشعار لابن حربون يمدح فيها ابن قسي ثم يتركه هاجيا له.

(١٧) يقول المراكشي: "إنـه استفز عقول الجهال، واستمال قلوب العامة" ووصفه بأنه من دعاة الفتن ورؤوس الضلال" انظر كتابه: المعجب في تلخيص أخبار المغرب، تح: خليل عمران المنصور، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٩٩٨، ١٤٨، كما يقول عبد الوهاب التازي - رحمه الله- " إن ابن قسي استطاع بفضل دهائه وذكائه أن يجمع أنصارا آمنوا بأفكاره " انظر مقدمة تحقيقه لكتاب المن بالإمامة، ص: ٢٣. ولا نعتقد أن ابن المنخل كان من الدهماء الذين يؤمنون بمخاريق ابن قسي فكيف بدعم دعوته إعلاميا.

(١٨) البيان المغرب في اختصار أخبار ملوك الأندلس والمغرب، لابن عذاري، تح: بشار عواد ومحمود بشار، دار الغرب الإسلامي، تونس، ط ١، ٢٠١٣، ٣/ ١٤٦

(١٩) المن بالإمامة: ١٧٣

(٢٠) تاريخ الأدب العربي: ٥/ ٤٠٣

(٢١) التكملة: ٢/ ٢٨

(٢٢) تاريخ الإسلام:٢٠٢/١٢

(٢٣) كذلك أعرض عن ذكر تأريخ وفاته في معرض ترجمته له في كتابه المستملح من كتاب التكملة:٦١

(٢٤) الوافي بالوفيات:٩/٢

(٢٥) التكملة: ٢٨/٢ الذيل والتكملة:٤/ ١٠٤، تاريخ الإسلام:٢٠٢/١٢، المستملح:٦١، الوافي بالوفيات: ٩١/٢

(٢٦) الحلة السيراء: ٢١٠/٢

(٢٧) انظر: النص ٣

(٢٨) انظر القصة في: تحفة القادم: ٦٤، الوافي بالوفيات: ١٤٧/١٠

(٢٩) النص: ٢

(٣٠) النص: ١٣

(٣١) التكملة:٢٨/٢

(٣٢) السابق نفسه، الصفحة نفسها

(٣٣) الذيل والتكملة:١٠٤/٤

(٣٤) التكملة: ٢/ ٢٨٤-٢٨٥

(٣٥) عبد الله بن أحمد بن عبد الملك القيسي من أهل شلب، يكنى أبا محمد صحب ابن المنخل وروى عنه شعره، كان أديبا نبيها من أهل الذكاء والتيقظ، يقرض أبياتا من الشعر وتصرف في الأعمال بشرق الأندلس. انظر في ترجمته: التكملة: ٢/ ٢٨٤-٢٨٥

(٣٦) التكملة: ٢/ ٢٨٤

(٣٧) للتاكيد على ذلك خذ مثلا ابن عمار- أشهر شعراء شلب قاطبة- فلولا مغادرته شلب وارتباطه بدولة المعتمد بن عباد لظل خامل الذكر منسي السيرة.

(٣٨) النص: ٣

(٣٩) الشعر الأندلسي في عصر الموحدين، فوزي سعد عيسى، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، طبعة ١٩٧٩: ٩٤

(٤٠) انظر السابق نفسه: ٩٥

(٤١) النص: ٤

(٤٢) قصيدة المديح الأندلسية، دكتوره فيروز الموسى، منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب، دمشق، ط١، ٢٠٠٩، ١٥٨

(٤٣) النص: ٩

(٤٤) خذ مثلا حائيته فقد جاء بجملتين انشائيتين (نداء وتوكيد) في القصيدة هما:

يا روضة للآملين وجنة

تدعو بحي على الندى ممناحها

إن الأعادي لاتزال كعهدها

توري بشلب مغارها وكفاحها

ظل الشاعر هادئا في القصيدة كلها حتى إذا جاء الحديث عن شلب- بلدته المحتلة- ارتفع صوته وانفعل، فكان أن

نادى الخليفة الموحدي بروضة الآملين (الآملين حرية) ما لبث أن أكدَّ له عدوان المعتدين عليها تحريضا له ودفعا لإغاثتها.

(٤٥) النص:١

(٤٦) النص:٧

(٤٧) النص: ٢

(٤٨) النص: ٨

(٤٩) النص:٦

(٥٠) انظر زاد المسافر: ٤٣

(٥١) رثاء الذات في الشعر الأندلسي، مقداد رحيم، دار جهينة، الأردن، ط١، ٢٠١٢، ٧١

(٥٢) النص:١٢

(٥٣) قصيدة المديح في عصر الطوائف، أشرف محمود نجا، دار المعرفة الجامعية، القاهرة، ط ١٩٩٧: ٣٢٩

(٥٤) النص:٣

(٥٥) النص:١

(٥٦) النص:٤

(٥٧) السابق نفسه

(٥٨) النص:٣

(٥٩) السابق نفسه

(٦٠) السابق نفسه

(٦١) السابق نفسه

(٦٢) النص:٤

(٦٣) النص:٣

(٦٤) السابق نفسه

(٦٥) النص: ٤

(٦٦) مجمع الأمثال للميداني، تح: نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ت.ط.٢/٥

(٦٧) النص :٤

(٦٨) مجمع الأمثال:٣/٣٦١

(٦٩) النص:٨

(٧٠) النص ٣، البيت ١٧

(٧١) السابق نفسه، البيت ٣٧

(٧٢) السابق نفسه، البيت ٤٤

(٧٣) أبو تمام وأبو الطيب في أدب المغاربة، محمد بن شريفة، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط١، ١٩٨٦: ١٤٠

(٧٤) السابق نفسه، والصفحة نفسها

(٧٥) ديوان المتنبي، ط المكتبة الثقافية، بيروت، د.ت: ٣٢٥

(٧٦) النص: ٣

(٧٧) شعر الجهاد في عصر المرابطين، شفيق محمد الرقب، مكتبة الأقصى، عمان، ١٩٨٤: ٢٦٢-٢٦٣

(٧٨) النص:٣

(٧٩) شعر الجهاد في عصر الموحدين: ٢٦٣

(٨٠) ديوان المتنبي:٣٢٦

(٨١) السابق نفسه، الصفحة نفسها

(٨٢) النص:٣

(٨٣) ديوان ابن هاني، تح: عمر فاروق الطباع، دار الأرقم، بيروت، ط١، ١٩٩٨ : ٢٣٠

(٨٤) ٨٤ النص:٣

(٨٥) المن بالإمامة: هامش ص ٩٧

(٨٦) ديوان ابن الرومي، تح: حسين نصار، دار الكتب والوثائق القومية، تحقيق التراث، القاهرة ، ط ٢٠٠٣ : ١٨٢٦/٥

(٨٧) النص:٤

(٨٨) شرح ديوان أبي تمام، للخطيب التبريزي، قدم له ووضع هوامشه: راجي الأسمر، دار الكتاب العربي، بيروت، ط ٢، ١٩٩٤: ٢/ ٣٥

(٨٩) النص:٤

(٩٠) ديوان الفرزدق، ضبطه وشرحه إيليا حاوي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط١، ٦٣٨/٢

(٩١) النص:٩

(٩٢) النص:٣

(٩٣) النص:٤

(٩٤) السابق نفسه

(٩٥) علم البديع، بسيوني عبد الفتاح، مطبعة السعادة، القاهرة، ط١، ١٩٨٧: ٢/ ٢٩

(٩٦) النص:٤

(٩٧) النص :٣

(٩٨) علم البديع، ١٨٠/٢

(٩٩) النص:١

(١٠٠) النص:٤

(١٠١) النص:٦

(١٠٢) النص:٢

(١٠٣) لم نذكر مجاراته لصاحبه ابن المنذر، ومع أنه نظم القصيدتين على زنة الطويل والكامل لكن هذا من قبل الرد والمجاراة، فهو إذا مجبر لا مختار

(١٠٤) البديع تأصيل وتجديد، منير سلطان، منشأة المعارف، الإسكندرية، ط ١٩٨٦: ٥٣، ٥٧

(١٠٥) النص:٣

(١٠٦) النص:٤

(١٠٧) السابق نفسه

(١٠٨) النص:٣

(١٠٩) السابق نفسه

(١١٠) النص:٤

(١١١) النص:٣

(١١٢) النص: ٣

(١١٣) السابق نفسه

(١١٤) النص:٤

(١١٥) السابق نفسه

(١١٦) النص:٤

(١١٧) النص:٣

(١١٨) السابق نفسه

(١١٩) السابق نفسه

(١٢٠) النص :٤

(١٢١) النص:٣

(١٢٢) سورة الحجر: آية (٢٢)

المصادر والمراجع

- أبو تمام وأبو الطيب في أدب المغاربة، محمد بن شريفة، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط١، ١٩٨٦
- الأعلام، للزركلي، دار العلم للملايين، بيروت، ط ١٥، ٢٠٠٢
- الأندلس في نهاية المرابطين ومستهل الموحدين "عصر الطوائف الثاني"، عصمت عبد اللطيف دندش، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط١، ١٩٨٨
- البديع تأصيل وتجديد، منير سلطان، منشأة المعارف، الإسكندرية، ط ١٩٨٦
- البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان، لابن مريم الشريف التلمساني، اعتنى بمراجعة أصله محمد بن أبي شنب، الجزائر، المطبعة الثعالبية، ط ١٩٠٨
- البيان المغرب في اختصار أخبار ملوك الأندلس والمغرب، لابن عذاري، تح: بشار عواد ومحمود بشار، دار الغرب الإسلامي، تونس، ط ١، ٢٠١٣
- تاريخ الأدب العربي «عصر المرابطين والموحدين»، عمر فروخ، دار العلم للملايين، بيروت، ط١، ١٩٨٢
- تأريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، للحافظ الذهبي، تح: بشار عواد، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط ١، ٢٠٠٣
- تحفة القادم، لابن الأبار، تح: إحسان عباس، دار

الغرب الإسلامي، بيروت، ط١ ،١٩٨٦

- تقويم البلدان، لأبي الفداء صاحب حماة، اعتنى بتصحيحه: البارون ماك كوكين، دار الطباعة السلطانية، باريس، ١٨٥٠م
- التكملة، لابن الأبار، تح: عبد السلام الهراس، دار الفكر، بيروت، ط١ ،١٩٩٥
- الحلة السيراء، لابن الأبار، تح: حسين مؤنس، دار المعارف، القاهرة، ط ٢، ١٩٨٥
- دولة الإسلام في الأندلس" عصر المرابطين والموحدين"، محمد عبد الله عنان، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط ٢، ١٩٩٠
- ديوان ابن الرومي، تح: حسين نصار، دار الكتب والوثائق القومية، مركز تحقيق التراث، القاهرة، ط ٢٠٠٣
- ديوان ابن هاني، تح: عمر فاروق الطباع، دار الأرقم، بيروت، ط١، ١٩٩٨
- ديوان الفرزدق، ضبطه وشرحه إيليا حاوي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط١، ١٩٨٣
- ديوان المتنبي، ط المكتبة الثقافية، بيروت، د.ت.ط.
- الذيل والتكملة، للمراكشي، تح: إحسان عباس ومحمد بن شريفة وبشار عواد، دار الغرب الإسلامي، تونس، ط ١، ٢٠١٢
- رايات المبرزين وغايات المميزين، لابن سعيد الأندلسي، تح: محمد رضوان الداية، دار طلاس، دمشق، ط١، ١٩٨٧
- رثاء الذات في الشعر الأندلسي، مقداد رحيم، دار جهينة، الأردن، ط١، ٢٠١٢
- الروض المعطار في خبر الأقطار، للحميري، تح: إحسان عباس، مكتبة لبنان، بيروت، ط٢، ١٩٨٤
- زاد المسافر وغرة محيا الأدب السافر، لصفوان بن إدريس، اعتنى بنشره عبد القادر محداد، بيروت ١٩٣٩،
- شرح ديوان أبي تمام، للخطيب التبريزي، قدم له ووضع هوامشه: راجي الأسمر، دار الكتاب العربي، بيروت، ط ٢، ١٩٩٤
- شرح مقامات الحريري، لأحمد بن عبد المؤمن الشريشي، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، بيروت، ط ١٩٩٢
- الشعر الأندلسي في عصر الموحدين، فوزي سعد عيسى، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، طبعة ١٩٧٩
- شعر الجهاد في عصر المرابطين، شفيق محمد الرقب، مكتبة الأقصى، عمان، ١٩٨٤
- علم البديع، بسيوني عبد الفتاح، مطبعة السعادة، القاهرة، ط١، ١٩٨٧
- قصيدة المديح الأندلسية، دكتوره فيروز الموسى، منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب، دمشق، ط١، ٢٠٠٩
- قصيدة المديح في عصر الطوائف، أشرف محمود نجا، دار المعرفة الجامعية، القاهرة، ط ١٩٩٧
- كتاب التشبيهات من أشعار أهل الأندلس، لابن الكتاني الطبيب، تح: إحسان عباس، دار الثقافة بيروت، د.ت.ط.
- لمح السحر في روح الشعر، لابن ليون التجيبي، دراسة وتحقيق: منال محمد منيزل "رسالة ماجستير"، الجامعة الأردنية، ١٩٩٥
- مجمع الأمثال للميداني، تح: نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ت.ط.
- مدينة شلب الأندلسية من الفتح وحتى السقوط، عبد المجيد عبيدات، رسالة ماجستير، الجامعة الأردنية، ٢٠١٣
- المستملح من كتاب الصلة، للذهبي، تح: بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، تونس، ط١، ٢٠٠٦
- المعجب في تلخيص أخبار المغرب، لعبد الواحد المراكشي، تح: خليل عمران المنصور، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٩٩٨
- معجم البلدان، لياقوت الحموي، دار صادر، بيروت، د.ت.ط

- المغرب في حلى المغرب، لابن سعيد الأندلسي، تح: شوقي ضيف، دار المعارف، القاهرة، ط ٤
- المقتضب من كتاب سمط الجمان، لابن الإمام الأستجي، تح: حياة قارة، دار الثقافة، الدار البيضاء، ط ٢٠٠٣.
- المن بالإمامة، لابن صاحب الصلاة، تح: عبد الهادي التازي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط ٣، ١٩٨٧
- نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، للمقري، تح: د. إحسان عباس، دار صادر، بيروت، د.ت.ط.
- الوافي بالوفيات، للصفدي، تح: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، دار إحياء التراث الإسلامي، بيروت، ط ١، ٢٠٠٠

التغلغل التجاري البرتغالي في منطقة إفريقيا الغربية خلال القرنين ١٥ و ١٦م وتأثيراته

د. عبد الله عيسى
باحث في الدراسات الإفريقية
سوريا

عرفت منطقة إفريقيا الغربية[1] خلال القرنين (١٥ و١٦م)، تحولات محلية ودولية مهمة، كان لها بالغ الأثر على مستقبل وتاريخ المنطقة؛ فخلال هذه الحقبة، عانت الممالك الإفريقية الكثير من المشاكل السياسية، والاقتصادية، وحتى الاجتماعية، أدت في نهاية المطاف إلى أفولها وسقوطها، وبالتالي تمّ طي صفحة من صفحات تاريخ إفريقيا الغربية، كانت حافلة بالإنجازات الحضارية والفكرية والاقتصادية، وفتح صفحة جديدة يمكن أنْ نعتبرها صفحة سوداء في تاريخ القارة الإفريقية ككل؛ حيث استفحل وتنامى التدخل الأوروبي وخصوصًا البرتغالي، وكان أهم نتيجة لهذا التدخل هي، انتقال مركز الثقل العالمي من البحر الأبيض المتوسط إلى المحيط الأطلسي، والمناطق المحاذية له.

وعلى الرغم من علاقات التكامل وعوامل التواصل بين التجارتين الصحراوية والأطلسية، ومن البطئ النسبي لعملية اندماج سكان إفريقيا الغربية في المنظومة التجارية الأطلسية؛ فإنَّ سيطرة هذه الأخيرة أصبحت أمرًا لا مراء فيه منذ أنْ صارت أوروبا سيدة البحار، والمتحكمة في التجارة الدولية، وما تولد عن ذلك من تبادل مواقع الهيمنة الحضارية بين أوروبا المسيحية، والعالم العربي الإسلامي.

فقد مكَّن التطور السريع الذي عرفته وسائل الملاحة البحرية في أوروبا منذ القرن الرابع عشر للميلاد، من قيام الكشوفات الجغرافية الكبرى، وأسفرت تلك الكشوفات عن ظهور محطات تجارية في عدة نقاط من سواحل إفريقيا الغربية، أصبحت إحدى الركائز الأساسية في التجارة الأطلسية، التي أثرت تأثيرًا عميقًا على المجتمعات الإفريقية في المجالات كافة. ويبدو أنَّ تفسخ العلاقات الاقتصادية القائمة

على التبادل التجاري عبر الصحراء، وحلول علاقات جديدة من التبعية تربط هذه الممالك بمثلي التجارة البرتغالية، قد أدى إلى تخلي الارستقراطيات الحاكمة عن الشعائر الإسلامية وظهور ارستقراطيات جديدة، تتبنى إيديولوجيا وثنية تستجب أكثر لمتطلبات التجارة الأوروبية، وضغوطها الاجتماعية.

وبالنظر إلى هذه التطورات الجديدة التي بدأت تشهدها منطقة إفريقيا الغربية، نتيجة للضغط البرتغالي المتزايد على سواحلها، تأتي هذه الورقة البحثية للإجابة عن الأسئلة التالية: **ما أهم مراحل التغلغل التجاري البرتغالي في منطقة إفريقيا الغربية؟ وما أهم ملامحه وخصائصه؟ وكيف تجلت تأثيرات هذا التدخل على مجتمع إفريقيا الغربية سياسيًا، واجتماعيًا، واقتصاديًا، وثقافيًا؟ وأخيرًا، ما طبيعة العلاقة التي جمعت بين التجار البرتغاليين وشعوب إفريقيا الغربية؟** بمعنى أدق، هل كانت هناك علاقات مُثاقفة واختلاط بين الطرفين؛ على غرار ما حصل أثناء احتكاك الإفريقي مع التاجر والفقيه المسلم المنتمي لبلاد المغرب أو مصر؟ **ولماذا لم تساهم التجارة الأطلسية في تنمية وتطوير المجال الحضري في إفريقيا الغربية؟**

أهمية منطقة إفريقيا الغربية بالنسبة للتجارة البرتغالية:

ما كاد القرن التاسع الهجري (١٥م) ينتهي، حتى كانت الكثير من مناطق العالم المجهولة والمعلومة في متناول البرتغاليين، بفضل الكرافيل، ودون الحاجة إلى وساطات إسلامية أو غيرها، سواءً كانت فكرية أو عملية، إلا في القليل النادر. وترتب عن هذا الانسياح البشري، أنْ تكاثفت اتصالات البرتغاليين بشعوب مختلفة، خاصة منها شعوب وقبائل إفريقيا الغربية، المتمركزة على الشواطئ الأطلسية.[٢]

وقد شاءت الصدف العلمية والجغرافية أن تُشكِّل سواحل إفريقيا الغربية محطة مقصودة، وممرًا أساسيا للرحلات الملاحية البرتغالية المتجهة إما للشرق الأقصى أو الغرب؛ فتوقف السفن الملاحية كان يتيح للتجار البرتغاليين إمكانية الاستراحة، والاستعداد لسفر طويل ومتعب إما شرقًا أو غربًا. ومن مقتضيات هذا الاستعداد متطلبات عدة، منها: التزود بالماء والمواد الغذائية، أو الخشب لإجراء بعض الإصلاحات بالسفينة إنْ وقع بها عطب، علاوة على الحاجة للمرشدين المحليين، الذين يتم الاستعانة بهم في التعرَّف على أحوال المناطق المرتادة، واستكشاف عادات أهلها.[٣]

ونستفيد من هذه المعطيات، أنَّ طبيعة الموقع الجغرافي لمنطقة الدراسة كان كفيلاً بتوجيه سياسات بعض الدول الأوروبية لفرض بعض أشكال السيطرة، وإنْ كانت ذات طابع غير عسكري على الأقل خلال القرن السادس عشر. أما الرافد الاقتصادي، فنعتقد أنَّه أيضًا احتل موقعا ومكانة معتبرة في توجيه نظر واهتمام الدول الأوروبية وخاصة البرتغال صوب سواحل إفريقيا الغربية؛ لأنه كما يُقال: ((إنَّ الاقتصاد هو بوصلة السياسة الخارجية)). إنَ شهرة المنطقة عبر العصور بمادة الذهب، والرقيق، وريش النعام، والفول السوداني (الكاوكاو)، وغير ذلك من المواد،[٤] جعل البرتغال تُفكِّر بأن يكون لها موطأ قدم في هذا المجال، وليكون أيضًا مفتاح

دخولها فيما بعد إلى القارة الإفريقية ككل، لتحقيق حلمها المنشود وهو: ((**الوصول إلى تجارة الشرق الأقصى بدون وساطة عربية**)).

الوضعيـة السياسـية للمنطقة عشـية قدوم البرتغاليين:

بعد انهيار الامبراطوريات القروسطية (غانة[٥] ومالي[٦] وسنغاي[٧] وجولف)[٨] ، تفتت الوحدة السياسية لمنطقة إفريقيا الغربية؛ حيث برزت ممالك صغيرة كما هو الشأن في كايور،[٩] وبـاول، ووالـو،[١٠] وغيرها من المناطق.[١٢] وكانت هذه المناطق خاضعة لزعماء محليين، غالبًا ما كانوا يتصارعون فيما بينهم لتوسيع مجال نفوذهم، وقد امتد هذا الصراع ليشمل "الإمارات البيضانية"[١٢] على الضفة اليمنى من نهر السنغال. ولم يقتصر الأمر عند هذا الحد، بل كانوا يتنافسون في خدمة طلبات التجارة الأطلسية، المتمثلة أساسًا في توفير الرقيق للأساطيل الأوروبية؛ ولتحقيق هذه الغاية، اجتهد الزعماء في خلق فرق من القناصة، زرعت الرعب بين الأهالي، ودفعت بالكثير منهم إلى الهرب نحو المناطق الأكثر أمنًا.[١٣]

كما خلَّف التدخل السعدي في منطقة إفريقيا الغربية بلادًا ممزقة، تشتعل بالنار، وضعيفة. ولعل من بين النتائج الأولى للغزو العسكري المغربي على المستوى المحلي، إيقاظ النزعة الوطنية بين شعوب إفريقيا الغربية، وإحياء الخلافات القديمة بين المملكة الأم والأقاليم المحكومة، بل تراجع الإسلام لحساب التراث الوثني الذي طفى على السطح من جديد بجميع مظاهره.[١٤] لذلك، حاولت البرتغال جاهدة استغلال هذه الفرصة، لتمكين وجودها التجاري في المنطقة بأي طريقة كانت؛ هذا الوجود الذي سيعود بالنفع الكبير للإمبراطورية البرتغالية، مما سيعزز مكانتها على الساحة المحلية والدولية.[١٥]

(إفريقيا الغربية خلال القرن السادس عشر)[١٦]

المسـاعي البرتغالية للتحكّـم في تجارة إفريقيا الغربية والسيطرة عليها:

شكَّل وصول البرتغاليين إلى منطقة إفريقيا الغربية خلال النصف الثاني من القرن ١٥م، نقطة تحول هامة في تاريخ المنطقة؛ إذ أدى إلى بداية تفسخ العلاقات القائمة على التبادل التجاري عبر الصحراء، وحلول علاقات جديدة من التبعية ربطت ممالك إفريقيا الغربية بالتجارة البرتغالية.[١٧] وقد حرص ملوك البرتغال على امتداد القرنين الخامس عشر والسادس عشر،

على التزود من منابعهما الأصلية؛ لذلك قاموا بمحاولات للوصول إلى ذهب السودان عبر المسالك النهرية للسنغال وخاصة نهر غامبيا، إلا أنَّ تلك المغامرة تعثرت بسبب صعوبة الملاحة في نهر السنغال، بوجود شلال الفيلو (Felu)، وسيطرت المانديغ[١٨] على نهر غامبيا؛ مما أجبرهم على القيام بتجارتهم على الساحل الأطلسي، وعلى مصبات نهري السنغال وغامبيا، انطلاقًا من جزر الرأس الأخضر.[١٩]

وعلى الرغم من تلك الصعوبات علينا التأكيد بأنَّ البرتغاليين، هم أول من أنشأ محطات تجارية كانت في الواقع نقط الالتقاء التجارية الأولى بين منطقة إفريقيا الغربية وأوروبا؛ كان أولها حصن ألمينا[٢٠] الذي تمَّ بناءه على ساحل الذهب،[٢١] واستخدمت أسلوب العطايا والاسترضاءات للحكام المحليين.

وتحدّث ديوجو جومش (Diogo Gomes)، الذي زار المنطقة في نهاية القرن الخامس عشر، عن الطرق والوسائل التي استعملها البرتغاليون في البداية من أجل الحصول على الذهب؛ إذ عمدوا إلى أسر واختطاف الأهالي في طريقهم بين ساحل السنغال وساحل الذهب، وطلب فديتهم ذهبًا، نظرًا لمكانة الذهب لدى القادة البرتغاليون الذين كانوا يمولون بواسطته حملاتهم البحرية، وبه يشترون التوابل الهندية قوام ثروتهم وقوتهم، وبالذهب يستطيعون – أيضًا – تدبير إمبراطوريتهم الواسعة.[٢٢]

وفي هذا الجانب، عمل البرتغاليون انطلاقًا من سنة ١٤٤٥م على تحويل جزيرة أركين[٢٣] إلى سوق تجاري؛ حيث يلتقي التجارُ العرب-البربر بالبرتغاليّين، لتتمّ إعادةُ تصدير البضائع البرتغالية نحوَ الداخل، وتتكوّن من الحبوب والخيول والأثواب والتوابل والفضة والأصداف وغيرها، مقابلَ العبيد والذهب وجلود الظبي والزباد والصمغ.[٢٤] وفي سنة ١٤٨٧م حاول البرتغاليّون نقلَ التعامل التجاري نحو الداخل؛ بتشييد حصن في "ودان"[٢٥] في الأدرار الموريتاني؛ ولم يكنِ اخْتيارهم لودان اعتباطيًا؛ فقد كانت الواحةُ تشكّل إحدى المحطّات التجارية الأساسية بالنسبة لتجارة الملح بين إجيل وتنبكت،[٢٦] إلّا أنّ المحاولةَ باءت بالفشل بسبب الظروف الطبيعية الصعبة، وردودِ فعْل الأهالي. وبالتالي فشل البرتغاليون في محاولتِهم إقحام أنفسهم في التجارة الصحراوية التقليدية.[٢٧]

أمامَ هذا الفشل سعى البرتغاليّون إلى تغيير أسلوبِ التعامل التجاري مع شعوب إفريقيا الغربية، وذلك من خلال خلق نظامٍ تجاريّ جديد يعتمد بالأساسِ على المساحلة؛ ويقوم على تنويع البضائع المعْروضة على زبائنهم. لقد أشار بعضُ الرحالة الأوروبيّين إلى أنّ البرتغاليّين كانوا يشترون الخيولَ من مدينة "أزمور" المغربية، ويستعملونها نقدًا للحصول على العبيد بثمنِ أربعة عشر أو خمسة عشر عبدًا مقابلَ الفرس الواحد. كما شكّلت الفضةُ بضاعة مهمّةً لشدّة الطلب عليها في موريتانيا، وكانت تنقَل من أوروبا، وتعادل الأوقيةُ منها أوقيةً ونصفًا ذهبًا.[٢٨]

بالإضافةِ إلى ذلك، وضع البرتغاليّون تقنيةً تجارية جديدة تقوم على سياسة ((**التّجارة عند الطلب**))، الهدفُ منها هو محاولة كسبِ المزيد من الزبناء وجلبهم نحو حصونِهم التجارية؛ إذ

كانت ترسل الوفود باسم الملك البرتغالي إلى الملك المحلي، وتعرضُ عليه البضائعَ التي يرغب في اقتنائها سنويًا.[٢٩]

(الكشوف الجغرافية البرتغالية)[٣٠]

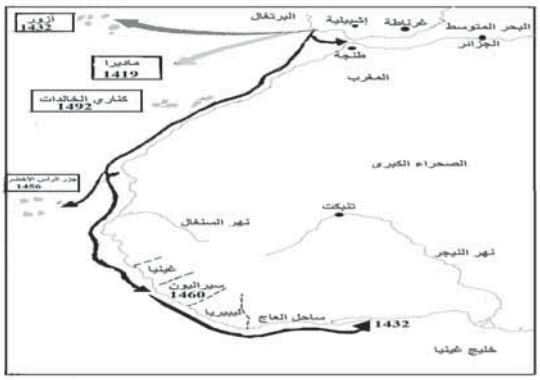

لقد بيَّن ديوجو جومش (Diogo Gomes)، كيف أنَّ البرتغاليين تمكَّنوا من نقل تجارة الحنابل التي هي في الأصل صناعة متوسطية، إلى الساحل الأطلسي، وكيف أنَّهم باستعمال المساحلة في الموانئ الأطلسية، تمكنوا من فرض نوع من الاحتكار على المبيعات في ساحل إفريقيا الغربية؛ فاستبدلت الأثواب بالذهب على طول الساحل الغيني بأكمله، وتمَّ تقايض الخيول بالعبيد. كما شكَّلت الفضة التي أخذت تعرف تزايدًا في الطلب، موضوع تجارة جديدة ومربحة.[٣١]

والغالب على الظن، أنّ الأسلوب الجديد الذي وضعه البرتغاليون لنشاطهم التجاري على سواحل إفريقيا الغربية؛ مكّنهم من الحصول على كمياتٍ كبيرة من ذهبِ إفريقيا وعبيدها، إلاّ أنّه لم يستطعِ اقتلاعَ جذور التجارة الصحراوية القديمة؛ إذِ استمرّ الذهب في التدفق على بلدان شمال إفريقيا، خصوصًا تونس الحفصية، ومصر، وعن طريق هذه البلدان وصلَ الجزءُ الأكبر منه إلى الضّفة الأخرى من البحر الأبيض المتوسط, خصوصًا إلى إيطاليا. فوق هذا وذاك، يمكن القول، إنَ التقنيات التجارية الجديدة التي أدخلها البرتغاليون، والوصول المنتظم للمراكب؛ أسهم بشكل كبير في تطوير المحطات التجارية، وتحويل جزء مهم من التجارة الصحراوية نحو الساحل. وقد رأى زعماء الممالك الساحلية والمتاخمة للأنهار في قدوم البرتغاليين فرصة ذهبية لتكوين الثروة، ووسيلة في الدفاع عن أخطار الدول الداخلية. فكان أيضًا من الممكن أن تتأثر الأقاليم الشرقية لإمبراطورية مالي بهذا التحول الجديد، لولا الانفتاح الكبير الذي شهدته تجارتها على المشرق العربي؛ الأمر الذي قلل من حجم الخسائر. ولا نعرف بالضبط، إن كان الطلب البرتغالي المتزايد على الذهب قد دفع سكان منطقة إفريقيا الغربية، إلى الإسراع في البحث عن مناجم أخرى.[٣٢]

والثابت لدينا، أنَ التحول الجديد الذي شهده اقتصاد غرب إفريقيا عقب التدخل البرتغالي كعنصر جديد في الحركية التجارية، أسهم في تزايد الإخلال بالأنظمة الاجتماعية في إفريقيا الغربية؛ ذلك أنَّه أمام التهافت المتزايد على الربح، أخذ السود أنفسهم ينظمون غارات لقنص بني جلدتهم وبيعهم بالتالي للتجار البرتغاليين.[٣٣] كما أدى ـ بطبيعة الحال ـ إلى تغيرات عميقة، وعلى وجه الخصوص، إعادة صياغة الخارطة السياسية للممالك في إفريقيا الغربية، اعتبارا من منتصف القرن السادس عشر للميلاد.[٣٤]

ولكن يبقى السؤال المطروح هنا: إلى أي حد أسهم التدخل البرتغالي هذا في تقويض التجارة العابرة للصحراء، واستنزاف خيرات

بلاد إفريقيا الغربية؟ أو بمعنى أكثر دقة: هل استطاعت المراكب الشراعية (الكرافيل) القضاء على القوافل الصحراوية (الجمل)؟

يتفق دوفيس (Devisse) وكودنيو (Godinho) على تسجيل فشل البرتغاليين في تحويل ذهب منطقة إفريقيا الغربية نحو وكالاتهم، وأنَ التجارة الصحراوية كانت ما تزال إلى حدود هذا التاريخ تتم تحت أعين ومراقبة المسلمين. كما عمدا إلى تبرير هزالة وضحالة حصة البرتغال من الذهب الذي جمعته في سواحل المغرب، بالامتياز الذي أصبح للفضة على حساب الذهب في شمال إفريقيا، وأوروبا.[٣٥]

ومن المؤكد لدينا كذلك، أنَّ الحصون البرتغالية المشيدة على الساحل في أرغين عند مصب نهر السنغال وعلى نهر Grande (حاليًا غينيا بيساو)، أثرت سلبًا على تجارة الذهب الصحراوية الأكثر غربًا؛ فكانت النتيجة الأولى لهذا التدخل، تراجع أهمية و"دان" كأكبر مركز لتسويق ملح إجيل، منذ بداية القرن ١٦م. وامتدت هذه التأثيرات إلى ساحل خليج غينيا بموازاة مع تقدم المستكشفين الأوروبيين، كما تغيرت الخريطة التجارية بتوسيع نقط تجارة العبيد.[٣٦]

فإذا كانت حصة البرتغال من الذهب قد عرفت نوعاً من التراجع ـ بحسب دوفيس ـ خلال النصف الثاني من القرن ١٦م، لفائدة تونس ومصر، فلا أحد يشكُّ في حجم الدور الذي لعبته في تنشيط تجارة العبيد، قبل أن تحل محلها وارثة عرشها إسبانيا سنة ١٥٨٠م، ثم هولندا وإنجلترا وفرنسا فيما بعد. كما أنَ الممالك المحلية بعد أن اقتنعت بنظام وأهمية تجارة العبيد؛ الذي ضمَّن لها دورها كوسيط تجاري مهم، شكلت عاجزًا أمام توغل الأوروبيين نحو الداخل خلال القرنين (١٧و ١٨م).

من جانب آخر، نجد أنَ الوضع السياسي الجديد الذي أصبحت تعرفه شمال إفريقيا خلال النصف الثاني من القرن (١٦م) عقب الهيمنة العثمانية، كان من نتائجه إقصاء المنافسة الإسبانية، وخلق شروط الاستقرار التي ساهمت في تطوير المبادلات الصحراوية بين العثمانيين والبلدان المحاذية لتشاد؛ خصوصًا البورنو.[٣٧] وبذلك، حقق الأتراك ما فشل في بلوغه الإسبان كوسطاء تجاريين بين المنتجات الأوروبية و منتجات إفريقيا الغربية.[٣٨]

آثار التغلغل التجاري البرتغالي على مجتمع إفريقيا الغربية:

من المؤكد أنَّ التجارة بين البرتغال وإفريقيا الغربية، قد حصلت فيها الأولى على غالبية الأرباح والمغانم الاقتصادية؛ فنجحت مشروعاتها الزراعية في الأمريكيتين، وحققت أرباحًا للمستثمرين هناك، أما في منطقة دراستنا، فقد كانت نتائجها كارثية على المجتمع في جميع المجالات السياسية، والاجتماعية، والاقتصادية، والثقافية.

١. التأثير السياسي والاجتماعي:

إنَّ المتأمل في الخارطة السياسية والاجتماعية لإفريقيا الغربية في هذه المرحلة، سيقف جليًا على التحولات الكبرى التي عرفها المجتمع، بسبب ارتباطه بالتجارة الأطلسية، وما حملته هذه التجارة في طياتها من مفاهيم جديدة لم يكن المجتمع قد وصل بعد إلى كسب تقنياتها، ولا

مؤهلاً للتعامل معها. وقد أفرزت تجارة الرقيق ظاهرة تخصص بعض القبائل في قنص الرجال، وكانت قبيلة "الماندينغ" أبرزها، مما دفع بعض القبائل إلى الهجرة إلى أماكن آمنة، وخاصة الغابوية منها، حتى لا تطالها أيدي القناصة. وقد أدى ذلك إلى اختلال الفسيفساء السياسي والاجتماعي الذي عرفته منطقة إفريقيا الغربية عبر تاريخها.[٣٩]

بناء على ذلك، أدت هذه الوضعية إلى محاولة الأرستقراطيات التقليدية تقوية مركزها الاجتماعي والسياسي، بزرع الرعب سواء في وسط رعاياها أو خارج نطاق سيطرتها، لتبدأ بذلك مرحلة العنف السياسي، الذي كان من نتائجه تصدع النظم السياسية والاجتماعية التي طالما حافظت عليها قديما. وإنَّ اطلالة سريعة على الوضع السياسي كفيلة أنْ توضح لنا ذلك التصدع الذي بدأت تعرفه المنطقة ابتداءًا من القرن ١٦م. فمن جهة الجنوب، نسجل حضور مملكة "نكابور" والتي أصبحت أهم قوة بعد انهيار مملكة مالي، لتصل في أوج ازدهارها إلى ضم جميع الممالك التي كانت توجد على ضفتي نهر غامبيا. أما إمبراطورية جولف فقد تفككت هي الأخرى في منتصف القرن ١٦م إلى ممالك مستقلة من أهمها: كايور، وباول، و والو، بقيادة زعماء محليين دشنوا عهدًا جديدًا من العنف سواء في علاقاتهم مع ممالك إفريقيا الغربية، أو في علاقاتهم الاجتماعية والسياسية في داخل كل مملكة، لتصبح بذلك هذه المنطقة كفوهة بركان وصل لهيبها إلى المناطق المجاورة، فدخلت هي الأخرى في الصراع الدائر حول السلطة. فتأثر النظام الاجتماعي والأسري في إفريقيا الغربية، بسبب ما لاقته الأسرة، والنظام القبلي السائد آنذاك، من تفكك بفعل الحروب الدائرة بهدف أسر العبيد، وبسبب الأعداد الكبيرة التي تمَّ شحنها خارج المنطقة.[٤٠]

معطى القول، أدى هذا الانحطاط العام إلى عجز المجتمع عن إفراز طبقة حاكمة، أو تخصيص أي فائض مادي أو معنوي لضمان سير الأجهزة والمؤسسات التي تضفي على الحُكم حدًا أدنى من الشرعية، وبذلك أصبحت الزعامة السياسية والحظوة الاجتماعية من نصيب فئات عسكرية تتشكل من المحاربين المحترفين، فأصبح في مقدور أي مغامر شجاع أنْ ينتزع السيادة والحظوة الاجتماعية، حتى ولو كان طبقًا للقيم السائدة من أصل وضيع.[٤١] ويمكننا القول أيضا، إنَّ التجارة الأطلسية كان لها دورًا كبيرًا في تدمير السكان من الداخل، والقضاء على مجتمعهم القبلي؛ وبالطبع ترتب على هذا وجود حالة من القلق والفوضى وعدم الاطمئنان بين سكان هذه المجتمعات، وأغرقت هذه التجارة الكثير من الناس في الجهل، والفقر، والمرض، والتي لم تفق منها إفريقيا جنوب الصحراء تماما حتى يومنا هذا.

التأثير الاقتصادي:

تأخر التطور والتقدم في مجالات الزراعة والصناعة والتجارة؛ وذلك بسبب نقص الأيدي العاملة القادرة على استثمار موجودات القارة، واتباع سياسة تجارية مع سكان غرب إفريقيا سوقا استهلاكية فقط. وقيام اقتصاد ساحلي لصالح البرتغال، اعتمد بشكل رئيس على التجارة الأطلسية، وما تدره من أرباح، ولكن هذا الاقتصاد سرعان ما انهار وتلاشى بشكل مفاجئ بعد توقف تجارة العبيد اعتبارا من النصف الثاني من القرن ١٩م، ما سبب فوضى كبيرة انعكست على كثير من الدول والممالك في إفريقيا الغربية بشكل سلبي.(٤٢)

كما لم تسهم هذه المحطات في الرخاء المحلي للمنطقة، بل زادت الطين بلَة؛ حيث أدت تجارة الرقيق إلى تدهور في الاقتصاد المحلي، والذي بدأنا نشعر به من خلال وجود العديد من المجاعات والأوبئة خلال هذه الحقبة، وكما ربطت تجارة الرقيق إفريقيا الغربية مع العالم الجديد؛ حيث يتذكر آلاف العبيد موطنهم الأصلي، وأوجدوا روابط لا تنفصم بين السود في الشتات، و السود في إفريقيا الغربية.(٤٣)

كما لم تسهم المحطات التجارية في تكوين طبقة من التجار مثلما أنشأت تجارة المسافات البعيدة تلك الطبقة؛ إذ فيما عدا التجار البرتغاليين كان معظم رواد المحطات التجارية مترجمين محليين، أو حمالين يتقاضون أجورا هزيلة. كما يمكننا القول أيضا، أنَّ التجار البرتغاليون كانوا مجرد وسطاء، يشترون الملح والأصداف من ساحل إفريقيا الغربية، ليقايضوها بالذهب والصمغ والسلع الأخرى، وبذلك حرَّموا التجار المحليين من تطوير أنفسهم، ومن مكاسبهم.(٤٤)

(محاور التجارة الأطلسية)(٤٥)

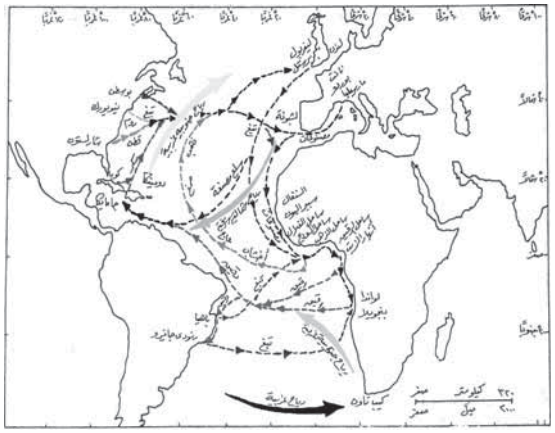

وعن تأثير المحطات التجارية الاقتصادية على المجتمع، نستحضر هنا ما ذكره المؤرخ محمود شاكر في كتابه (التاريخ الإسلامي الجزء ١٥) إذ يقول: ((أصبحت المراكز التجارية الجديدة القائمة باسم التبادل واستيراد الحاجات الضرورية لا باسم الرقيق والعبودية، تتدخل بشؤون الناس بالديون، وتتغلغل إلى الداخل باسم التجارة، ولم تمض سوى مدة وجيزة حتى أرهق كاهل الناس بالديون، التي أصبحت حملا عليهم ينوءون به، وغدت مقدراتهم بأي الشركات التجارية، ومستقبلهم منوطا بالممولين من السماسرة، ويريد هؤلاء المساكين التملص فلا يستطيعون، ويبحثون عن طريق الخلاص فلا يجدون؛ فيضحون بأملاكهم، فإذا بأخصب أراضيهم ملك للدخلاء، وأطيب ما يحوزون عليه ثروة للأجانب، وإذا هم أجراء يعملون لغيرهم، وعمال يشتغلون لحساب سواهم)).(٤٦)

فوق هذا وذاك، أسهم التدخل البرتغالي في

استنزاف الثروات المحلية، والثراء الفاحش للتجار البرتغاليين؛ لقد حققت التجارة الأطلسية أرباحا بلغت أرقاما قياسية، وغالبا ما كانت تتجاوز نسبتها(١٠٠٪)، بل يمكن أن تناهز نسبة الأرباح (٣٠٠٪)، ومع أنَ نفس المواد التجارية المتداولة في التجارة الصحراوية، هي نفسها تقريبا مما كانت تتعاطاها التجارة الأطلسية (باستثناء بعض المواد مثل النبيذ)، فإنَ هذه الأخيرة حققت نجاحا باهرا وأرباحا مغربية لأوروبـا، وللبرتغاليين على وجه الخصوص. ويرجع سبب ذلك، لعاملين أساسين: أولهما، أنَّ حمولة السفن كانت غاية في الأهمية؛ حيث يمكن أن تتجاوز(١٢٠٠ طن)، ومثل هذا الأمر لم يكن متاحا للتجارة الصحراوية المكلفة، أما العنصر الثاني المساعد، فيتمثل في تقليص المسافة الزمنية فيما بين أوروبـا والواجهة الأطلسية لإفريقيا الغربية؛ ذلك أنَّه إذا كانت القافلة في التجارة الصحراوية تحتاج لشهرين في الذهاب ومثلهما في الإياب، فقد كانت السفن البرتغالية القاصدة لشواطئ غرب إفريقيا، تقطع أكثر من ضعف المسافة في أقل من ثلاثة أسابيع، ومثلها في الإيـاب، وحتى إذا انطلقنا من أحد موانئ الولايات العامة (هولندا)، فلن يستلزم الأمر سوى ثلاثين يوما، ومثل ذلك في العودة. والتقديرات المتراوحة تفرض سفرا عاديا، وإلا فهناك بعض الصعوبات المختلفة، التي قد تؤخر السفينة مدة أطول، مثل العواصف أو القرصنة، أو المواجهة العسكرية البحرية مع السفن الأوروبية الأخرى المنافسة، أو تغيير الطريق خوفا من الاعتداءات، أو غير ذلك من الظروف الاستثنائية، مثل عدم حصول السفن على الماء في محطة معينة.[٤٧]

التأثير الثقافي:

نعتقد أنَ المحطات التجارية التي أنشأتها البرتغال على طول السواحل الغربية لإفريقيا، كانت بداية لمراكز انطلاق التنصير، وتغيير الهوية الثقافية للمنطقة، وإن لم تكن هي في حد ذاتها كان لها التأثير الكبير، لكنها مهدت لمرحلة الاستعمار فيما بعد. يقول الباحث "عبد العزيز الكحلوت" في هذا الصدد: ((كانت البعثات التبشيرية المسيحية جزءا من قوى الاستعمار إلى حد كبير، مثلها في ذلك مثل المكتشفين والتجار والجنود، وربما يكون هناك مجال للمجادلة حول ما إذا كانت البعثات التبشيرية في مستعمرة ما، هي التي جلبت قوى الاستعمار الأخـرى، أم أنَّ العكس هو الصحيح، ولكن ليس هناك شك في حقيقة أن البعثات التبشيرية كانت أدوات الاستعمار من الناحية العملية)).[٤٨] فيقول الرحَّالة البرتغالي "أزورارا"، الذي زار المنطقة خلال القرن ١٥م في هذا الإطار: "أيها الأصدقاء تعلمون الهدف الذي من أجله جئنا من بلدنا، وهو خدمة الرب ومولانا الأمير، وشرفنا ومنفعتنا، فبنعمة المولى العظيم الذي خلق كل شيئ، فقد حصلنا على مكسب كبير من غنيمتنا دون أي خطر علينا، فكل شرفنا اليوم يتمثل في أننا على مسافة خمسمائة فرسخ من بلدنا، في بلاد مجهولة؛ حيث رفعنا انتصاراتنا الماضية بمغامرات جديدة".[٤٩]

وقـد علق "سيمونز" على دور البعثات التنصيرية بغرب إفريقيا بالقول: ((جاء الرجل الأبيض وبيده الإنجيل، ولكن بعد أن مرت عقود قليلة، أصبحت الأرض للرجل الأبيض وأصبح

الإنجيل بيد الزنجي)).[٥٠]

ويعود سبب التأثير المحدود للمحطات التجارية على عقيدة الفرد في غرب إفريقيا، أنَّه خلال هذه الفترة كان متشبع بمظاهر الدين المحمدي، كما كان متعطشا في الوقت ذاته، للدفاع عنه بأي شكل كان. ومن العلامات البارزة والشاهدة على ما أكدناه، عدم شيوع تجارة النبيذ والخمر بالكثير من الجيوب والمناطق في غرب إفريقيا التي انتشر بها الإسلام وترسخ؛ بينما نجح الأوروبيون في تسويق هذه المادة بين مختلف القبائل الهندية بالعالم الجديد (أمريكا)، حتى أنَّهم في تعاملهم التجاري مع هنود أمريكا خلال القرون الثلاثة الأولى من اكتشافها؛ كانوا يسقون الزعماء المحليين أثناء المفاوضات التجارية أو السياسية؛ بغرض الحصول على أكبر المكاسب منهم. أضف إلى ذلك، أنَّه وخلال عدة قرون امتدت من أواخر القرن الخامس عشر حتى منتصف القرن التاسع عشر الميلاديّين، ظلّت القوى الأوروبية الغربية عامّة، والبرتغالية خاصّة، تتراوح في مراكزها الموجودة بالشريط الساحلي، دون أن تقدر على التوغل في الداخل، ويعود السبب في ذلك، إلى أنّ الأهالي كانوا مناوئين لأية عمليات نزول مباشرة، زد على ذلك صعوبة العوامل الطبيعية، وهذه المرحلة من الاستعمار الغربي تُسمّى بـ"مرحلة المراكز الساحلية".[٥١]

كما كانت أغلب هذه المحطات تعيش في عزلة عن محيطها. وبدلاً من توجّيه الجمعيات التبشيرية نشاطها وجهودها لنشر المسيحية أصبح اهتمامها منصبًا على تجارة العبيد، وهذا ما دفع ببعض القبائل التي اعتنقت المسيحية إلى الرجوع عن الدين الجديد نتيجة الممارسات الخاطئة للمبشّرين المسيحيين في بلادهم.

وقد علّل رودني والتر (Rodney Walter) الأسباب التي جعلت الكنيسة تغضّ الطرف عن تلك التجارة بأنها كانت تجني أموالاً ضخمة من تلك التجارة، ولذلك رفض رجال الدين المسيحيون الاستماع إلى ضمائرهم، برغم معرفتهم بالمعاناة التي يلاقيها العبيد، سواء خلال عملية الصيد أو خلال مرحلة النقل إلى الشواطئ، ومن ثَمَّ الشحن والرحلة البحرية عبر الأطلسي، وأخيرًا المعاناة الأشد في واقعهم الجديد في مستعمرات أمريكا، وسمحت لقساوستها بالمشاركة في تلك التجارة.[٥٢]

خلاصة القول، تبين لنا من خلال ما سبق ذكره، إنَّ التأثير الثقافي على مجتمع غرب إفريقيا خلال فترة الدراسة كان محدودا للغاية إن صح التعبير؛ لأنَّ معظم الجهود البرتغالية كانت منصبة بالأساس على تحقيق المنفعة الاقتصادية أكثر من أي عامل آخر. بالإضافة إلى محاولات محدودة لنشر المسيحية بين ظهراني شعب غرب إفريقيا، ولكنَّها وضعت اللبنة الأولى لنشر العقيدة المسيحية فيما بعد؛ أي خلال القرنين (١٩ و ٢٠م) عندما عمدت معظم الدول الأوربية إلى الاحتلال العسكري المباشر لإفريقيا الغربية.

وقبل أنْ نختم دراستنا هذه، نريد الإجابة على سؤالين يبدوان غاية في الأهمية في نظرنا وهما: ما طبيعة العلاقة التي جمعت التجار البرتغاليين بقبائل وشعوب إفريقيا الغربية، بمعنى أدق، هل كانت هناك علاقات مُثاقفة واختلاط بين الطرفين؛ على غرار ما حصل أثناء احتكاك الإفريقي مع التاجر والفقيه المسلم المنتمي لبلاد

المغرب أو مصر؟ والسؤال الثاني: لماذا لم تسهم التجارة الأطلسية في تنمية وتطوير المجال الحضري في إفريقيا الغربية؟

بخصوص الإشكالية الأولى، نعتقد أنَّه لأسباب تقنية ملاحية، وأخرى ثقافية مرتبطة بطبيعة الذهنية الأوروبية، فقد كان اختلاط التجار البرتغاليين بقبائل وشعوب إفريقيا الغربية محدودًا للغاية؛ وعندما تطورت عملية الاستيطان، واشتد التنافس فيما بين الدول الأوروبية بخصوص بناء القلاع والحصون ذات الطابع العسكري والتجاري بغاية الاستقرار، أو تسهيل التعامل التجاري مع السكان، ظلت هذه المحطات الاستيطانية منعزلة، ولم تنخرط قط بشكل جدي في الحياة العادية للسكان المحليين. ويُغذي هذا التصور، ما انتهى إليه بعض الباحثين، حينما أكدوا أنَ عملية بناء الحصون والمحطات البرتغالية على سواحل إفريقيا الغربية خلال القرنين (١٥ و ١٦م)، كانت موجهة لضرب المنافسة الأوروبية، أكثر مما توجهت لتحقيق تواصل مع الأهالي، أو تيسير ظروف التجارة معهم.[٥٣]

وكما علينا أن لا ننسى أيضًا العامل النفسي؛ حيث إنَّ معظم سكان إفريقيا الغربية كانوا دائما يخشون الاتصال بالبرتغاليين؛ الذين لا يمثلون في نظرهم سوى تجار مستغلين وصيادي بشر يتاجرون بهم كرقيق، وغير خاف أنَّ لتخوفاتهم تلك ما يبررها. وتشهد الكثير من المصادر التاريخية، على أنَ التعامل التجاري بين البرتغاليين وسكان إفريقيا الغربية، خلال القرنين الخامس عشر والسادس عشر الميلاديين، قليلا ما زاغ عن القاعدة التالية: ((تتوقف السفينة بعيدا عن الشاطئ ببضعة أميال، ومباشرة بعد ذلك تأتي إليها قوارب سكان إفريقيا الغربية، محملة بالسلع المطلوبة مثل الرقيق، والجلود، والماء، والخشب، وغير ذلك من المواد التي يتم تبادلها مع أصحاب السفينة. وعادة ما كان التوقف بكلل محطة لا يزيد عن شهر في أحسن الأحوال، وغالبا ما كانت المقايضة السلعية تتم على ظهر السفينة)).[٥٤]

وفي نفس السياق، يلاحظ أنَّ المشاكل الأمنية والتضاريسية بجانب قصور المعطيات التقنية المتوفرة وقتئذ، حالت دون تيسر أمر الملاحة بالمسالك المائية؛ حيث نادرا ما كانت السفن البرتغالية الصغيرة أو المتوسطة الحجم، تغامر بالتوغل في أنهار غرب إفريقيا. وفي حالة ما إذا تيسرت الظروف، وتمكنت إحداها من الرسو قريبا من الشاطئ، بقصد المتاجرة أو التبشير أو لغير ذلك من الأسباب، فإنَّه قلَّما كان البرتغاليون يختلطون بشعوب إفريقيا الغربية لعدة أسابيع أو لعدة أشهر؛ ومن النادر أن نجد صاحب شهادة، يعاشر الأهالي بصفة طوعية لمدة تزيد عن السنة أو السنتين.[٥٥]

وفي سبيل تحقيق فهم أعمق للقضية، نستحضر هنا بغرض المقارنة، كيف أنَّه خلال القرون الستة الأولى من التاريخ الإسلامي، كان الكثير من الدعاة، وبعض التجار المنتمين لبلاد المغرب أو مصر، يُقيمون بين أهالي إفريقيا الغربية لسنوات عديدة، وفترات طويلة، بل منهم من كان يستقر بالمنطقة ويتزوج من نساؤها.

أما السؤال الثاني، المتعلق بأسباب فشل أو تعثر التجارة الأطلسية من تنمية المجال الحضري لإفريقيا الغربية، أو على الأقل مساعدة

الأنظمة السياسية القائمة على تنظيم نفسها، وتقوية هياكلها ومؤسساتها؟

للإجابة على هذه الإشكالية نورد ما يأتي: إنَ الحضور البرتغالي التجاري على سواحل إفريقيا الغربية، علاوة على ما فرضته إكراهات تجارة الرقيق ضمن ما عُرِف بالرواج التجاري الثلاثي، سمح ببيع السلاح الناري للقناصين، وبعض الأمراء المغامرين بغرض تحصيل أكبر عدد من العبيد، مما أفرز مأساة إنسانية ما تزال آثارها قائمة إلى اليوم. فضلا عن ذلك أو بموازاته، تم ردم أي مبادرة سياسية هادفة لتنظيم منطقة إفريقيا الغربية في شكل وحدات أو وحدة سياسية قوية، بل إن الأمر اتخذ صبغة إرادية لدى بعض الدول الأوروبية، وخاصة البرتغال.

كما أنَّ الجموع التي تم جلبها بغاية توطينها في الحصون والقلاع البرتغالية، التي أنشأت على السواحل الغربية من إفريقيا؛ كانت في جُلِّها من الفئات الاجتماعية المهمشة في المجتمع البرتغالي، مثل المتسكعين والسجناء والمجرمين، وهناك عناصر قليلة، من المتنورين وكبار التجار أو غيرهم من المنتمين للفئات النافذة سياسيا واجتماعيا، ممن ساقتهم الظروف لزيارة سواحل غرب إفريقيا. فكيف يمكن لهذه الفئات أن تساهم في تنمية وتطوير مجتمع إفريقيا الغربية سياسيا، وإداريًا؟ ويظهر أنَ الخلفيات والتوضيحات الملمع إليها، كانت وراء اهتمام الباحثين بقضية الدولة في إفريقيا الغربية بالعلاقة مع التجارة الصحراوية فيما بين القرنين (٨ و ١٦م)، ثم بالعلاقة مع التجارة الأطلسية البرتغالية فيما بين القرنين (١٥ و ١٩م). وقد كان صعبا على الكثير من الباحثين البرتغاليين، سواء في المرحلة الاستعمارية أو بعدها، أن يعترفوا في الفواجع التي سببها حضورهم على ساحل إفريقيا الغربية، ثم ان يعترفوا في ذات الوقت، بما أسدته التجارة الصحراوية من فوائد جليلة لمنطقة إفريقيا الغربية والبربر على حد سواء، من ثمة، توجهت عنايتهم لتبرير الموقف أكثر مما عملت على توضيح السياقات التاريخية لعلاقات إفريقيا الغربية الخارجية.[٥٦]

كما إنَ خلفية الإجابة على السؤال، تستحضر لدينا صورتين متنافرتين ومتمايزتين؛ واحدة منهما، تشير إلى تلك الحيوية التجارية التي شهدتها ضفتا الصحراء فيما بين القرنيين (٨ و ١٥م)؛ نتيجة لما عرفته المنطقة من أمن واستقرار، مما استبعد وقتئذ كل عناصر التوتر والعنف الأمر الذي سمح بتطور المجتمع والدولة في إفريقيا الغربية؛ بشكل أهلها لتأسيس معمار نظامها السياسي (مؤسسة الدولة)، من خلال ما اكتسبته من خبرات رجالات الضفة الشمالية، خاصة بعد اعتناق أهالي المنطقة للإسلام. والصورة الأخرى، تفيد أنَّ البرتغال بثقلها الحضاري والثقافي والسياسي، لم تتمكن من مساعدة قبائل ومجتمعات إفريقيا الغربية، على تأسيس دول منظمة، أو على الأقل العودة بتلك القبائل إلى حالة السلم، ومساعدتها على التقاط أنفاسها، حتى تتمكن من إعادة بناء أركان الدولة.

إنَ ما تقدم من توضيحات وملاحظات يدفعنا إلى تغيير زوايا النظر، وعدم الالتفاف لقضايا مثل أمر الدولة كما تتداوله الأبحاث الرائجة في حقل الدراسات الإفريقية، على أنَّه إذا كان من اللازم أن نطل على منطقة إفريقيا الغربية من قمرة سفينة، أو ظهر بعير، أو بواسطة عين قمر

صناعي، فالأجدر بنا أن نلتفت لقيمة العدل في المجتمع المحلي؛ لأننا نرى في التوقف عند هذه الظاهرة، مدخلا غاية في الأهمية لأي باحث منشغل بفهم مجتمع إفريقيا الغربية، ومؤسساتها المختلفة. ولئن كان عدم الاختصاص (في العلوم السياسية وأمر نشوء الدول وغير ذلك مما له علاقة بمؤسسة الدولة) يُربكنا، فإنَّ القضية تستفز فضولنا المعرفي، وتطرح علينا سؤالا محوريا، مفاده: "إذا ساد العدل بين أفراد المجتمع وفئاته المختلفة، هل هناك حاجة للمجتمع المعني إلى مؤسسة الدولة بالصيغة التي اصطنعها المجتمع العربي الإسلامي أو الغرب المسيحي"؟ علما أنَّ العدل أساس المُلك عند المسلمين، وأن الدولة في الغرب ليست في الواقع سوى مؤسسة اعتمدت على صلاحيات الكنيسة، و طورتها بما يخدم المؤمنين وغيرهم (المواطن).[٥٧]

ترتيبا على ما تقدم، من له الحق في نعت الآخر بأنَّه مجتمع بدون دولة، اللهم إذا افترضا أنَّ مفهوم الدولة أو السلطة كما تداوله المسلمون والمسيحيون، ينبغي أنْ يمثل خارطة طريق، ما توافق معها نقبله وما خالفها نرفضه. والرفض هنا، لا يمثل موقفا واعيا بقدر ما يعكس عجزا عن الفهم بسبب تضخم الآنا.

فوق هذا وذاك، نعتقد أنَّ الاهتمام بقضية العدل في منطقة إفريقيا الغربية، كفيل بأن يصل الماضي بالحاضر، وقادر أنْ ينير طريقنا في فهم التحولات السياسية التي شهدتها بعض دول إفريقيا جنوب الصحراء خلال العقود الثلاثة الأخيرة؛ خاصة في السنغال ومالي. وبذلك، لن يصبح سبقُ هذه الأخيرة في مجال الأخذ بالمنهج الديمقراطي الحديث مقارنة مع عديد من دول العالم العربي الإسلامي، أو عالم أوروبا الشرقية وأمريكا اللاتينية، ضربا في العبث أو المصادفة السعيدة، وإنَّما لها من الجذور التاريخية ما يغذيها ويفسرها و يوضحها.

الخاتمة

بعد دراسة هذا الموضوع وتحليل جزئياته المختلفة، برزت أمام الباحث مجموعة من الحقائق والنتائج الهامة، نجملها في النقاط الاتية:

- شكَّل القرنانُ التاسع والعاشر الهجريين (١٥ و ١٦م)، منعطفًا جديدًا في التاريخ الحديث؛ ونقطة تحوّل حاسمة في التاريخ الاقتصادي للإمبراطوريات التي عرفتها منطقة إفريقيا الغربية، وذلك نتيجة تنامي التغلغل البرتغالي على سواحلها، الذي كان من أهم نتائجه، انتقال مركز الثقل العالمي من البحر الأبيض المتوسط إلى المحيط الأطلسي، الوصول إلى تجارة الشرق الأقصى، بدون وساطة عربية.
- كان لأهمية موقع إفريقيا الغربية الاستراتيجي، دورًا محوريًا في تشجيع البرتغال للقيام برحلاتها الاستكشافية، المتجهة إما للشرق الأقصى أو الغرب: الهند الغربية أو أمريكا؛ فتوقف السفن الملاحية وفضلًا عن التعامل التجاري مع الأفارقة المرتبط أساسًا بتجارة الرقيق، يظهر أنَّ توقف السفن الملاحية بالسواحل الأطلسية، كان يسمح للتجار البرتغاليين إمكانية الاستراحة، والاستعداد لسفر طويل وشاق. من أهم مقتضياته: التزود بالماء والمؤن التي يحتاجونها في سفرهم، أو الخشب للقيام ببعض الإصلاحات بالسفينة إن وقع بها أيُّ إشكال، أو عطب.

- كانت الوضعية السياسية للمنطقة عشية القرنين (١٥ و ١٦م)، أشبه بفوهة بركان، عمَّ لهيبها جميع الممالك والكيانات السياسية؛ فتراجع الاقتصاد، وتفتت النسيج الاجتماعي للمنطقة. فحاولت البرتغال جاهدة استغلال هذه الوضعية، لترسيخ وجودها في المنطقة.

- كان الوجود البرتغالي خلال فترة الدراسة مقتصرًا على الجانب الاقتصادي، واتخذ أشكالًا متعددة منها على سبيل المثال: المتاجرة بالذهب، والعاج، والجلود، والرقيق، و الحنابل، بالإضافة إلى إنشاء محطات تجارية على السواحل. وكان الهدف الأساس للبرتغاليين، هو تحقيق أكبر قدر ممكن من الأرباح، ولم يكن الهدف العسكري أو والاستيطان من ضمن الأهداف البرتغالية، خلال هذه الحقبة الزمنية.

- كما لم يشكَّل هذا الوجود أي تهديد ثقافي مباشر على الإسلام خلال هذه الفترة، على عكس الفترات اللاحقة (القرنين ١٩ و ٢٠م)؛ وذلك عندما تدخلت معظم الدول الأوروبية بمن فيها البرتغال، بشكلٍ مباشرٍ في إفريقيا جنوب الصحراء، واحتلتها عسكريًا، وعملت جاهدة على محو هويتها الإسلامية والثقافية.

- أمَّا عن علاقة شعوب إفريقيا الغربية بالوافد الجديد، فقد تمَّ التأكيد على أنَّ هذه العلاقة كانت محدودة جدًا وسطحية، وتدخل ضمن إطار المعاملات التجارية اليومية، لا أكثر ولا أقل، وبالتالي لم نلمس أيُّ علاقاتٍ للمثاقفة بين الجانبين؛ فأغلب القلاع والمحطات التجارية التي تمَّ إنشائها من قبل البرتغاليين، بقيت معزولة ومنغلقة على نفسها، وتدور في حلقة فارغة.

- ترك التدخل البرتغالي التجاري آثارًا بالغة الأهمية على مجتمع إفريقيا الغربية خلال فترة الدراسة؛ فمن الناحية السياسية والاجتماعية، أسهم هذا التغلغل في تكريس حالة الفوضى السياسية التي كانت تشهدها المنطقة، بوقوفه إلى جانب بعض القوى المتحالفة معه، ضد القوى الوطنية. فأسهم كل ذلك في تدمير السكان من الداخل، والقضاء على مجتمعهم القبلي؛ وبالطبع ترتب على هذا وجود حالة من القلق والفوضى وعدم الاطمئنان بين سكان هذه المجتمعات.

- أمَّا من الناحية الاقتصادية، فقد ترك التدخل البرتغالي آثـارًا سلبية لا تقل خطورة عن الجانب السياسي؛ لأنَّ اضطراب الأوضاع السياسية سيؤثر حتمًا على النشاط الاقتصادي. فتعطلت التجارة، وشُلَّ القطاع الفلاحي، وذلك بسبب نقص الأيدي العاملة جراء كثرة الحروب والفتن. فاستشرى الجهل والفقر والمرض بين الناس، الذي قابله في الضفة الأخرى، الثراء الفاحش للتجار البرتغاليين.

- وبخصوص التأثير الثقافي، فقد تبين لنا على امتداد صفحات البحث، أنَّ التأثير الثقافي الناتج عن التغلغل التجاري البرتغالي في إفريقيا الغربية، كان محدودًا للغاية، لكنَّه شكَّل القاعدة الأساس التي ستبنى عليه عملية التبشير في القرون التالية، خاصة القرنين (١٩ و ٢٠م)، عندما تدخلت القوى الأوروبية بمن فيها البرتغال، بشكل مباشر في منطقة

إفريقيا جنوب الصحراء، فكان الاستعمار والتبشير وجهان لعملة واحدة.

- وأخيرًا ونحن نخط السطور الأخيرة لهذا العمل، نوَّد التأكيد على أنَّ موضوع الوجود البرتغالي التجاري بمنطقة إفريقيا الغربية وتأثيراته، على الرغم من الجهد الذي بذلناه، لم نتمكن من دراسته كل جوانبه دراسة شاملة، ونتمنى أن تُتاح لنا هذه الفرصة في دراسة قادمة بحول الله، خصوصًا فيما يتعلق **"بدور المحطات التجارية البرتغالية على ساحل إفريقيا الغربية في استعمار المنطقة خلال القرن ١٩م"**. أو بمعنى أكثر دقة: **"هل مهدت البرتغال الطريق أمام بعض الدول الأوروبية لاستعمار إفريقيا جنوب الصحراء عشية القرن ١٩م"؟**

وعلى ضوء النتائج السالفة الذكر، نوصي ببعض المقترحات التي نراها ذات أهمية كبيرة في دعم واقع الدراسات الإفريقية في العالمين العربي والإسلامي. ومن أهم هذه التوصيات هي:

- تمثل الشهادات البرتغالية خلال القرنين (١٥ و١٦م)، ذخيرة معرفية ومصدرية غاية في الأهمية بالنسبة لكتابة تاريخ إفريقيا الغربية الحديث. وتكمن أهميتها في أنَّها جاءت نتيجة مشاهدات عيانية، فضلًا عن السماعات والقراءات الموازية، مما أتاح – إلى حد ما – فرصة غربلة المعلومات السائدة، مما ورثته أوروبا عن العصر القديد والوسيط. إنطلاقًا من هذه الأهمية، ندعو المؤسسات العلمية، ومراكز البحوث في العالمين العربي والإفريقي، إلى استثمار هذه الذخيرة العلمية، من خلال تشجيع الأبحاث الأكاديمية المتعلقة بتحقيق التراث المخطوط لهؤلاء المستكشفون، والتي من شأنها أن تساعد الباحث على كشف النقاب عن كثير من الأحداث التاريخية التي غيبتها المصادر العربية.
- يجب على الباحث العربي أو الإفريقي، أن يتعامل بحذر شديد إزاء هذه الكتابات، التي غالبًا ما يحمل أصحابها نظرة استعلائية تجاه الفرد الإفريقي الأسود أو الزنجي، نتيجة ترسبات العصر الوسيط، ومرحلة الحروب الصليبية.
- تشجيع الأبحاث والدراسات المتعلقة بالجانب الاقتصادي في منطقة إفريقيا الغربية، خلال الفترة الحديثة والمعاصرة؛ لأنَّ هذه الدراسات لم تنل حقها بالبحث والتقصي، على خلاف الدراسات التي تناولت الجوانب السياسية والعسكرية والثقافية.

الحواشي

(١) إفريقيا الغربية: تُعرف باسم "بلاد السودان" لدى الرحالة والجغرافيين العرب، وتقع في النطاق الفاصل ما بين الضفة الجنوبية للصحراء ومقدمة الغابات، وبذلك فالسودانيون يشغلون ت تقريبا – المجال المنحصر فيما بين خطي ١١ و ١٧ درجة شمالًا، فيما يشكل المحيط الأطلسي حدًّا طبيعيًا من جهة الغرب، وامتد مجال انتشار إفريقيا الغربية شرقًا إلى بحيرة تشاد وهوامشها. راجع: عبد العزيز الفشتالي، مناهل الصفا في مآثر مولانا الشرفا، تحقيق، عبد الكريم كريم، الرباط : منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، ١٩٧٢، ص١١٧.

(٢) كومش يانش دي زورارا، تاريخ اكتشاف وغزو غينيا، أو، تاريخ الغارات البرتغالية على سواحل غرب إفريقيا، وبشكل خاص على سكان الساحل

الموريتاني الحالي، من ١٤٤١ إلى ١٤٤٨ ، ترجمة أحمد ولد المصطفى، نواكشوط : مكتبة القرنين، ٢٠١٥، ص ٥٦.

(3) Deschamps (H.), L'Afrique noire précoloniale, de Madagascar et des Archipels, Presses universitaires de France, 1976, P 77.

(٤) محمود كعت، تاريخ الفتاش في أخبار البلدان والجيوش وأكابر الناس وذكر وقائع التكرور وعظائم الأمور وتفريق أنساب العبيد من الأحرار، باريس، ميزونوف، ١٩٨١، ص ٦٦.

(٥) مملكة غانة: ارتبط اسم غانة عند معظم الجغرافيّين المسلمين بالذهب، فمنهم مَن جعلها بذاتها موردًا هامًا لهذه المادة، وأغلبهم اعتبرها بوابة بلاد التبر، وصفها البكري والإدريسي- في أوج عظمتها- وقالَا إنّها مدينتان: واحدة للملك، وأخرى يسكنها المسلمون. وقد كان حدود مملكة غانة في ذلك العصر القرن (٥ و ٦هـ/ ١١ و ١٢م) تشمل جنوب موريتانيا وشرقي السنغال وجزءًا من مالي وغينيا الحالية، ولا يربطها مع غانا الحالية سوى الاسم. راجع: الشريف الإدريسي، أنس المهج وروض الفرج: قسم شمال إفريقيا وبلاد السودان، تحقيق: الواحي نوحي، الرباط: منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، ٢٠٠٧، ص ٢٥٣.

(٦) مملكة مالي: تأسست هذه المملكة على انقاض مملكة غانة، على يد شعب الماندي أو الماندينغ (Manding)؛ وكلمة مالي تحريف لكلمة ماندنجو، ومعناها الذين يتحدثون بلغة الماندي. اتخذت من مدينة (دو) في منطقة سيجو حاليًا مكان الإقامة الأولى. وارتبط ظهور هذه المملكة بشخصية سندياتا (ت. ١٢٥٥م)، الذي يعتبر المؤسس الحقيقي للمملكة. بلغت خلال القرن الثامن الهجري (١٤م) أوج قوتها ومجدها؛ خاصة في عهد السلطان منسى موسى(١٣٣٠- ١٣٤٩م)، وأخيه منسى سليمان (١٣٤١- ١٣٦١م)، لكن في أواخر هذا القرن، بدأ الضعف يدب في جسم المملكة؛ لعدة أسباب، منها التنافس على العرش، وتسلط واستبداد الموظفين الكبار من وزراء ومستشارين بالسلطة، فتغلب عليها أهل سنغاي الذين أسسوا إمبراطوريتهم ما بين عامي (١٤٨٨ - ١٥٩٢م) التي كانت تشمل زمن حُكم سني علي وغيره من أقوياء سلاطينهم، معظم السنغال الحالية ومالي والنيجر، وشمال نيجيريا. راجع: عبد الرحمن بن محمد المغربي (ابن خلدون)،كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومَن عاصرهم مِن ذوي السلطان الأكبر (العبر)، بيروت: دار الفكر، الجزء السادس، ١٩٦١، ص ٢٦٧.

(٧) مملكة سنغاي: شكّلت هذه المملكة ثالث أكبر تنظيم سياسي عرفته المنطقة إلى حدود القرن العاشر الهجري (١٦م)؛ حيث كانت في بداية أمرها عبارة عن مملكة صغيرة تابعة لحُكم مملكة مالي، قبل أنْ تستقلَّ عنها على يد أحد زعمائها المدعو "سني علي" (١٤٦٤ـ ١٤٩٣). ووصلت سنغاي في عهده إلى أوجها، فتحولت في وقت قصير من مملكة صغيرة إلى إمبراطورية مترامية الأطـراف. اتخذت من مدينة "كوكيا" المعقل الأول، وقاعدتهم الأم لدولتهم. شهدت خلال فترة حُكم "أسرة الأسكيا"، والتي دام حكمها قرن من الزمان (١٤٩٢- ١٥٩١م)، رخاءا وازدهارا قلَّ نظيرهما، غير أنَّه مباشرة بعد وفاة الأسكيا داوود سنة (١٥٨٢م)، دخلت البلاد في مرحلة اتسمت بالضعف، بسبب هجومات بعض القبائل المجاورة. وفي ظل هذه الأوضاع المتدهورة، وصلت طلائع الحملة السعدية التي أرسلها السلطان "أحمد المنصور السعدي" عام (١٥٩١م)، فانهارت على إثر ذلك مملكة سنغاي، ونزح ما تبقى من أمراء الأسكيين إلى مدينة "دنـدي" في أقصى جنوب شرق المملكة المتهاوية. راجع: كعت، المصدر نفسه، ص ٤٣- ٤٨.

(٨) جولف: منطقة جغرافية تقع وسط بلاد السنغال، عرفت ميلاد مملكة جولوف المهمة التي بسطت سلطتها على مختلف أرجـاء السنغال قبل أن تتمزق وحدتها أواخر القرن١٠هـ/١٦م، وتنشطر إلى ممالك صغيرة هي: والـو، كايور، وباول.

راجع: أحمد الشكري، جهاد الحاج عمر في أعالي نهر السنغال، مقال منشور ضمن الندوة الدولية المنعقدة في داكار – السنغال (١٩٩٨م)، بمناسبة مرور مائتي سنة على ميلاد الشيخ عمر الفوتي، منشورات معهد الدراسات الإفريقية، الرباط، ٢٠٠١، ص ٤٨.

(٩) كايور(Kayor): محافظة من محافظات السنغال، تمتد من سانت لويس في الشمال، و روفسك في الجنوب.

(١٠) والو: هي مملكة تقع على الضفة اليسرى من نهر السنغال عند مصبَّه، تحدها "فوتا تورو" شرقا و"كايور" غربا مع وجود إطلالة صغيرة على المحيط، وتحدها من الشمال إمارة "الترارزة" ومن الجنوب مملكة "ديولوف"، أسس فيها الفرنسيون مركزا تجاريا في "سان لويس" سنة ١٧٥٩م، وقد أدى إنشاء هذا المركز إلى التدخل المبكر في مملكة "والو" من طرف إمارة الترارزة، تجسدت في ضريبة سنوية على ملكها مقدارها ١٠٠ ثور، فضلا عن الضرائب على المزارعين في المملكة. راجع: المختار ولد سيدي أحمد، الموسوعة: التاريخ السياسي، بيروت: دار الغرب الإسلامي، ٢٠٠٧، ص ٨.

(١١) عبد الرحمن السعدي، تاريخ السودان، وقف على طبعه من تغيير نصه مع ترجمته للفرنسية أوكتاف هوداس و السيد بينوة، باريس، ميزونوف، ١٩٨١، ص ٧٢ــ ٧٣.

(١٢) إنَّ إطلاق تسمية البيضان أو البياضين على سكان هذا الجزء من الصحراء الإفريقية الكبرى، يعود إلى الرحَّالين العرب في القرون الوسطى؛ وذلك لتمييز هؤلاء السكان ذوي البشرى السمراء (الضاربة أحيانًا إلى البياض) عن بقية سكان المنطقة الزنوج ذوي البشرى السوداء (السود). وقد احتفظ البيضان لأنفسهم على مرَّ الزمن بهذه التسمية حتى أصبحت علمًا على البلاد تمامًا كصحراويتها. وما تزال تسمية البيضان دالة إلى يوم الناس هذا على الموريتانيين العرب (غير الزنوج) مع شيوع كتابتها "بيضان" بدل بيضان؛ أي بإبدال حرف الضاد ظاء. راجع: محمدو بن محمذن، المجتمع البيضاني في القرن التاسع عشر (قراءة في الرحلات الاستكشافية الفرنسية)، الرباط: منشورات معهد الدارسات الإفريقية، ٢٠٠٧، ص ١٨.

(13) Ca Da Mosto (A .De.), Relation des voyages à la cote occidentale d'Afrique., Paris, publié par M. Charles Schefer,1895, p. 317.

(١٤) محمد الغربي، بداية الحكم المغربي في السودان الغربي، بغداد: دار الرشيد، ١٩٨٢، ص ٦٠.

(15) Ibid, p 180.

(١٦) الحسين عماري، المغرب والتجارة العابرة للصحراء من القرن ١٥ إلى القرن ١٨، بني ملال: مطبعة وورك بيرو، ٢٠١٩، ص ١٧، بتصرف.

(١٧) لنا أنْ نتساءل هنا، عن الأسباب التي جعلت البرتغاليين يسبقون غيرهم من الأوروبيين في التنافس على اكتشاف ساحل إفريقيا الغربي. ولعلَ من أهم الأسباب التي تتبادر إلى الذهن هنا، كون البرتغال بحكم موقعها الجغرافي بات البحر متنفسًا مركزيًا لطموحها، فهي معزولة عن أوربا بجارتها الكبيرة "إسبانيا" مما يمنعها من محاولة التوسع في نطاق الصراع على المجال الحيوي داخل القارة الأوروبية. وهي من جهة ثانية، لا تمتلك أي منفذ على البحر الأبيض المتوسط عكس إسبانيا وفرنسا. ومن جهة آخرى، فإن البرتغال كانت أثناء القرن الخامس عشر، شأنها في ذلك شأن إسبانيا، تعيش أوضاعًا سياسية أكثر استقرارًا من بقية الدول الأوروبية التي كانت حينئذٍ مشغولة بمشاكلها الخاصة. وفضلًا عن ذلك، فإن سياسة هنري الملاح قد جعلت البرتغال تتبوأ مكانة السبق في حركة الكشوفات الجغرافية تلك، فقد جمع ذلك الأمير الملاح الذي يقال أنه لم يركب البحر إلا مرة واحدة، مختلف المعلومات الجغرافية والملاحية المتاحة في ذلك الوقت، وكوَن مكتبة ضخمة تضم الكثير من الكتب الجغرافية والخرائط من مختلف أنحاء المعمورة، كما قرَب العلماء والجغرافيين

واعتنى بصناعة السفن حتى غدت البرتغال بفضله تملك أسطولًا حديثًا يستطيع اقتحام البحار. وبغض النظر عن العوامل والأسباب التي جعلت البرتغاليين يسبقون غيرهم من الأوروبيين إلى اكتشاف فضاءنا الجغرافي، فإنّ رحّالي هذه الفترة قد خلّفوا أولى المصادر الأوروبية المتعلقة بتاريخ إفريقيا الغربية. راجع: ابن محمذن، المرجع نفسه، ص ٥٩.

(١٨) تطلق الأبحاث والدراسات التاريخية على القبائل التي أسست مملكة مالي التاريخية اسم "الماندينغ"، وهذا المصطلح حديث أخذه المؤرخون عن المختصين في الدراسات الاثنوغرافية و اللسنية في إفريقيا جنوب الصحراء. راجع: عبدالله عيسى، بحوث ودراسات في تاريخ مملكة مالي، القاهرة: دار البشير، ٢٠٢١، ص ٤.

(19) Godinho, Magalhzes, V, l'Economie de l'empire portugais aux XV XVI siècle, (Paris: MSH, 1969), p 190.

(٢٠) حصن المينا: تمَّ تشييده من قبل البرتغاليين في غانا عام ١٤٨٢، والذي يعد أهم محطة على طريق تجارة الرقيق في المحيط الأطلسي. راجع: عبد الله عيسى، الإسلام وبدايات التدخل الأوروبي في إفريقيا الغربية ما بين القرنين ١٥و ١٧م، القاهرة: المكتب العربي للمعارف، ٢٠١٧، ص ١٠٨.

(٢١) ساحل الذهب (Gold Coast): هو الاسم القديم لدولة غانا الحالية، وكان مستعمرة بريطانيةعلى خليج غينيا في غرب إفريقيا منذ عام ١٨٦٧م إلى استقلالها باسم غانا في عام ١٩٥٧. وقد أطلق اسم "ساحل الذهب" على الإقليم الذي كانت تصدر منه كميات كبيرة من الذهب إلى البرتغال. راجع: عيسى، المرجع نفسه، ص ١٠٢.

(22) DIOGO GOMES, De la première découverte de la Guinée, trd. Th.Monod, R.Mauny et G.Duval, Bissau, 1959, p 24.

(٢٣) آركين: جزيرة تقع على الساحل الأطلسي الموريتاني على بعد حوالي ١٣٠ كم إلى الجنوب من نواذيبو، ويبلغ طول هذه الجزيرة حوالي ٧ كم وعرضها حوالي ٤ كم. وتُسمى أيضًا بـ: أكَادير و أكَادير دومة. وقد تنافست أمم أوربية عديدة خلال القرون الماضية للسيطرة على هذه الجزيرة التي تعتبر مركزا للتبادل التجاري مع الشناقطة. راجع: بن محمذن، المرجع نفسه، ص ٥٨.

(٢٤) عيسى، المرجع نفسه، ص ١١٢.

(٢٥) ودان: مدينة أثرية في موريتانيا تقع إلى شمال شرق مدينة شنقيط، تأسست سنة ٥٣٦هـ، وقد شهدت ازدهارا علميا واقتصاديا كبيرا، لوقوعها على الطريق اللمتوني الواصل بين "درعة "و" سجلماسة" من جهة، وتنبكت" من جهة أخرى. راجع: الخليل النحوي، بلاد شنقيط: المنارة والرباط: عرض الحياة العلمية والإشعاع الثقافي والجهاد الديني من خلال الجامعات البدوية المتنقلة، المحاضر،تونس : المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، ١٩٨٧، ص ٧٢.

(٢٦) تنبكت: تأسست على نهر النيجر الأعلى، كان لها دور كبير في الحركة الثقافية والتجارية في المنطقة. تأسست في القرن ٥هـ/ ١١م على أيدي الطوارق، وأصبحت تنبكت في القرن ١٠هـ/ ١٦م منارًا للعلوم والثقافة الإسلامية في إفريقيا. راجع: السعدي، المصدر نفسه، ص ٢١.

(٢٧) بنرمضان، المرجع نفسه، ص ٤٨٦.

(28) Ca Da Mosto, Ibid, p 188.

(29) BoubacarBarry, La Sénégambie du XVe au XIXe siégle Traite négriére, Islam et conquête coloniale, (Paris : Le Harmattan, 1988), p 70.

(٣٠) نقلًا عن: إبراهيم عبد المجيد محمد، دراسات في تاريخ إفريقيا الحديث، القاهرة: مكتبة النهضة المصرية، ط. ١، ٢٠١٥، بتصرف، ص ٣٠.

(31) Diogo, Ibide, p. 28.

(٣٢) بنرمضان، المرجع نفسه،ص ٦٤٢.

(٣٣) من الملاحظ أنه عقب الكشوفات البرتغالية في العالم الجديد (أمريكا)، لم تعد البرتغال تُعير اهتمامًا كبيرًا لذهب إفريقيا الغربية عكس تجارة العبيد؛ التي أولتها اهتمامًا كبيرًا لما كانت توفره لها من يد عاملة في مزارع السكر التي أقامتها في جزر المحيط الأطلسي وفي أمريكا. أنظر: Raymond Mauny, Tableau Géographique de l'Ouest Africain au Moyen Age: d'après les sources écrites, la tradition et l'archéologie, (Post bus: Swets Publishing Service, 1975), p 338.

(٣٤) عيسى، المرجع نفسه، ص ١٠٢.

(35) Godinho (V), Ibid, p180.

(36) Barry (B), Ibid, p. 71.

(٣٧) بورنو:قامت هذه المملكة حول بحيرة تشاد، في المنطقة التي تُشكل النهاية الجنوبية لطريق القوافل الكبير المار بفزان ووحدات الكوار. و تعد من أكبر ممالك السودان الأوسط ، و يعد إدريس علومة (١٤٠٥ – ١٥٢٦ (من أشهر ملوكها و أقواهم. فذاع صيت هذه المملكة في أوروبا؛ حيث ورد اسم ملكها "دوناما " في الخرائط القشتالية في القرن التاسع الهجري (١٥م). راجع: صالح شكري، مكانة مملكة كانم-برنو في التجارة الصحراوية، ذاكرة التكامل : أعمال مهداة للأستاذين محمد الأمين البزاز وعبد العزيز خلوق التمسماني، الرباط: مطبعة المعارف الجديدة، ٢٠١٥، ص ٦٥.

(٣٨) بنرمضان، المرجع نفسه، ص ٦٤٤.

(39) Barry (B), Ibid, p. 79.

(40) Barry (B), Ibid,p. 80.

(41) Barry (B.), Le Royaume du Waalo. Le Sénégal avant la conquête, Préface de Samir Amin, F. Maspero, Paris,1972, pp.154-159.

(42) Barry (B), Ibid, p. 161.

(٤٣) عيسى، المرجع نفسه، ص ١٢٩.

(44) Barry (B),Ibid, p. 162.

(٤٥) نقلًا عن: أ.ج. هوبكنز، التاريخ الاقتصادي لإفريقيا الغربية، تحقيق: محمد عبدالغني سعودي، ترجمة أحمد فؤاد بلبع، القاهرة: المجلس الأعلى للثقافة، ١٩٩٨، بتصرف، ص ٢٠٠.

(٤٦) محمود شاكر، التاريخ الإسلامي، الجزء الخامس عشر، بيروت: المكتب الإسلامي، ١٩٩٧، ص ٢٨.

(٤٧) أحمد الشكري، "رحلة ابن بطوطة إلى بلاد السودان في سياق العلاقات المرينية المالية"، مجلة المناهل، عدد خاص عن ابن بطوطة، رقم ٥، ١٩٩٩، ص ١٥٠.

(٤٨) عبدالعزيز الكحلوت، الاستعمار والتنصير في إفريقيا السوداء، منشورات كلية الدعوة الإسلامية، ليبيا، ١٩٩٢، ص ٦٧.

(٤٩) أزورارا، المصدر نفسه، ص ١٧١.

(٥٠) الكحلوت، المرجع نفسه، ص ٦٨.

(٥١) عيسى، المرجع نفسه، ص ١٣٠.

(٥٢) أشرف صالح، "الاستعمار الأوروبي وجريمة التجارة بالإنسان الإفريقي"، مجلة قراءات إفريقية، العدد ١٩، (يناير – مارس ٢٠١٤)، ص ٧٥.

(53) Diop (ch.A.), L'Afrique noir précoloniale,(Paris: L'Harmattan, 1960), p. 18.

(٥٤) أحمد الشكري، الذاكرة الإفريقية في أفق التدوين إلى متم القرن ١٨م (نموذج بلاد السودان)، الرباط: منشورات معهد الدراسات الإفريقية، ٢٠١٠، ص٥٩.

(٥٥) الشكري، المرجع نفسه، ص ٥٠.

(٥٦) الشكري، المرجع نفسه، ص ٧٦.

(٥٧) الشكري، المرجع نفسه، ص ٨٠.

قائمة المصادر والمراجع

المعتمدة:

أولاً– باللغة العربية:

- الاستعمار الأوروبـي وجريمة التجارة بالإنسان الإفريقي، أشرف صالح، مجلة قـراءات إفريقية، العدد ١٩، (يناير – مارس ٢٠١٤).
- الاستعمار والتنصير في إفريقيا السوداء، عبدالعزيز الكحلوت، طرابلس (ليبيا): منشورات كلية الدعوة الإسلامية، ١٩٩٢.
- الإسلام وبدايات التدخل الأوروبي في إفريقيا الغربية ما بين القرنين ١٥و ١٧م، عبد الله عيسى، القاهرة: المكتب العربي للمعارف، ٢٠١٧.
- أنـس المهج وروض الفرج: قسم شمال إفريقيا وبلاد السودان، الشريف الإدريسي تحقيق: الواحي نوحي، الرباط: منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، ٢٠٠٧.
- بحوث ودراسـات في تاريخ مملكة مالي، عبدالله عيسى، القاهرة: دار البشير، ط١، ٢٠٢١.
- بداية الحكم المغربي في السودان الغربي، محمد الغربي، بغداد: دار الرشيد، ١٩٨٢
- بلاد شنقيط: المنارة والرباط: عرض الحياة العلمية والإشعاع الثقافي والجهاد الديني من خلال الجامعات البدوية المتنقلة، المحاضر، الخليل النحوي، تونس: المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، ١٩٨٧.
- التاريخ الإسلامي، محمود شاكر، الجزء الخامس عشر، بيروت: المكتب الإسلامي، ١٩٩٧.
- التاريخ الاقتصادي لإفريقيا الغربية، هوبكنز، أنطوني ج، تقديم: محمد عبد الغني سعودي، ترجمة أحمد فؤاد بلبع، القاهرة: المجلس الأعلى للثقافة، ١٩٩٨.
- المغرب والتجارة العابرة للصحراء من القرن ١٥ إلى القرن ١٨، الحسين عماري، بني ملال: مطبعة وورك بيرو، ٢٠١٩.
- تاريخ السودان، عبد الرحمن السعدي، وقف على طبعه من تغيير نصه مع ترجمته للفرنسية أوكتاف هوداس و السيد بينوة، باريس: ميزونوف، ١٩٨١.
- تاريخ الفتاش في أخبار البلدان والجيوش وأكابر الناس وذكر وقائع التكرور وعظائم الأمور وتفريق أنساب العبيد من الأحرار، محمود كعت، باريس: ميزونوف، ١٩٨١.
- تاريخ اكتشاف وغزو غينيا، أو، تاريخ الغارات البرتغالية على سواحل غرب إفريقيا، وبشكل خاص على سكان الساحل الموريتاني الحالي، من ١٤٤١ إلى ١٤٤٨ ،كومش يانش دي زورارا، ترجمة أحمد ولد المصطفى، نواكشوط : مكتبة القرنين، ٢٠١٥،
- جهاد الحاج عمر في أعالي نهر السنغال، أحمد الشكري، مقال منشور ضمن الندوة الدولية المنعقدة في داكار – السنغال (١٩٩٨م)، بمناسبة مرور مائتي سنة على ميلاد الشيخ عمر الفوتي، منشورات معهد الدراسات الإفريقية، الرباط، ٢٠٠١.
- دراسـات في تاريخ إفريقيا الحديث، إبراهيم عبد المجيد محمد، القاهرة: مكتبة النهضة المصرية، ط. ١، ٢٠١٥.
- الذاكرة الإفريقية في أفق التدوين إلى متم القرن ١٨م (نموذج بلاد السودان)، أحمد الشكري، الرباط: منشورات معهد الدراسات الإفريقية، ط١، ٢٠١٠.
- رحلة ابن بطوطة إلى بلاد السودان في سياق العلاقات المرينية المالية، أحمد الشكري، مجلة المناهل، عدد خاص عن ابن بطوطة، رقم ٥، ١٩٩٩.
- كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومَن عاصرهم مِن ذوي السلطان الأكبر (العبر)، عبد الرحمن بن محمد المغربي (خلـدون)، بيروت: دار الفكر، الجزء السادس، ١٩٦١.
- المجتمع البيضاني في القرن ١٩: قراءة في الرحلات الاستكشافية الفرنسية، محمدو ابن محمذن، الرباط: منشورات معهد الدراسات الإفريقية، ٢٠٠٧.
- المجتمع والدين والسلطة في إفريقيا الغربية ما بين القرنين ١١و١٦م، زوليخة بنرمضان، الرباط: منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، ٢٠١٥.

- مكانة مملكة كانم-برنو في التجارة الصحراوية، ذاكرة التكامل،صالح شكري، أعمال مهداة للأستاذين محمد الأمين البزاز وعبد العزيز خلوق التمسماني، الرباط: مطبعة المعارف الجديدة، ٢٠١٥.
- مناهل الصفا في مآثر مولانا الشرفا، عبد العزيز الفشتالي، تحقيق: عبد الكريم كريم، الرباط: منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، ١٩٧٢.
- الموسوعة: التاريخ السياسي، المختار ولد سيدي أحمد، بيروت: دار الغرب الإسلامي، ٢٠٠٧.
- ثانيًا– باللغة الأجنبية:
- De la première découverte de la Guinée, Diogo Gomes, trd.Th.Monod, R.Mauny et G.Duval, Bissau, 1959
- L'Afrique noir précoloniale,Diop (ch.A.), (Paris: Le Harmattan,1960).
- L'Economie de l'empire portugais aux XV XVI siècle, Godinho, Magalhzes, (V,)Paris: MSH, 1969.
- La Sénégambie du XVe au XIXe siégle Traite négriére, Islam et conquête coloniale, Boubacar,Barry, (Paris : Le Harmattan, 1988).
- L'Afrique noire précoloniale, de Madagascar et des Archipels, Deschamps (H.), Presses Universitaires de France, 1976.
- Le Royaume du Waalo. Le Sénégal avant la conquête, Barry (B.), Préface de Samir Amin, F. Maspero, (Paris : Karthala, 1972).
- Relation des voyages à la côte occidentale d'Afrique (1445 – 1457), Ca' Da Mosto, publié par M. Charles Schefer, (Paris: Ernest Leroux, 1895).
- Tableau Géographique de l'Ouest Africain au Moyen Age: d'après les sources écrites, la tradition et l'archéologie, Raymond, Mauny, (Post bus: Swets Publishing Service, 1975.

الحياة العلمية في ولاية سمائل (١٣٥١-١٣٩٠هـ/ ١٩٣٢-١٩٧٠م)

دكتور / محمد حسن محمد إمام
أستاذ التاريخ الإسلامي المشارك
كلية الآداب والعلوم الإنسانية
الجامعة الإسلامية بمنيسوتا فرع الهند

تُعد ولاية سمائل إحدى ولايات محافظة الداخلية، إذ تحتل موقعًا جغرافيًا متميزً؛ حيث إنها تربط داخلية عمان بسواحلها، ويمر بها واد عرف باسمها، لعب دورًا مهمًا في السياسة العمانية عبر التاريخ، فضلاً عن أن هذا الوادي يقسم جبال عمان إلى سلسلتين هما: جبال الحجر الشرقي وجبال الحجر الغربي، وبذلك تُعد المنفذ الوحيد الذي يربط داخلية عمان بمسقط ـ عاصمة عُمان.

تُعد ولايـة سمائل إحـدى ولايـات محافظة الداخلية، إذ تحتل موقعًا جغرافيًا متميزاً؛ حيث أنها تربط داخلية عمان بسواحلها، ويمر بها واد عرف بإسمها، لعب دورًا مهمًا في السياسة العمانية عبر التاريخ، فضلاً عن أن هذا الوادي يقسم جبال عمان إلى سلسلتين هما: جبال الحجر الشرقي وجبال الحجر الغربي، وبذلك تُعد المنفذ الوحيد الذي يربط داخلية عمان بمسقط ـ عاصمة عُمان.

لعبت سمائل دورًا تاريخيًا، فقد اشتهرت الولاية بأنها أول البلدان التي دخلها الإسلام في عمان، وعلى مر السنين كانت الولاية مقرًا للعلم والعلماء؛ حيث كان لهم دورًا عظيمًا في نشر العلم والثقافة في المجتمع، ومن ثم جاء البحث لإبراز الأهمية العلمية التي تحتلها هذه الولاية، واستخلاص النتائج منها.

أهمية البحث:

دراسة الحياة العلمية بولاية سمائل في هذه الفترة المهمة من تاريخ عمان، والتي سبقت حكم السلطان قابوس بن سعيد – طيب الله ثراه -، وذلك للكشف عن التراث العلمي بالولاية باعتباره تراث حضاري يعبر عن بيئتنا وهويتنا العربية الإسلامية بشكل عصري ومبتكر.

أهداف البحث:

التعرف على أهمية موقع ولايـة سمائل الإستراتيجي.

التعرف عل مظاهر الحياة العلمية في الولاية.

إبـراز أعلام الولاية من الفقهاء والعلماء والأدباء والشعراء.

المنهج المستخدم:

يتناول موضوع البحث مادة تاريخية، وبالتالي يتناول الباحث المنهج التاريخي نسبة إلى تسلسل الأحداث التاريخية مع المنهج الوصفي، وذلك لوصف بعض الأحداث في سمائل، كما استخدم في الدراسة المنهج الاستقرائي الذي يعتمد على شمولية النظرة، وكذلك المنهج التحليلي في تحليل بعض الأحداث.

الدراسات السابقة:

يوسف الكاسبي: الحياة الثقافية بعمان بين سنتي ٥٨١-٤١٩١، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة الزيتونة، تونس، ٢٠٠٦م، وعلى الرغم من أهمية الدراسة إلا أنها قصرت على الفترة الزمنية التي بين سنتي ٥٨١-٤١٩١م.

محمود بن مبارك السليمي: مكانة سمائل الفكرية والأدبية، بحث ضمن حصاد الندوة التي أقامها المنتدى الأدبي في سمائل يومي ٢١ – ٣١ ديسمبر، ٢٠٠٥م، ألقت باختضار الضوء على أهمية سمائل العلمية بشكل عام.

وتدور محـاور تلك الورقـة البحثية حول النقاط الآتية:

أولاً: جغرافية ولاية سمائل

ثانيًا: تاريخ ولاية سمائل

ثالثًا: المراكز العلمية في ولاية سمائل

رابعًا: اسهامات علماء سمائل في العلوم الشرعية

أولًا: جغرافية ولاية سمائل

- **التسمية**

اختلف المؤرخون في سبب تسمية سمائل، فمنهم من قال بأنها مشتقة من السمو والعلو وعظم شأنها، ومنهم من يذكر بأنها اسم مركب من كلمتين "سماء" و "إيل" تعني في اللغات السامية القوي القدير، وبذلك يكون معناها سماء الله القوي القدير[١]، وكثر تعليل تسميتها بسمائل لكثرة فوران الماء وطفوه على سطحها[٢]، كما سميت بالفيحاء[٣].

- **الموقع الجغرافي**

تُعد سمائل إحدى ولايات محافظة الداخلية، والبوابة الرئيسة التي تصل عمان بسواحلها، فهي نقطة الوصل بين محافظتي الشرقية والداخلية؛ حيث تبعد عن محافظة مسقط حوالي ٨٥ كم، يحدها شمالاً بدبد، وجنوبًا إزكي، وشرقا المضيبي، وغربًا نخل والجبل الأخضر[٤].

لعبت خصوبة أراضي سمائل دورًا كبيرًا في أنها أصبحت من أكثر المناطق ازدحامًا بالسكان، فوصفها محمد الشيبة السالمي بأنها: "إقليم بهي سري، به ثغور جليلة، وبلدان جميلة، آهلة بالرجال، تحدق بها الجبال عن اليمين والشمال..."[٥].

وقد بلغت مساحة سمائل ٣٥٠٠ كم^2 تقريبًا، وتضم حوالي ثلاث وسبعين قرية، ويتوسط وادي سمائل حصن الولاية؛ حيث أن القرى التي تقع في الجزء العلوي يسمى سمائل العليا، أما الجزء الذي يقع في أسفل الحصن فيسمى سمائل السفلى[٦].

ثانيًا: تاريخ ولاية سمائل

عندما ظهر الإسلام في جزيرة العرب، كانت عمان واحدة من أوائل المناطق التي اعتنقت الإسلام في القرن الأول الهجري/السابع الميلادي، وقد اتبع مازن بن غضوبه العماني[٧] على الفور أصحاب الرسول ﷺ في نفس القرن، وقد علم الرسول ﷺ مازن بن غضوبه أصول الدين الإسلامي، ثم عاد مازن إلى قريته في سمائل، وهي منطقة داخلية في عمان، وبدأ في المساهمة في انتشار الإسلام في بقية أنحاء البلاد، واعتنق الناس الدين الإسلامي طواعية، وبدأ أبنائهم في المشاركة في تلقي الأوامر وتجنب النواهي التي ينص عليها الدين، وكان مازن [٨] قد طلب مباشرة من الرسول ﷺ أن يصلي من أجل وطنه بالفضائل والصلاح، في وقت سابق، ساهم مازن في نشر التفاصيل الأخلاقية للدين الإسلامي. في وقت لاحق، بعد ردهم على مبعوث النبي r -- للتحول إلى الإسلام في عهد جيفر وعبد الجلندي[٩] ملكي عمان، أصبحت الطائفة العمانية جزءًا نشطًا في المجتمع الإسلامي الأوسع وانضمت إلى الأمة الإسلامية الجديدة تحت قيادة النبي ﷺ في القرن الأول الهجري / السابع الميلادي[١٠].

وقد واجهت سمائل في بعض الفترات العديد من الصراعات للسيطرة عليها، وذلك بسبب موقعها الجغرافي المتميز، الذي كان له تأثيرات سياسية، ومواجهات بين القوى السياسية الموجودة آنذاك والمتمثلة في الإمامة في داخلية عمان، وحكومة السلطنة في مسقط، كما خرجت منها العديد من الشخصيات المهمة والبارزة من علماء وأئمة وسياسيين، مما جعل لها أهمية ومكانة متميزة، ومن بين تلك الصراعات ما حدث في زمن السلطان فيصل بن تركي (١٣٠٥- ١٣٣١هـ / ١٨٨٨ - ١٩١٣م) [١١]، وذلك عام ١٣١٤هـ/ ١٨٩٩م، حينما خرج الشيخ صالح بن علي الحارثي[١٢] على رأس جيشه من الشرقية مناصرا بني رواحة في حربهم مع بني جابر في قرية الجيلة [١٣]، وهم من القبائل الغافرية المؤيدة للسلطان، وعند نزوله بها اشتبك الطرفان وجرح، فظل جريحًا حتى توفي، فحمل عليهم أولاده ومن معهم، ففاتلوهم قتالاً شديدًا حتى أصابوا منهم الكثير ما بين جريح وقتيل وأسير، ثم حمله ابنه عيسى بن صالح[١٤] إلى علاية سمائل فدفن هناك[١٥].

وبعد وفاته أخذ السلطان فيصل يجمع الجيوش؛ لقتال بني رواحة الذين كانوا من أنصار الشيخ، فكاتب الشيخ عيسي بن صالح السلطان؛ محاولاً أن يثنيه عن القتال، ولكن دون جدوي، فتقدم السلطان بجيوشه إلى سمائل، فنزل ببلدة سيجا وفيها من قبيلة بني جابر أنصار السلطان وأعوانه، ثم جاء الشيخ عيسي بمن معه فنزلوا في علاية سمائل، وكان فيها من أنصارهم من أولاد الشيخ سعيد بن خلفان الخليلي[١٦]، ثم تحرك السلطان بجنوده من بلدة سيجا، فأراد الشيخ عيسى أن يتوجه إلى الوادي الغربي لحمايته من السلطان، فظن رؤساء العلاية أن هذه مكيدة من السلطان، وأنه لم يقصد الوادي وإنما قصد العلاية، فدبروا بذلك حيلة للسلطان فأرسلوا منهم من ينادي في الناس، وركبوا في هيئة من يثبت الصائح، حتى نزلوا في الوادي الغربي واستعدوا لمواجهة السلطان، الذي كان آذاك قد أرسل إلى

رؤساء بني رواحة أن يواجهوا فواجهوا على يد عدد شيوخ من بني غافر، فلما وصلوا إليه أمر بهم فقيدوهم، فحاول الشيوخ أن يكلموه فيهم ويطلق سراحهم فرفض، وكان ذلك سببًا في خذلانهم للسلطان، فاتفقوا ألا يقاتلوا معه، حتي إذا وصل الوادي الغربي انحاز هؤلاء الشيوخ عنه في موضع أمن، وانطلق جنود السلطان للقتال واشتبك الطرفان وحدث قتال شديد، إلا أن جيش السلطان هُزم وتراجع إلى حصن سمائل، ثم قفلوا عائدين إلى مسقط [١٧].

لما عقدت الإمامة إلى الشيخ سالم بن راشد الخروصي (١٣٠١ - ١٣٣٨هـ / ١٨٨٤ - ١٩٢٠م) [١٨] عام ١٣٣٣هـ / ١٩١٣م أرسل إلى حمد بن سيف البوسعيدي والي نزوى [١٩] الذي كان تحت سلطة السلطان فيصل بن تركي، يطلب منه الدخول تحت طاعته، فلما علم السلطان أرسل إلى واليه على نزوى بمقاومة جيش الإمام في حال مهاجمته، وفعلاً توجه الإمام نحوها، واستطاع الانتصار على جيش السلطان، والاستيلاء على نزوى، ثم اتخذها عاصمة له، ثم توجه الإمام نحو سمائل وحاصرها من جميع الجهات، ونزل الإمام بقرية الجبيليات من سفالة سمائل، وحاصر الجيش الحصن من مختلف الجهات، وفي أثناء ذلك الحصار تقدم السيد نادر ابن فيصل بأمر من أبيه لمواجهة جيش الإمام، والتف حوله كثيرون من أمراء بني بوعلي، والشحوح والبدو والحضر من آل وهيبة، إلا أنهم لما رأوا عزم الإمام عليهم ولوا هاربين تاركين السيد نادر ومن معه من أبناء عمومته، وكانوا أثني عشر سيدًا وغيرهم من الروساء، الذين أغلقوا باب الحصن ولم يجدوا مفرًا من مواجهة جيش الإمام [٢٠].

وفي مسقط كان السلطان فيصل مدركاً تماماً ضرورة مساعدة السيد نادر، فأرسل إلى بعض القبائل الغافرية التي تسكن سفالة سمائل من بني جابر والسيابيين، كما أنه لما أدرك خطر الإمام عزز الحماية على مسقط، فاستدعى عدداً من رجال بني بوعلي من بدبد ونقل جميع نفائسه وما يملكه إلى قلعة الجلالي، وأبلغ جميع الأهالي خارج المدينة بضرورة الانتقال إلى داخل أسوار القلعة [٢١].

وفي سمائل كانت المواجهات عنيفة بين الطرفين، فلا يسمع إلا دوي المدافع والبنادق، ثم أضرم جيش الإمام النار في الحصن، فتهدم جانب من سور الحصن، فتضعضع حال من بداخله وبدى عليهم اليأس من المقاومة، فذخل إليهم الشيخ عبدالله بن سعيد الخليلي[٢٢]، وأبدى لهم النصح بضرورة التخلي عن الحصن والخروج منه، وتعهد له بأن يظل الحصن في يده مدة خمسة عشرًا يومًا فإن استطاع السلطان استرجاعه كان له ذلك، وإلا سيقوم بتسليمه للإمام الذي أيد الشيخ عبدالله الخليلي على هذا الرأي[٢٣].

ثالثًا: المراكز العلمية في ولاية سمائل

لقد نشطت المؤسسات والمراكز التعليمية في سمائل بفضل رعاية حكامها وإنشائهم للمؤسسات العلمية بها، كذلك الرخاء الاقتصادي الذي عم ربوع الولاية؛ فانعكس ذلك في قيام نهضة ثقافية مزدهرة في شتى نواحي البلاد. فإنتشرت المؤسسات التعليمية بالبلاد والتي كان على رأسها:

- **المساجد**

يُعد المسجد من أهم الروافد التي استغلها حكام سمائل لنشر العلم والثقافة بين الناس، فالمسجد له مكانته السامية التي يستمدها من كونه مضافًا إلى الله عز وجل بحسبانه بيته الذي وضعه لعباده، فهو مصدر توجيه المجتمع إيمانيًا وماديًا، وهو مؤسسة للعلم تعلمًا وتعليمًا، وهو ندوته الأدبية تسليةً وترويحًا، وشحذًا للهمم ورفعًا للمعنويات، وهو مكان تعارف المسلمين ووسيلة تآلفهم، ففي المساجد يتربى المسلم على أرفع المُثل الاجتماعية، وفي مقدمتها النظام والقدوة، ومعالجة الأنانية، وإزالة الفوارق والطبقات، ومن أهم المساجد في ولاية سمائل التي يتم التعليم فيها مسجد الصوارم في سفالة سمائل، ومسجد الشيخ خلفان بن جميل السيابي في قرية غيل الدك، وجامع سمائل في السفالة الذي خرج عباقرة الأدب واللغة على مر العصور[٢٤]، وممن كان يدرس فيه الأستاذ الأديب موسى بن عيسى البكري، كما كان الشيخ حمد بن عبيد السليمي يُدرس في هذا الجامع، وأيضًا مسجدا الفج والجلجلانية في قرية سروز، وكان يدرس فيهما الشيخ حمود بن حميد الصوافي من عام ١٩٦٨ - ١٩٦٩م، ومسجد المضمار في سفالة سمائل؛ حيث يوجد به معهد لتعليم مباديء الدين الإسلامي الحنيف [٢٥].

- **المدارس**

لقد شاع غموض تاريخي حول نشأة المدارس الأولى في الإسلام، واتجه بعض المؤرخين إلى ذكر أن نظام الملك "الوزير السلجوقي"[٢٦] هو أول من أنشأ المدارس النظامية في نيسابور[٢٧]، فقد رأى هذا الوزير توجيه النشاط العلمي لخدمة المذهب السني بإنشاء هذه المدارس؛ حيث هداه تفكيره في إنشاء المدارس النظامية التي نسبت إليه، لأنه هو الذي جد في إنشائها، وخطط لها، وأوقف عليها الأوقاف الواسعة، واختار لها الأساتذة الأكفاء، من وهذا يؤكد أن فضل التفكير في إنشاء هذه المدارس وإقامتها يرجع إلى نظام الملك وحده [٢٨].

غير أن السيوطي [٢٩] أنكر من زعم أن نظام الملك أول من بنى المدارس، مؤكدًا على وجود مدارس قبل القرن الذي عاش فيه نظام الملك.

وقد حظيت ولاية سمائل باهتمام الحكومة، إذ اقيمت فيها عدة مدارس كان لها شأنها في المجتمع، وتخرج منها كثير من العلماء والفقهاء والمؤلفين الذين أصبح لهم شأن في عمان فيما بعد، ومن أشهر تلك المدراس: مدرسة الشيخ أحمد بن سعيد بن خلفان الخليلي (ت؛١٣٢٤هـ / ١٩٠٧م)، فقد كان الشيخ أحمد بن سعيد من أهل العلم في سمائل؛ حيث أخذ العلم عن الشيخ محمد ابن سليم الرواحي، ثم أخذ يكون نفسه بنفسه، فأصبح ممن يشار إليه بالبنان، وفي سمائل أسس الشيخ أحمد بن سعيد مدرسة يستقبل فيها طلبة العلم، فتتلمذ على يديه عدد من العلماء والشعراء الذين أصبحوا منابر للعلم في زمانهم منهم: ابن أخيه الإمام محمد بن عبدالله الخليلي، والشيخ حمد بن عبيد السليمي، والشيخ خلفان بن جميل السيابي، فكان لهذه المدرسة دور مهم في نشر العلوم [٣٠].

ومن مدارس سمائل المهمة مدرسة الباروني التي أقيمت في عهد الإمام محمد بن عبدالله

الخليلي (١٢٩٩ - ١٣٧٣هـ/ ١٨٨٢ - ١٩٥٤م) [٣١] في قرية الإبراهيمية من علاية سماتل، وقد أوكل بناوها إلى الشيخ سليمان باشا الباروني (١٢٨٧ - ١٣٥٩هـ / ١٨٧٠ - ١٩٤٠م)[٣٢] الذي كان متقلدًا للأمور المالية والولاية والقضاء وأمور الإصلاح في عهد الإمام الخليلي، وقد جاء بناء هذه المدرسة في فترة سابقة لفترة الدراسة، ولأهميتها في تاريخ الولاية واستمرار التعليم فيها حتى بداية عصر النهضة تم ذكرها للأهمية العلمية الكبيرة التي حظيت بها على مر العصور، فقد قال الشاعر في هذه المدرسة:

تبلج فجر العلم وانطمس الجهل
فاصيح هـذا القطر يصبو له الكل
فبالجد نلقي المجد ليس بعجزنا
وبالعلم لا بالجهل نحو السما نعلو
ولا تحسبوا أن الزمان قد انقضى
فنفقد لا والله هذا هو الجهـــل [٣٣]

وكانت هذه المدرسة تشكل أهم المعالم التقافية في الولاية، ويتم فيها تدريس العديد من المناهج منها اللغة والنحو والفقه وعلم الأصول وغيرها [٣٤].

كما تُعد مدرسة الإمـام محمد بن عبدالله الخليلي علامة بارزة في سمائل؛ حيث انتشرت المدارس ومعاهد العلم التي أقامها الإمام محمد بن عبدالله في عمان الداخلية، وحظيت ولاية سمائل بإقامة مدرستين فيها تابعتين للإمام الخليلي في سفالة وعلاية سمائل، وكان الشيخ حمد بن عبيد السليمي يدرس في مدرسة الإمام، وقد أمدهما الإمام الخليلي بكثير من أمهات الكتب، وقد نهل طلاب العلم من هذه المدارس الكثير من العلوم المختلفة، كعلوم الفقه، وعلمي الأصول والأحكام، وعلم الحديث، فتخرج من هذه المدارس كثير من حملة العلم ممن يشار إليهم بالبنان في علمهم، وما قدموه لنا من مؤلفات قيمة [٣٥].

- **المكتبات**

كانت المكتبات من المؤسسات الثقافية والتعليمية في سمائل، وكانت جزءًا رئيسًا في المنشآت التعليمية وخاصة المدارس، وانتشرت المكتبات في بداية الأمر مرتبطة بالمساجد، ثم وجدت بعض المكتبات العامة والخاصة، وكانت المكتبات تعرف في الماضي بخزائن الكتب، وقد جرت العادة أن يعمد بعض اصحاب الخير والبر إلى دعم هذه المكتبات وتأسيسها، وارتبط وجود المكتبات في عمان بوجود المدارس الفقهة التي انتشرت في ربوع عمان مذ فجر الإسلام، ومع تزايد حركة التأليف، فلا تكاد توجد مدرسة أو مسجد إلا ألحق بمكتبة تضم العديد من الكتب[٣٦].

وقد تعددت أنـواع المكتبات الموجودة في عمان عامة، وفي ولاية سمائل بصفة خاصة نذكر منها: **المكتبات المدرسية** التي ارتبطت بوجود المدراس والمعاهد والمساجد التي يقام فيها حلقات الدرس، ومن هذه المكتبات في سمائل: مكتبة مدرسة الباروني في قرية الإبراهيمية في علاية سمائل، وكذلك **المكتبات الشخصية** الخاصة بالعلماء، ومن ومن هذه المكتبات: مكتبة العلامة خلفان بن جميل بن مهيل السيابي في قرية غيل الدك بسفالة سمائل، وقد ترك فيها كثير من المؤلفات والكتب[٣٧].

ومن أهم هذه المكتبات مكتبة الشيخ الأديب

المؤرخ سالم بن حمود بن شامس السيابي،[٣٨] ومكتبة الشيخ راشد بن عزيز الخصيبي السمائلي، وقد باع أولاده كثير من الكتب التي كانت بها، لديون كانت على والدهم، ثم استعادوا بعضاً منها؛ لأنهم ساروا على نهجه في طلب العلم، ومكتبة العلامة نبهان بن سيف بن سعيد البكري في علاية سمائل، وقد بيعت كتبه بعد وفاته، وتفرقت في أيدي الناس، ومكتبة الشيخ حمد بن عبيد السليمي في علاية سمائل، والتي ضمت العديد من الكتب والمؤلفات [٣٩].

رابعًا: إسهامات علماء سمائل في العلوم المختلفة

اتسع أفق الفكر الإسلامي في عمان عامة، وفي ولاية سمائل بصفة خاصة - اتساعًا كبيرًا، فكانت ملكات المسلمين في البحث والتأليف قد بلغت درجة عظيمة من النضج، والإسهام في تنشيط الفكر العلمي؛ ومحاولة ترويج سوق الثقافة في ذلك العصر، ومن أهم هذه العلوم:

- **العلوم الشرعية**

من هؤلاء العلماء الذين نبغوا في العلوم الشرعية فعلى سبيل المثال: الشيخ حمد بن عبيد السليمي (ت:١٣٩٠هـ/ ١٩٧١م) الذي يُعد فقيهًا وأديبًا؛ حيث تلقى العلوم المختلفة في سمائل، وقد عرف عنه مثابرته في طلب العلم ونشره، فقد ترك كثير من المؤلفات منها: الشمس الشارقة في علم التوحيد: ويقع في جزأين، تناول علم أصول الدين والمسائل المتعلقة به[٤٠]، والعقد الثمين في الدعوى واليمين: ويقع في جزء واحد [٤١]، وقلائد المرجان في أجوبة الشيخ العلامة أبي عبيد حمد بن عبيد السليمي: وهو عبارة عن أجوبة نظمية للشيخ أبي عبيد السليمي، ويحوي الكتاب مجموعة من الأسئلة موجهة للشيخ أبي عبيد من قبل مجموعة من العلماء وأغلبها من تلامذته[٤٢]، وكرسي الفرائض: تحدث المؤلف في هذا الكتاب عما يجب لطالب علم الميراث أن يلم به [٤٣].

ومن أهم علماء الفقه الشيخ خلفان بن جميل أين حرمل ين مهيل السيابي (ت: : ١٣٩٢هـ/ ١٩٧٢م) فهو عالم وفقيه وقاض وأديب، توفي والداه وهو صغير، ثم انتقل إلى سمائل، فتلقى العلوم والأصول الدينية والفقهية من علماء سمائل، وقد عرف عن الشيخ خلفان الشدة في الحق، ثم اشتغل بمهنة التدريس في نخل، ثم قاضيًا عليها، ثم آثر الإنعزال عن أمور الدولة، ولكن بقي مرجعًا للناس في الفتوى وتلقي العلم[٤٤]، وقد ترك الشيخ خلفان بن جميل العديد من المؤلفات في الفتوى، وعلم الفقه وأصوله ومن بينها: سلك الدرر الحاوي غرر الأثر: وهو أرجوزة طويلة في الفقه نظم فيها كتاب النيل، وزاد عليه التحقيقات من أقوال العلماء في المسائل المدرجة، وقد بلغت أبياتها ٢٨ ألف بيت [٤٥]، وبهجة المجالس: وهو مجموعة أجوبة نظمية على أسئلة متفرقة [٤٦]، وفصل الأصول: وهو في أصول الفقه، وقد انتهي من تأليفه عام ١٣٥٧هـ/ ١٩٣٨م[٤٧].

أما عن أشهر علماء سمائل الشيخ سالم بن حمود السيابي (ت: ١٤١٦هـ/١٩٩٤م) فقيه ومؤرخ وأديب وشاعر، انتقل إلى سمائل وهناك درس الفقه وأصوله على يد الشيخ خلفان بن جميل السيابي والشيخ حمد بن عبيد السليمي، طلبه الشيخ علي بن عبدالله الخليلي والي بوشر ليكون مدرسًا للغة العربية فيها، ثم تدرج الشيخ

سالم بن حمود في عمل القضاء في عدة ولايات كان آخرها المحكمة الشرعية في مسقط، ثم عين مصححًا ومنقحًا للكتب العلمية بوزارة التراث القومي والثقافة [٤٨].

وكان الشيخ سالم بن حمود من الشخصيات البارزة في المجتمع في تطبيق الأحكام الشرعية، كما كان من فحول العلماء وأنشطهم في تلقي العلم، وقد ترك الشيخ سالم بن حمود كثير من الآثار العلمية التي أثرت المكتبة العربية والإسلامية [٤٩].

وقد برز في الفقه الشيخ محمد بن راشد بن عزيز الخصيبي (ت:١٤١٠هـ/١٩٩٠م) عالم فقيه، وأديب شاعر، ولد ونشا في مسقط عند أبيه اشيخ راشد بن عزيز الخصيبي، وبعد وفاة والده التقل إلى وطنه سمائل، أخذ علوم الفقه واللغة من علماء الولاية، وقد تخرج على يديه مجموعة من العلماء والقضاة [٥٠]، وقد شغل عدة مناصب في الدولة منذ زمن الإمام الخليلي الذي عينه مدرسًا لعلوم العربية والفقهية في سمائل، ثم تولى القضاء على ولاية بدبد، وبقي كذلك حتى وفاة الإمام الخليلي، ثم أصبح أحد أعضاء القضاة في المحكمة الشرعية بمسقط حتى سنة ١٣٩٣هـ/ ١٩٧٣م، ثم عين مدرسًا في معهد القضاء الشرعي، ويقي في مهنته إلى أن توفي في ١٣ رمضان ١٤١٠هـ/ ٩ إبريل ١٩٩٠م، ودفن في بلده سمائل [٥١].

ومن الفقهاء الذين عاشوا في القرن (١٤هـ / ٢٠م) الشيخ أحمد بن عبد الله الحسيني، عالم فقيه، تلقى العلم على يد الشيخ خلفان بن جميل السيابي، وقد كان ناسخًا للكتب فقام بنسخ كتاب بهجة المجالس للشيخ خلفان بن جميل السيابي، وقد خصص لطلابه غرفة من منزله يعلمهم فيها مبادىء اللغة العربية والفقه [٥٢].

- **الأدب والشعر**

أنجبت سمائل العديد من الأدباء والشعراء الذين أثروا الحياة الأدبية ليس في الولاية فحسب، بل في ربوع عمان، نذكر منهم: الشاعر أبو الصوفي سعيد بن مسلم بن سالم المجيزي (ت: ١٣٧٢هـ/ ١٩٥٣م)، من أشهر أدباء سمائل، وقد عمل مدرسًا فيها، كما كان مقربًا من السلطان فيصل بن تركي، ثم السلطان تيمور بن فيصل، وقد كان مرافقاً لهما في رحلاتهما، وكتب في مدحهما العديد من القصائد التي جمعت في ديوان مطبوع باسمه، وضم ديوانه الآخر الشعر المسكتي العماني في القرن الرابع عشر الهجري / العشرين الميلادي، وهو ديوان حافل بمدائح السلاطين من آل بوسعيد، وقصاند أخرى في الوصف والرثاء وغيرها [٥٣].

وأيضًا الأديب عبدالله بن على الخليلي (ت: ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م) الشاعر والأديب، ولد في ولاية سمائل؛ حيث عُرف بأمير البيان، وعميد شجرة الأنساب الشعرية، فقد نشأ في أسرة عرفت بالعلم والأدب والدين، فدرس القرآن الكريم، وتلقي علوم الدين واللغة العربية متنقلاً بين سمائل ونزوى، وقد بدأ كتابة الشعر من باب العلم؛ حيث كان يوجه أسئلة إلى مشايخ العلم في صورة أبيات شعرية [٥٤]، وقد ترك الشيخ عبد الله الخليلي العديد من الدواوين والمؤلفات الشعرية منها: ديوان وحي العبقرية [٥٥]، وديوان وحي النهي [٥٦].

ومن أشهر أدباء ولاية سمائل الشيخ علي بن

منصور الشامسي، ولد عام ١٣٤٤ه/ ١٩٢٦م، وكان محبًا للأدب، ويهوي قراء الأشعار، كما كان خطيبًا لسنًا، وله رسائل إخوانية وأسئلة نظمية [٥٧].

وممن ذاع صيته في سمائل أبوسرور حميد ابن عبدالله الجامعي، فهو فقيه وشاعر أديب، ولد سنة ١٣٦١هـ/ ١٩٤٢م، تلقي العلوم في وطنه سمائل، ثم تولى منصب القضاء لمدة طويلة، ثم أحيل للتقاعد، فقد كان شغوفًا بالأدب وقراءة الشعر، وألف في مختلف الأغراض الشعرية[٥٨]، فقد ترك الشيخ أبو سرور الجامعي العديد من المؤلفات منها: ديوان باقات الأدب وديوان أبو سرور وديوان أيكة الملتقي [٥٩].

كما يُعد الشيخ خالد بن هلال بن سالم الرحبي (ت: ١٣٧٢هـ/ ١٩٥٣م) من أشهر أدباء وشعراء ولاية سمائل، درس على يد والده هلال بن سالم الرحبي، كان أديبًا مولعًا بالشعر، وتميز شعره بالجودة، حتى عده البعض في مرتبة أمير البيان الشيخ عبدالله بن علي الخليلي، وقد جمعت أشعاره في ديوان سمي بـ "السحر الحلال"[٦٠].

كذلك يُعد الشيخ خلفان بن ناصر بن عبدالله السعدي (ت: ١٣٨٩هـ/ ١٩٦٦م) أديب وناظم للشعر، فقد كان محبًا للأدب وبهوى قراءة الشعر؛ حيث ترك العديد من القصائد الشعرية، رثاه الشيخ عبدالله بن علي الخليلي في قصيدة مطلعها:

هل ترى تكفيك عيش اللاعب

والقضا خلفك مثل الطالب

يتقاضلك غريمًا دينه أنت

لكن دينه كالغاصب [٦١]

الخاتمة

بعد استعراض تاريخ الحركة العلمية في ولاية سمائل (١٣٥١-١٣٩٠هـ/ ١٩٣٢-١٩٧٠م)، كان لابد من الإشارة إلى أهم النتائج التي توصل إليها البحث ومنها:

أولًا: لعبت سمائل دورًا تاريخيًا بارزًا، فقد اشتهرت بأنها أول البلدان التي دخلها الإسلام في عمان، وعلى مر السنين كانت الولاية مقرًا للعلم والعلماء؛ حيث كان لهم دورًا عظيمًا في نشر العلم والثقافة في المجتمع.

ثانيًا: أسهمت عدة عوامل في ازدهار الحركة العلمية في سمائل على مر العصور منها: دخولها في الإسلام، واهتمام المسلمين بنشر العلم بتلك البلاد.

ثالثًا: شهدت سمائل انتشار المراكز الثقافية في ربوعها كالمساجد والمدارس والمكتبات، مما أسهم في ازدهار الحركة العلمية بها.

رابعًا: اتسع أفق الفكر الإسلامي في سمائل اتساعًا كبيرًا، فكانت ملكات المسلمين في البحث والتأليف قد بلغت درجة عظيمة من النضج والنشاط العلمي بها.

خامسًا: ازدهرت العلوم الشرعية والأدبية في سمائل، وذلك بفضل ما تركه فقهائها وعلمائها وأدبائها وشعرائها من مؤلفات جليلة أثرت الفكر الإنساني، وأثرت المكتبة العربية والإسلامية.

الملاحق

الرسائل

الخرائط

الرسائل:

ضمن مشروع جامعة السلطان قابوس لجمع الوثائق

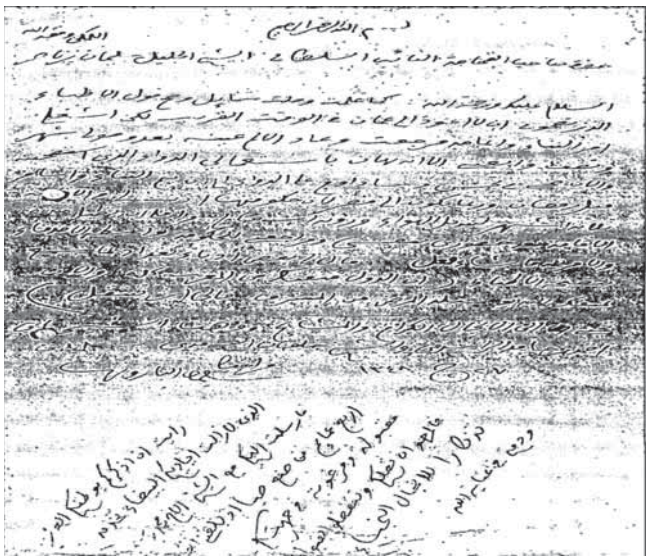

ملحق (١) رسالة من الشيخ سليمان باشا الباروني إلى الشيخ سليمان بن ناصر اللمكي بتاريخ ٢٧ جمادى الأولى ١٣٤٧هـ/ ١٩٢٩م، يخبره فيها بأن العمل في بناء المدرسة بسمائل مستمر.

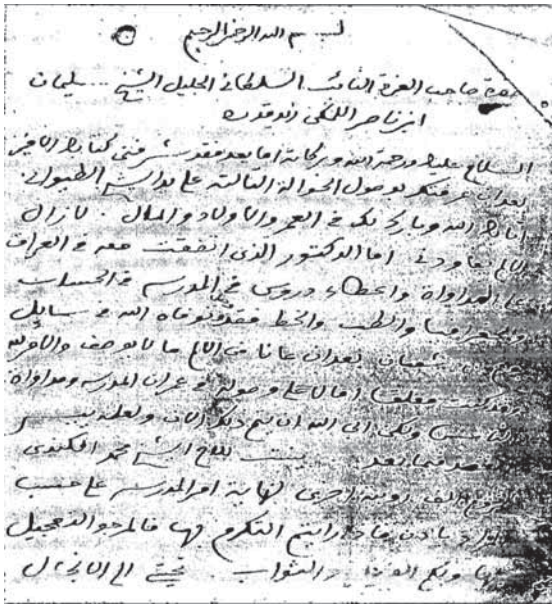

ملحق (٢) رسالة من الشيخ سليمان باشا الباروني إلى الشيخ سليمان بن ناصر اللمكي، يخبره فيها بأن الطبيب العراقي حضر إلى سمائل لإلقاء دروس في المدرسة.

ملحق الخرائط

موقع ولاية سمائل بالنسبة لعمان[٦٢]

الحواشي

١. محمد الزبير: موسوعة أرض عمان، مكتب مستشار جلالة السلطان لشوؤن التخطيط الإقتصادي، مسقط، ١٩٩٥م، جـ٢، ص٦٥٧

٢. محمد عبدالله السالمي: نهضة الأعيان بحرية عمان، مكتبة التراث، عمان، (د.ت)، ص٢٢٣

٣. سالم بن حمود السيابي: العنوان عن تاريخ عمان، دمشق، ١٩٦٥م، ص٧٠

٤. علي بن سعيد البلوشي: جغرافية ولاية سمائل، بحث ضمن حصاد ندوة المنتدى الأدبي في سمائل ١٢-١٣ ديسمبر ٢٠٠٥م، ص١٣

٥. محمد عبدالله السالمي: نهضة الأعيان بحرية عمان، ص٢٢٣

٦. ج لوريمر: السجل التاريخي للخليج وعمان وأواسط الجزيرة العربية، ترجمة: جامعة السلطان قابوس، دار غارنت للنشر، إنجلترا، ص٧٠

٧. هو مازن بن غضوبة بن عراب بن بشر بن خطامة بن سعد بن ثعلبة بن نصر بن سعد بن أسود بن نبهان بن عمرو بن الغوث بن طي الطائي ثم النبهاني ثم الخطامي العماني (ت٢٥هـ/ ٦٤٦م) الذي كان سادن الأصنام في عمان، وأصبح الصحابي الجليل الذي أسلم عام ٦ه / ٦٢٨م إثر سماعه صوتًا صادرًا من الصنم أثناء تقديم الذبيحة لمرات متكررة وتزامن مع مجيء رجل قادم من

الحجاز يعلن ظهور نبي جديد للأمة هو (محمد بن عبد الله) عليه الصلاة والسلام، وقد حمل لواء الإسلام في بلاد عمان، واعتبر مؤسس الدعوة الإسلامية فيها، والتي دخلت طواعية في الإسلام بجهوده المخلصة فهو واضع اللبنات الأولى لها في عمان. لمزيد من التفاصيل انظر: ابن حجر العسقلاني (شهاب الدين أحمد بن علي، ت ٨٥٢هـ / ١٤٤٩م)، الإصابة في تمييز الصحابة، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وعلى محمد معوض، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٤١٥ه، جـ٥، ص٥٣٠ ؛ أحمد بن سعود السيابي، الصحابي الجليل مازن بن غضوبه، مكتبة الضامري، عمان، ط٣، ١٤٢١هـ /٢٠٠١م، ص٤٢-٤٤ ؛ جنان قحطان العاني، مازن بن غضوبة ودوره في نشر الإسلام: دراسة تاريخية، مجلة البحث العلمي في الآداب، كلية البنات للآداب والعلوم والتربية، جامعة عين شمس ،٢٠١٩، ع٢٠, جـ٣، ص٣٧٣- ٤٠٠

٨. أحمد ين سعود السيابي: الصحابي الجليل مازن بن غضوبه، ص ٤٢

٩. بنو الجلندي بن المستكبر بن مسعود بن الحراز بن عبد العزى بن مِعولة بن عثمان بن نصر بن زهران الأزديّ العمانيّ. انظر: سالم بن حمود شامس السيابي، إسعاف الأعيان في أنساب أهل عمان، المكتب الاسلامي، بيروت، ١٩٦٥م، ص٣٠.

١٠. أرسل الرسول r)) في السنة الثامنة من الهجرة عمرو بن العاص وأبا زيد الأنصاري إلي عمان للدعوة إلي الاسلام ، وقد قبل كل من الأخوين الحاكمين هناك آنذاك وهما عبيد بن الجلندي وجيفر الجلندي الاسلام عن رضا وقناعة، ولم يقفا عند هذا وإنما قاما بالدعوة بين أهل عمان، وذكر البلاذري "ودعوا العرب هناك إلي الاسلام فأجابوا إليه ورغبوا فيه". لمزيد من التفاصيل انظر: البلاذري (أبو العباس أحمد بن يحي بن جابر، ت ٢٧٩هـ / ٨٩٢م)، فتوح البلدان، تحقيق: نجيب الماجدي، بيروت، المكتبة العصرية، ط ١، ١٤٢٨هـ / ٢٠٠٨م، ص ٨٨ ؛ ابن سيد الناس (أبو الفتح محمد بن محمد بن محمد بن سيد الناس اليعمري، ت ٧٣٤هـ / ١٣٣٤م)، عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير، تحقيق: محمد الخطراوي - محي الدين مستو، دار ابن كثير، بيروت، (د.ت)، جـ٢، ص٣٣٤

١١. فيصل بن تركي بن سعيد بن سلطان بن أحمد بن سعيد البوسعيدي هو سلطان عمان ومسقط الخامس، ولي يوم مات أبوه سنة ١٣٠٥هـ / ١٨٨٨م، وكان أوسط إخوته سنًا، وأحسنهم مع الرعية سياسة وحزمًا، مولده وسكنه ووفاته بمسقط، أحبه رعاياه، وكان شجاعًا، توفي عن نحو خمسين عاما. انظر: الزركلي (خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، ت ١٣٩٦هـ / ١٩٧٦م)، الأعلام، دار العلم للملايين، ط ١٥، ٢٠٠٢م، جـ ٥، ص١٦٤-١٦٥

١٢. هو الشيخ صالح بن علي الحارثي، أمير الشرقية في عمان، عالم مسلم فقيه ينتمي

للمدرسة الإباضية ومصلح اجتماعي وسياسي عماني من أعيان القرن الثالث عشر الهجري / التاسع عشر الميلادي، حيث قام بدور مهم في الأحداث السياسية في عصره، فقد شارك في ثورة الإمام عزان بن قيس البوسعدي ضد سلاطين مسقط وحلفائهم الإنجليز، كما ساهم في النهضة العلمية في عمان خلال تلك الفترة. انظر: سعيد بن محمد بن سعيد الهاشمي، الشيخ صالح بن علي الحارثي (١٢٥٠هـ / ١٨٣٤م - ١٣١٤هـ / ١٨٩٦م) ودوره الاجتماعي والسياسي، مجلة دراسات الخليج والجزيرة العربية، جامعة الكويت، مج ٣٣, ع ١٢٥، ١٤٢٨ه / ٢٠٠٧م، ص ١٧٩-٢٠١

١٣. محمد عبدالله السالمي: المرجع السابق، ص ٧١

١٤. هو الأمير عيسى بن صالح بن علي بن ناصر بن عيسى بن صالح الحارثي (١٢٩٠-١٣٦٥ه / ١٨٧٤ - ١٩٤٦م)، كان أول طلبه للعلم عند أبيه المحتسب الأمير صالح بن علي، فكان ملازمًا له يأخذ عنه دقائق العلوم وفرائد الفنون، كما تحمل الشيخ عيسى بن صالح الحارثي عن أبيه همًا عظيمًا، وتقلد عنه زعامة ثقيله لأنه كان أكبر أولاده، ومن مؤلفاته: الرد العزيز على أحكام الدريز- رسالة منع الإسقاط بالجوائح، توفي سنة ١٩٤٦م. انظر: زاهر بن سعيد بن سيف السعدي، الشيخ عيسى بن صالح الحارثي (١٢٩٠ - ١٣٦٥هـ / ١٨٧٤ - ١٩٤٦م) سيرته ودوره السياسي في غمان، مؤسسة الإنتشار العربي، لبنان، ٢٠١٨م، ص٢١-٣٢، ٤٩

١٥. نور الدين السالمي: تحفة الأعيان بسيرة أهل عمان، مطبعة الشباب، القاهرة، ط٢، ١٣٥٠هـ، ص ٢٩٦

١٦. هو الشيخ المحقق سعيد بن خلفان بن أحمد بن صالح بن أحمد بن عامر، ونسبه يلتقي بـ (الإمام الصلت بن مالك الخروصي). ولد سنة ١٢٣٠هـ / ١٨١٥م في بلدة بوشر من ضواحي العاصمة مسقط، وقد بقي مترددًا بين بوشر وسمائل طوال حياته، له عدة مؤلفات تتنوع بين النثر والشعر، وفي شهر ذي القعدة من عام ١٢٨٧هـ / ١٨٧١م توفي الشيخ المحقق سعيد بن خلفان الخليلي بعد حياة مليئة بالعطاء. انظر: إدريس بن بابا باحامد، سعيد بن خلفان بن أحمد الخليلي (ت: ١٢٨٧هـ)، مقال بصحيفة روضة الصائم، عمان، ٣٠ مايو ٢٠١٩م.

١٧. نور الدين السالمي: تحفة الأعيان، ص ٢٩٨

١٨. سالم بن راشد بن سليمان بن عامر الخروصي: من أئمة الإباضية في عمان، ولد بها في إحدى قرى الباطنة، وتفقه في بلدة العوابي، ثم في القابل، من الشرقية، وبويع بالإمامة في مسجد تنوف سنة ١٣٣١هـ فكتب إلى الأقاليم يدعوها إلى طاعته، وجهز جيشا افتتح به نزوى ومنح، وأزكى، والعوابي، وسمايل، وبديد، وجاءه إنذار من القنصل البريطاني، بمسقط، في عدم التعرض لها أو لمطرح، وذلك في أواخر

أيام السلطان فيصل بن تركي، واستمر في جهاد وسيرة حسنة إلى أن كان خارج نـزوى، في عسكره لتأديب قبيلة تدعى وهيبة امتنعت عليه، ونزل بالخضراء، من وادي عندام، فنام، فاغتاله أعرابي فزاري بإغراء من بعض قومه. انظر: الزركلي، الأعلام، جـ٣، ص٧١-٧٢

١٩. نزوى: اسم مشتق من الفعل انزوى؛ وذلك لأنّها تقع على مفترق طرق بين كلّ من مسقط، وسلسلة جبال الحجر، والأجزاء الشماليّة من عُمان، ويذكر ابن بطوطة أنها كانت تسمى نَـزْوَا "وضبط اسمها بنون مفتوح وزاي مسكن وواو مفتوح" مدينة في سفح جبل تحف بها البساتين والأنهار، وسمّيت أيضًا "ببيضة الإسلام"؛ وذلك بسبب نشاطها الفكري، كما تخرج منها أجيال كثيرة من الفقهاء، العلماء، والمؤرخين، وقد اشتهرت بكونها عاصمة دينية وروحية وفقهية، بحيث كان لها دور كبير في الدعوة للإسلام، وقد كانت في السابق العاصمة السياسية لسلطنة عُمان، وقد أطلق عليها سلطان عُمان قابوس بن سعيد اسم مدينة العلم والتراث، وذلك لكونها مركزًا للعلم والحضارة، ومستودعًا للتراث الإنساني. انظر: ابن بطوطة (محمد بن عبدالله بن محمد بن إبراهيم اللواتي الطنجي، ت ٧٧٩هـ / ١٣٧٧م)، تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، القاهرة، المطبعة التوفيقية، (د. ت)، جـ١، ص٢٠٨ ؛ الحربي: عاتق بن غيث بن زوير بن زاير بن حمود بن عطية بن صالح البلادي، معجم الْمَعَالِمِ الْجُغْرَافِيَّةِ فِي السِّيرَةِ النَّبَوِيَّةِ، دار مكة للنشر والتوزيع، مكة المكرمة، ١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م، ص٢١٦.

٢٠. عبد الله بن علي الخليلي: بين الحقيقة والخيال، المطابع الذهبية، مسقط، ١٩٩٠م، ص٧٣

٢١. نور الدين السالمي: المرجع السابق، ص ٢٩٩

٢٢. ولـد الشيخ عبدالله بن سعيد بن خلفان الخليلي سنة ١٢٧٩هـ / ١٨٦٣م، كان على سدة إمارة وادي سمائل، وكان عالما جليلا كثير الإطلاع على فنون العلم، كثير قيام الليل، وهو الأمير والشاعر، والسيد المطلق في وادي سمائل، وقد استنكر على الإمام سالم بن راشد الخروصي في دخوله لحصن سمائل بعد خروج السيد نادر بن فيصل منه، وقبل مضي المدة المشروطة؛ لأن الأمر كان على يده، فهو يهوى إتمام ما تكفل به من الشروط على أوفـر ما يكون، وله شعر حسن، توفى في جمادى الثانية سنة ١٣٣٢هـ. انظر: محمد عبدالله السالمي، المرجع السابق، ص٢٨٨، ٣٩١

٢٣. إبراهيم شهداد: الصراع الداخلي في عمان خلال القرن العشرين ١٩١٣-١٩٧٥م، دار الأوزاعي، بيروت، ١٩٨٩م، ص ٣٦

٢٤. سيف الـرحـبـي: عميد شجرة الأنساب الشعرية في سمائل الشيخ عبدالله الخليلي، مجلة نـزوى، العدد (١٣)، ط١، مسقط، ١٩٩٨م، ص ١٥

٢٥. سليمان بن خلف الخروصي: ملامح من التاريخ العماني، مكتبة الضامري، عمان، ط٣، ٢٠٠٢م، ص ٢٠٢-٢٠٣

٢٦. هو نظام الملك أبو على الحسن بن علي بن اسحاق الطوسي لقب بنظام الملك وكان من أبناء دهاقين طوس، تعلم العربية وحفظ القرآن الكريم وعمل كاتبًا لوالى بلخ الذي كان كثير المصادرة للحسن نظام الملك، ففر من خدمته وذهب إلى مرو فوجد فيه حاكمها جغرى بك أثار النجابة، فأرسله إلى ألب أرسلان، ولقد تبوأ نظام الملك مكانته العظيمة فى عهد إبنه ملكشاة، وكان عالما كريما. انظر: ابن خلكان (شمس الدين أحمد بن محمد، ت ٦٨١هـ / ١٢٨٢م) : وفيات الاعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق: احسان عباس، بيروت، دار صادر، ١٩٦٨م ، جـ٢، ص ١٢٨

٢٧. تقع نيسابور في الطرف الغربي لإقليم خراسان، يحدها من الشمال جرجان، ومن الجنوب قوهستان، ومن الشرق مرو، ومن الغرب إقليم قومس، ومن الجنوب الشرقى هراة، تم بناء نيسابور في عصر سابور الأول (١٤١-٢٧٢م)، وهي واحدة من المدن الرئيسة لإقليم خراسان، ونيسابور حاليًا هي إحدى مدن إيران وتقع في الشمال الشرقي من إيران، جنوب بلدة سلطان آباد، يحدها من الطرف الشمالي جبل بينالود، ومن الجنوب كاشمر ومن الغرب محافظة سبزوار مشهد. انظر: أبو الفداء (عماد الدين اسماعيل بن علي، ت ٧٣٢هـ / ١٣٣١م): تقويم البلدان، بيروت، دار صادر، (د ت)، ص ٤٤٩ ؛ الثعالبي (أبو منصور عبد الملك بن محمد بن اسماعيل، ت ٤٢٩هـ / ١٠٣٧م): تاريخ غرر السير، المعروف بـ: غرر أخبار ملوك الفرس وسيرهم، روتنبرج، باريس، ١٩٠٠م، ص٢٩٥

٢٨. أحمد شلبي: التربية الإسلامية، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ط٦، ١٩٧٨م، ص ١٨

٢٩. حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة، طبعة الحلبي، مصر، ١٩٦٧، جـ٢، ص٢٥٥

٣٠. فهد بن علي السعدي: معجم شعراء الإباضية، مكتبة الجيل الواعد، مسقط، ط١، ٢٠٠٧م، ص ١٣- ١٥ ؛ يوسف الكاسبي: الحياة الثقافية بعمان بين سنتي ١٨٥٠-١٩١٤، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة الزيتونة، تونس، ٢٠٠٦م، ص٤٢

٣١. هو محمد بن عبد الله بن سعيد بن خلفان، أبو عبد الله الخروصي الخليلي: من أئمة الإباضية في عمان، ولد في قرية سمائل، وتفقه في شرقية عمان، وانتخب للإمامة سنة ١٣٣٨هـ /١٩٢٠م، واستمر إلى أن توفي في (نزوى) عاصمة عمان، عن نيف وسبعين عامًا، وكان المرجع الأعلى لبلاده في القضاء والإدارة وسياسة الدولة. انظر: الزركلي، المرجع السابق، جـ٦، ص٢٤٦

٣٢. هو سليمان (باشا) بن عبد الله بن يحيى الباروني الطرابلسي: زعيم سياسي مجاهد، ولد في (كاباو) من بلاد طرابلس، وتعلم في تونس والجزائر ومصر، وعاد إلى وطنه،

فانتقد سياسة الدولة العثمانية - وكانت طرابلس تابعة لها - فأبعد منها، فقصد مصر، ثم نشبت الحرب العامة الأولى سنة ١٩١٤م، فوجهته حكومة الآستانة (قائدا لمنطقة طرابلس الغرب)، وباشر القتال إلى أن أكرهت تركيا العثمانية على التخلي عن طرابلس، بعد هدنة ١٩١٨م، وعقد الطرابلسيون صلحًا مع إيطاليا سنة ١٩١٩م، كانت له يد فيه، فرحل إلى أوربا، وحج سنة ١٩٢٤م، وذهب إلى (مسقط) ثم الى (عمان) وكـان إباضي المذهب، فجعله سلطان مسقط مستشارا لحكومته سنة ١٩٣٥م فأقام عامين، ومرض فذهب إلى بومباي مستشفيا، فتوفي فيها. انظر: الزركلي، نفس المرجع ، جـ٣، ص ١٢٧-١٣٠

٣٣. الهاشمي: غاية السلوان، ص١٤٦

٣٤. محمد بن عبد الله السيفي: النمير حكايات وروايـات، مكتبة غاية المراد، نزوى، ٢٠٠٥م، جـ٦، ص١٥٧

٣٥. إبراهيم بن محمد الشكيلي: مدرسة الإمام محمد بن عبد الله الخليلي وأثرها في نشر العلم، عمان، ط١، ٢٠١٣م، ص٦٤، ٦٦

٣٦. عبد الله بن ناصر الحارثي: دور آل بوسعيد في تنشيط الحركة الثقافية في عمان وشرق أفريقيا، وزارة الثقافة والتراث، مسقط، ط١، ٢٠٠٦ ، ص١٠٤

٣٧. الخروصي: ملامح من التاريخ العماني، ص١٢

٣٨. الحارثي: دور آل بوسعيد في تنشيط الحركة الثقافية، ص١٠٧

٣٩. الخروصي: المرجع السابق، ص١٣-١٤

٤٠. حمد بن عبيد السليمي: الشمس الشارقة في التوحيد، مسقط، ط١، ١٩٩٦م

٤١. حمد بن عبيد السليمي: العقد التمين في الدعوى واليمين، وزارة الثقافة والتراث، مسقط، ط١، ١٩٨٣م

٤٢. حمد بن عبيد السليمي: قلائد المرجان في أجوبة الشيخ العلامة أبي عبيد حمد بن عبيد السليمي، وزارة الثقافة والتراث، مسقط، ط١، ١٩٨٣م

٤٣. حمد بن عبيد السليمي: كرسي الفرائض، مسقط، ط١، ١٩٩٦م

٤٤. محمد بن راشد الخصيبي: شقائق النعمان على سموط الجمان في أسماء شعراء عمان، وزارة الثقافة والتراث، مسقط، ط١، ١٩٨٩م ، جـ٣، ص٥١ ؛ عبد الله بن سالم الحارثي: أضواء على بعض أعلام عمان، المطابع العالمية، روي، ١٩٩٤م، ص٩٤

٤٥. خلفان بن جميل: سلك الدرر الحاوي غرر الأثر، وزارة الثقافة والتراث، مسقط، ط١، ١٩٨٨م ، جـ٢

٤٦. الخصيبي: شقائق النعمان، جـ٣، ص٥٥

٤٧. خلفان بن جميل: فصل الأصول، وزارة الثقافة والتراث، مسقط، ط١، ١٩٨٤م

٤٨. مجموعة مؤلفين: العلامة سالم بن حمود السيابي سيرة وعطاء، ندوة النادي الثقافي

بسلطنة عمان في ١١ أكتوبر ٢٠١٠م، مكتبة الغبيراء، روي، ٢٠١١م، ص٢٤

٤٩. محمد بن عبد الله السيفي: النمير حكايات وروايات، مكتبة غاية المراد، نزوى، ٢٠٠٥م، جـ٢، ص٣١١

٥٠. محمود بن مبارك السليمي: مكانة سمائل الفكرية والأدبية، بحث ضمن حصاد الندوة التي أقامها المنتدى الأدبي في سمائل يومي ١٢ – ١٣ ديسمبر، ٢٠٠٥، ص١٨

٥١. فهد بن علي السعدي: معجم الفقهاء والمتكلمين الاباضية، مكتبة الجيل الواعد، مسقط، ٢٠٠٧م، مجـ٢، ص٨٠

٥٢. محمود بن مبارك السليمي: مكانة سمائل الفكرية والأدبية، ص٢١

٥٣. المجيزي (سعيد بن مسلم، ت ١٣٧٢ه/ ١٩٥٣م): ديوان أبي الصوفي، وزارة الثقافة والتراث، مسقط، ط٢، ٢٠٠٤م

٥٤. الحضرمي، محمد بن سليمان: شيخ القصيدة العمانية الذي سحر البيان بلغته العذبة: عبدالله بن علي الخليلي، مجلة نزوى، العدد ٢٤، مسقط ، ٢٠٠٠م، ص١٢٨

٥٥. الخليلي (عبدالله بن على، ت ١٤٢١ه/٢٠٠٠م): ديوان وحي العبقرية، وزارة الثقافة والتراث، مسقط، ط٢، ٢٠٠٦م

٥٦. الخليلي : ديوان وحي النهي، مطبعة الألوان، مسقط، ط١، ١٩٨٠م

٥٧. محمود بن مبارك السليمي: المرجع السابق، ص٩٨

٥٨. محمد أحمد: الشاعر العماني حميد بن عبدالله الجامعي، مجلة نزوى، العدد ٥، مسقط ، ١٩٩٦م، ص١٢٨

٥٩. الجامعي، حميد بن عبدالله: ديوان أبي سرور، مكتبة الفردوس، مسقط، ١٩٩٨م

٦٠. فهد بن علي السعدي: معجم شعراء الإباضية، جـ٢، ص٣٨٠

٦١. الخليلي: وحي العبقرية، ص٤٢٥

٦٢. https://images.app.goo.gl/ZWfcXwairX٣٥٧٢٦A٦

قائمة المصادر والمراجع

أولاً: المصادر العربية

١. ابن بطوطة (محمد بن عبدالله بن محمد بن إبراهيم اللواتي الطنجي، ت: ٧٧٩هـ / ١٣٧٧م)، تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، القاهرة، المطبعة التوفيقية، (د. ت)

٢. ابن حجر العسقلاني (شهاب الدين أحمد بن علي، ت: ٨٥٢هـ / ١٤٤٩م)، الإصابة في تمييز الصحابة، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وعلى محمد معوض، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٥هـ

٣. ابن خلكان (شمس الدين أحمد بن محمد، ت: ٦٨١هـ / ١٢٨٢م)، وفيات الاعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق: احسان عباس، بيروت، دار صادر، ١٩٦٨م

٤. ابن سيد الناس (أبو الفتح محمد بن محمد بن محمد بن سيد الناس اليعمري، ت: ٧٣٤هـ

/ ١٣٣٤م)، عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير، تحقيق: محمد الخطراوي - محي الدين مستو، دار ابن كثير، بيروت، (د.ت)

٥. أبو الفداء (عماد الدين اسماعيل بن علي، ت: ٧٣٢هـ / ١٣٣١م): تقويم البلدان، بيروت ، دار صادر، (د . ت)

٦. البلاذري (أبو العباس أحمد بن يحيى بن جابر، ت: ٢٧٩هـ/ ٨٩٢م)، فتوح البلدان، تحقيق: نجيب الماجدي، بيروت، المكتبة العصرية، ط ١، ١٤٢٨هـ / ٢٠٠٨م

٧. الثعالبي (أبو منصور عبد الملك بن محمد بن اسماعيل، ت ٤٢٩هـ / ١٠٣٧م): تاريخ غرر السير، المعروف بـ: غرر أخبار ملوك الفرس وسيرهم، روتنبرج، باريس، ١٩٠٠م، ص٢٩٥

٨. السيوطي (جلال الدين عبد الرحمن بن ابي بكر، ت: ٩١١هـ/ ١٥٠٥م): حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة، طبعة الحلبي، مصر، ١٩٦٧

ثانيًا: المراجع العربية

١. إبراهيم بن محمد الشكيلي: مدرسة الإمام محمد بن عبد الله الخليلي وأثرها في نشر العلم، عمان، ط١، ٢٠١٣م

٢. إبراهيم شهداد: الصراع الداخلي في عمان خلال القرن العشرين ١٩١٣-١٩٧٥م، دار الأوزاعي، بيروت، ١٩٨٩م

٣. أحمد بن سعود السيابي، الصحابي الجليل مازن بن غضوبه (t)، مكتبة الضامري، عمان، ط٣، ١٤٢١هـ /٢٠٠١م

٤. أحمد شلبي: التربية الإسلامية، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ط٦، ١٩٧٨م

٥. الجامعي، حميد بن عبدالله: ديوان أبي سرور، مكتبة الفردوس، مسقط، ١٩٩٨م

٦. الحربي: عاتق بن غيث بن زوير بن زاير بن حمود بن عطية بن صالح البلادي، معجم الْمَعَالِمِ الْجُغْرَافِيَّةِ فِي السِّيرَةِ النَّبَوِيَّةِ، دار مكة للنشر والتوزيع، مكة المكرمة، ١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م

٧. حمد بن عبيد السليمي: الشمس الشارقة في التوحيد، مسقط، ط١، ١٩٩٦م

٨. ----------: العقد الثمين في الدعوى واليمين، وزارة الثقافة والتراث، مسقط، ط١، ١٩٨٣م

٩. ----------: قلائد المرجان في أجوبة الشيخ أبي عبيد حمد بن عبيد السليمي، وزارة الثقافة والتراث، مسقط، ط١، ١٩٨٣م

١٠. ----------: وزارة الثقافة والتراث، مسقط، ط١، ١٩٨٣م

١١. ----------: كرسي الفرائض، مسقط، ط١، ١٩٩٦م

١٢. خلفان بن جميل: سلك الدرر الحاوي غرر الأثر، وزارة الثقافة والتراث، مسقط، ط١، ١٩٨٨م

١٣. --------: فصل الأصول، وزارة الثقافة والتراث، مسقط، ط١، ١٩٨٤م

١٤. الخليلي (عبدالله بن علي، ت ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م): ديوان وحي العبقرية، وزارة الثقافة والتراث، مسقط، ط٢، ٢٠٠٦م

١٥. ----------: ديوان وحي النهي، مطبعة الألوان، مسقط، ط١، ١٩٨٠م

١٦. ----------: بين الحقيقة والخيال، المطابع الذهبية، مسقط، ١٩٩٠م

١٧. زاهر بن سعيد بن سيف السعدي، الشيخ عيسى بن صالح الحارثي (١٢٩٠ - ١٣٦٥هـ / ١٨٧٤ - ١٩٤٦م) سيرته ودوره السياسي في غمان، مؤسسة الإنتشار العربي، لبنان، ٢٠١٨م

١٨. الزركلي (خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، ت ١٣٩٦هـ / ١٩٧٦م)، الأعلام، دار العلم للملايين، ط ١٥، ٢٠٠٢م

١٩. سالم بن حمود السيابي: العنوان عن تاريخ عمان، دمشق، ١٩٦٥م

٢٠. ----------: إسعاف الأعيان في أنساب أهل عمان، المكتب الاسلامي، بيروت، ١٩٦٥م

٢١. سعيد بن محمد بن سعيد الهاشمي، الشيخ صالح بن علي الحارثي (١٢٥٠هـ / ١٨٣٤م - ١٣١٤هـ / ١٨٩٦م) ودوره الاجتماعي والسياسي، مجلة دراسات الخليج والجزيرة العربية، جامعة الكويت، مج ٣٣, ع ١٢٥، ١٤٢٨هـ / ٢٠٠٧م

٢٢. سليمان بن خلف الخروصي: ملامح من التاريخ العماني، مكتبة الضامري، عمان، ط٣، ٢٠٠٢م

٢٣. عبد الله بن سالم الحارثي: أضواء على بعض أعلام عمان، المطابع العالمية، روي، ١٩٩٤م

٢٤. ----------: دور آل بوسعيد في تنشيط الحركة الثقافية في عمان وشرق أفريقيا، وزارة الثقافة والتراث، مسقط، ط١، ٢٠٠٦

٢٥. فهد بن علي السعدي: معجم الفقهاء والمتكلمين الاباضية، مكتبة الجيل الواعد، مسقط، ٢٠٠٧م

٢٦. ----------: معجم شعراء الإباضية، مكتبة الجيل الواعد، مسقط، ط١، ٢٠٠٧م

٢٧. المجيزي (سعيد بن مسلم، ت ١٣٧٢هـ/ ١٩٥٣م): ديوان أبي الصوفي، وزارة الثقافة والتراث، مسقط، ط٢، ٢٠٠٤م

٢٨. محمد الزبير: موسوعة أرض عمان، مكتب مستشار جلالة السلطان لشوؤن التخطيط الإقتصادي، مسقط، ١٩٩٥م

٢٩. محمد بن راشد الخصيبي: شقائق النعمان على سموط الجمان في أسماء شعراء عمان، وزارة الثقافة والتراث، مسقط، ط١، ١٩٨٩م

٣٠. محمد بن عبد الله السيفي: النمير حكايات وروايات، مكتبة غاية المراد، نزوى، ٢٠٠٥م

٣١. محمد عبدالله السالمي: نهضة الأعيان بحرية عمان، مكتبة التراث، عمان، (د.ت)

٣٢. نور الدين السالمي: تحفة الأعيان بسيرة أهل عمان، مطبعة الشباب، القاهرة، ط٢، ١٣٥٠هـ

ثالثًا: المراجع الأجنبية المعربة

١. ج لوريمر: السجل التاريخي للخليج وعمان وأواسط الجزيرة العربية، ترجمة: جامعة السلطان قابوس، دار غارنت للنشر، انجلترا

رابعًا: الرسائل

يوسف الكاسبي: الحياة الثقافية بعمان بين سنتي ١٨٥٠-١٩١٤، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة الزيتونة، تونس، ٢٠٠٦م

خامسًا: الدوريات

١. جنان قحطان العاني، مازن بن غضوبة ودوره في نشر الإسلام: دراسة تاريخية، مجلة البحث العلمي في الآداب، كلية البنات للآداب والعلوم والتربية، جامعة عين شمس، ع٢٠، ٢٠١٩م

٢. الحضرمي، محمد بن سليمان: شيخ القصيدة العمانية الذي سحر البيان بلغته العذبة: عبدالله بن علي الخليلي، مجلة نزوى، العدد ٢٤، مسقط، ٢٠٠٠م

٣. سيف الرحبي: عميد شجرة الأنساب الشعرية في سمائل الشيخ عبدالله الخليلي، مجلة نزوى، العدد (١٣)، ط١، مسقط، ١٩٩٨م

٤. علي بن سعيد البلوشي: جغرافية ولاية سمائل، بحث ضمن حصاد ندوة المنتدى الأدبي في سمائل ١٢-١٣ ديسمبر ٢٠٠٥م

٥. مجموعة مؤلفين: العلامة سالم بن حمود السيابي سيرة وعطاء، ندوة النادي الثقافي بسلطنة عمان في ١١ أكتوبر ٢٠١٠م، مكتبة الغبيراء، روي، ٢٠١١م

٦. محمد أحمد: الشاعر العماني حميد بن عبدالله الجامعي، مجلة نزوى، العدد ٥، مسقط ، ١٩٩٦م

٧. محمود بن مبارك السليمي: مكانة سمائل الفكرية والأدبية، بحث ضمن حصاد الندوة التي أقامها المنتدى الأدبي في سمائل يومي ١٢ – ١٣ ديسمبر، ٢٠٠٥م

القبس السَّنِي من حياة شيخ المالكية بالحرم المكي ابن حمُّود المكناسي (ت:٥٧٣هـ) جهوده وإسهاماته العلمية والدينية

د. الحسان العوني
المغرب

تروم هذه الورقة تسليط الضوء على جوانب مشرقة، ونفحات عطرة، ولمحات خاطفة من تراث أمتنا التليد من خلال إبراز ذلكم الحضور العلمي الوازن لمالكية الغرب الإسلامي في البلد الأمين، رغبة في مجاورة الحرم المكي، الذي كان ولا يزال مركز جذب روحي وعلمي استأثر باهتمام عوام المسلمين فضلا عن علمائهم الربانيين العاملين، ويأتي على رأس هؤلاء الشيخ؛ أبو الحسن علي بن عبد الله بن حمُود المكناسيُ محتدرا وأرومة، الفاسي ولادة.

فالرجل له أياد سابغة على المدرسة المالكية بالحرم المكي، نعد منها ولا نعددها، حتى انتهت إليه إمامتها، سنة سبعين وخمسمائة.

وستنصب هذه المقالة على إبراز أهم الروافد التي أسهمت في تكوين شخصية الرجل، والإشادة بجهوده، وإسهاماته العلمية، وحرصه على خدمة المذهب المالكي، وأهم رحلاته مع التركيز طبعا على إمامته بالحرم المكي.

الدراسات السابقة:

قبل الخوض في تناول هذا البحث بالبسط والتحليل، لابأس من التذكير ببعض الدراسات التي لها ارتباط وثيق بهذا العمل ويتعلق الأمر بالعلماء الذين آثروا مجاورة الحرمين إما بصفة دائمة أو مؤقتة خلال القرنين السادس والسابع الهجريين؛ من ذلك:

- البحث الذي شارك به الدكتور عبد العزيز بن راشد السنيدي في ندوة مكة المكرمة عاصمة الثقافة الإسلامية. ١٤٢٦هـ، والموسوم بـ: "المجاورون في مكة وأثرهم في الحياة العلمية خلال الفترة من ٥٧٠هـ/٦٦٠هـ - ١١٧٤م/١٢٦١م."

- ورسالة ماجستير للطالبة صفاء بنت نزال

ابن عبد الله الدهام، موسومة ب: "المجاورون في مكة وأثرهم في الحياة العامة خلال القرن السادس الهجري" بإشراف الدكتور: سعد بن عبد الرحمن العبيسي. جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية. ١٤٢٧هـ/١٤٢٨هـ وغيرها من الأبحاث والدراسات الأكاديمية التي لا يسع المجال لذكرها.

أما الدراسات والأبحاث التي أفردت للحديث عن مناقب الشيخ ابن حمّود، وآثاره وإسهاماته العلمية، فلم نوفق في العثور على أي مقال، أو مصنف، أو ثبت، أو فهرس ينير طريق الباحث للإحاطة ببعض الملامح والتفاصيل لهذه القامة العلمية الفذة، التيرغم مكانتها العلمية بالحرم المكي في القرن السادس الهجري، إلا أنها تبقى مغمورة لدى كثير من الطلبة والباحثين، ويعزى ذلك لشُحِّ المصادر والمراجع التي أفردت للتعريف بالشيخ وجهوده، وإسهاماته العلمية، سواء أكانت تدريسا أم تصنيفا أم إفتاءً أم إقراءً.

منهج البحث

سنتكئ في هذا العمل على منهج تحليلي وصفي معتمدين مقدمة وفصلين، أما الفصل الأول فخصصناه للحديث عن حياة ابن حمُّود، وأهم الروافد التي أسهمت في تكوين شخصيته العلمية، وتناولناه باستفاضة من خلال تمهيد وستة مباحثَ. فيما أفردنا الفصل الثاني للحديث عن العلماء المغاربة المجاورين مكة من خلال فقيهنا المالكي ابن حمّود أنموذجا، إسهاماته العلمية، وأهم الوظائف التي تقلدها، والذي ناقشناه من خلال تمهيد وأربعة مباحث، ثم خاتمة مشفوعة بجملة من التوصيات، ومسرد خاص بلائحة المصادر والمراجع.

أهداف البحث:

يتغيّى هذا العمل تحقيق جملة من الأهداف منها:

- إماطة اللثام عن بعض الجوانب المشرقة من حياة أحد أبرز رجالات المذهب المالكي المغاربة في القرن السادس الهجري.
- إبراز إسهامات الرجل في خدمة المذهب المالكي بالحرم المكي.
- الوقوف على أهم الوظائف الدينية التي تقلدها ابن حمُّود المكناسي إبان مجاورته الحرم المكي

الفصل الأول: حياة ابن حمّود المكناسي وأهم الروافد التي أسهمت في تكوين شخصيته العلمية.

تمهيد مصادر ترجمة الشيخ ابن حمّود المكناسي:

قبل الشروع في رسم صورة مكتملة عن حياة المترجَم، أود بداية استهلال هذا الفصل بالإشارة إلى أن هناك عددا لا يستهان به من المصادر المطبوعة، التي أفردت ترجمات للشيخ على الرغم من عدم وقوفها على كثير من المحطات والجزئيات؛ من قبيل ذكر مؤلفات الشيخ، والتي يصل عددها ـ حسب ما وقفنا عليه ـ ثمانية مصادر، هذا فضلا عن عدد كبير من المقالات والدراسات.

والواقع أن عددها يتجاوز ذلك بكثير، بالنظر إلى مكانة الشيخ، وإسهاماته العلمية والدينية؛ باعتباره عالما فذا، وقطبا ربانيا، ورجلا من رجالات وأساطين المذهب المالكي في الغرب الإسلامي في القرن السادس الهجري، أحد أبرز

العلماء المجاورين للحرم المكي الشريف علما وأدبا وفقها، وسلوكا، حتى انتهت إليه إمامة المسلمين بالحرم المكي، الذي لازمه ردحا من الزمان، حتى فاضت روحه الطاهرة إلى بارئها ـ نسأل اللهَ أن يسقي قبره بوابل الرحمات ويسكنه فسيح الجنات ـ ولم نرَ مسوغا لإيرادها هاهنا، لورودها في مظانها، تجنبا للتَّكرار.

المبحث الأول: اسمه ونسبه وكنيته

مترجَمنا هو العالم، الحبر الفهّامة، الفقيه، المحدّث، الأصولي، اللوذعي، الرُّحْلةُ، الألمعي، شيخ شيوخ المالكية بالغرب الإسلامي، والحرم المكي الشريف، الشيخ عليّ ابنُ عبد الله بنِ حمّودٍ الفاسيُّ المكناسيُّ، يُكْنى أبا الحسن، أصله من مكناسة الزيتون[1]

وقد أجمعت المصادر التي وقفنا عليها على أن الشيخ ابن حمُّود من أهل فاس، وبها ولد عام ستة وتسعين وأربع مائة[2]، ويعرف بالمكناسي. إلا أن ابن الزبير الغرناطي(ت:٧٠٨هـ) في "صلة الصلة" ذكر تاريخا مخالفا لولادة الشيخ ابن حمّود فكان مما قاله: "...مولده سنة ٤٧٦ أو نحوها، وتوفي سنة ٥٧٣"[3] انتهى كلامه ويظهر من خلال هذا النص أن ابن الزبير الغرناطي غير متأكد من التاريخ الذي ذكره، وربما يكون الأمر قد التبس عليه في قراءة التاريخ قراءة صحيحة ومرد ذلك إلى النسخة التي كان ينقل منها ترجمته للشيخ ابن حمّود المكناسي، فَوهِم بين أربع مائة وستة وتسعين، وأربع مائة وستة وسبعين؛ أي بين التسعين والسبعين، وهذا ما تبين من خلال قوله: "أو نحوها"، وهذا ما نرجحه والله أعلم.

ونزعم أن السنة الفعلية لولادة ابن حمُّود المكناسي، هي ستٌّ وتسعون وأربع مائة، لاتفاقها مع التاريخ الذي ذكره الذهبي، رغم أنه لم يشر إلى ذلك صراحة إلا أن ذكره عام الوفاة يؤكد ذلك، فكان مما قاله: "توفي بمكة عن سبع وسبعين سنة"[4] ونعلم يقينا أن سنة وفاة المترجَم هي ثلاث وسبعون وخمس مائة، وأن الشيخ عاش سبعا وسبعين سنة، حسب ما ذكره الذهبي؛ وهو ما يجعلنا نطمئن إلى أن عام ولادة المترجَم هو ستة وتسعون وأربع مائة.

المبحث الثاني: شيوخه

إن المصادر التي رجعنا إليها، التي أفردت ترجمات لابن حمود المكناسي، على الرغم من شح المعلومات التي أفادتنا به، إلا أنها رصدت أهم الروافد التي أفادَ منها المترجَم، وأسهمت في تكوين شخصيته العلمية، من ذلك رصدها أهم الشيوخ الذين اقتبس ابن حمود من أنوارهم، واستضاء بفيض علومهم؛ والذين سأورد أسماءهم مرتبين على حروف المعجم ترتيبا ألفبائيا دون الأخذ بعين الاعتبار (أبو أو ابن)؛ منهم:

- أحمد بن عبد الله أخذ عنه موطأ القعنبي[5]
- أبو بكر بن طَرْخَان أخذ عنه صحيح مسلم[6]
- أبو بكر الطرطوشي أخذ عنه سنن أبي داود[7]
- أبو الحسن سعد الخير بن محمد بن سهل الأندلسي أخذ عنه جميع صحيح البخاري[8]
- أبو سعيد مسعود بن عبد الله صاحب أبي مكتوم عيسى بن أبي در أخذ عنه صحيح البخاري[9]

- ابن المبارك بن عبد الجبار أخذ عنه جامع أبي عيسى الترمذي[١٠]
- أبو محمد عبد الله بن محمد الضريحي المرسي ويعرف بابن مطحنة، وقد أكد ذلك صاحب "النفح"؛ وفي ذلك يقول: "ومنهم أبو عبد الله بن محمد الضريحي المرسي ويعرف بابن مطحنة، روى عن أبي بكر ابن الفرضي النحوي، وتأدب به، ورحل إلى المشرق، ولقي أبا محمد العثماني وغيره، وحج، وقعد لتعليم الآداب. وممن أخذ عنه أبو عبد الله محمد بن السلام، وأبو عبد الله المكناسي وغيرهما"[١١]

ولا شك أن ما أسعفتنا به المصادر من رصد شيوخ المترجَم، هو نزر يسير قياسا مع مكانة ابن حمّود وكثرة تَجواله بين بلدان العالم الإسلامي التي زارها وقتئذ.

المبحث الثالث: تلامذته

عرف الشيخ ابن حمّود بأنه كان شيخا رُحلةً، كثير التَّرحال والتّطواف، فزار مدنا وبلدانا كثيرة، متنقلا بين فاس، ومكناس[١٢] وألميرية[١٣]، والإسكندرية، والحجاز وغيرها، فالتقى جلة من العلماء الذين أفاد منهم وأفادوا منه، وفي ذلك تقول صفاء بنت نزال بن عبد الله الدهام في رسالتها لنيل شهادة الماجستير، والموسومة ب: "المجاورون في مكة وأثرهم في الحياة العامة خلال القرن السادس الهجري. متحدثة عن جهود الشيخ ابن حمّود وإسهاماته العلمية: "وقد أفاد علماء الحجاز، والوافدين إليها في المواسم فأقرأ الكثير من نزلاء مكة"[١٤] ولعل من أبرز هؤلاء نذكر:

- أبو بكر عتيق بنعلي بن خلف الذي ذكره في برنامجه.[١٥] وقد أفادنا بذلك عبد الهادي التازي في معرض حديثه عن تلامذة ابن حمّود؛ إذ يقول: "ومن أولئك نذكر أبا عتيق بن علي بن خلف بن أحمد الأموي المرواني، الذي حج سنة اثنتين وستين وخمسمائة للهجرة، فسمع بمكة المكرمة من علي بن عبد الله المكناسي، ثم قفل وتصدر للإقراء... وتوفي في رجب سنة ٦١٢هـ"[١٦]
- ابن أبي الصيف اليمني، الذي قرأ عليه سنن أبي داود[١٧]
- أبو بكر يحيى بن أحمد بن مسعود الأنصاري القرطبي، وفي ذلك يقول صاحب "مكة في مائة رحلة مغربية": "كما نذكر أبا بكر يحيى بن أحمد بن مسعود الأنصاري القرطبي، الذي حج، وسمع بمكةَ المكرمة من علي بن عبد الله بن حمّود المكناسي، أدركه أجله سنة ٦١٤هـ"[١٨]
- وعلى الرغم من شح المصادر التي اطلعنا عليها، والتي لم تشر إلا إلى هذا النزر الضئيل من تلامذة ابن حمّود، إلا أننا نستطيع القول إن عددهم يتجاوز المئات ما بين مشارقة ومغاربة وأندلسيين.

المبحث الرابع: رحلاته

إنَّ المتتبع لسيرة ابن حمُّود المكناسي، يلحظ أن الشيخ كان كثير التَّرحال بين مسقط رأسه فاس، ومكناس، وبلاد الحجاز التي زارها في مناسبات كثيرة، فطاب له المقام بمكة المكرمة التي جاورها حتى وافاه الأجل المحتوم بها. كما عرج على الإسكندرية، وتنقل أيضا إلى الأندلس

وبالضبط إلى مدينة ألميرية وغيرها من مدن الغرب الإسلامي.

وما يلاحظ على دوافع هذه الرحلات وأغراضها أنها توزعت بين الحج والعلم والرباط والجهاد والغزو، وهكذا يتبين أن ابن حمّود كان من العلماء العاملين المجاهدين، وهذا ما أشار إليه غير واحد ممن تعرضوا لسيرة الرجل، فكان مما قيل في حياته العلمية الجهادية التعبدية الماتعة الشائقة الرائقة: "ورجع بعد قضاء حجه سنة٥١٨هـ، فأقام بمدينة فاس مدة، ثم دخل الأندلس بنية الغزو والرباط، وصحب بها جلة ثم عاد إلى فاس، وبقي بها مدة إلى سنة ٥٢٦هـ، ثم رحل ثانية فدخل ألميرية، ورحل منها إلى الإسكندرية، ولم يعد إلى المغرب"[١٩]

أفادنا صاحب "الجذوة" بتاريخ السنة التي ارتحل فيها ابن حمود إلى الحجاز للحج وكان ذلك سنة اثنتي عشرة وخمسمائة[٢٠] وبذلك يكون الشيخ قد مكث مجاورا مكة ستَّ سنوات في الوهلة الأولى إذا ما احتسبنا سنة ارتحاله إلى الحرمين الشريفين والسنة التي عاد فيها إلى مسقط رأسه فاس وهو سنة ٥١٨هـ حسب ما ذكره ابن بشكوال.

وجاء في رسالة الباحثة صفاء بنت نزال أن مترجمَنا» دخل الأندلس مرابطا، ثم حج وجاور، وأصبح إماما بالحرم الشريف، وقد أفاد علماء الحجاز والوافدين إليها في المواسم، فأقرأ الكثير من نزلاء مكة"[٢١] وقد أكد هذا الأمر أكثر من عالم؛ منهم الشيخ تقي الدين محمد بن أحمدَ الحسني الفاسي في العقد الثمين؛ إذ يقول ـ متحدثا عن سيرة الرجل ورحلاته ـ : "علي بن عبد الله بن حمّود الفاسي، أبو الحسن المكناسي، إمام المالكية بالحرم الشريف، حج سنة اثنتي عشرة(...) دخل الأندلس مرابطا، ثم حج ثانيا، وجاور وأم بالحرم."[٢٢]

وعليه فإننا نقول إن ابن حمّود عالم رحالة، جاب أقطار العالم الإسلامي مشرقا ومغربا، فزار بلدانا ومدنا كثيرة، منها بلاد الأندلس، والإسكندرية وغيرها من المدن والأصقاع، بيد أن أهم رحلاته ارتبطت بأرض الحرمين الشريفين وخاصة مهبط الوحي مكة التي جاورها ردحا من الزمان، حتى ارتبط اسمه باسمها، مخلدا ذكره في أجمل وأبهى بقاع الأرض مجاورا كأحد أهم وأبرز أقطاب المالكية المجاورين لها. ولصدق تعلق قلب شيخنا بهذه الأرض المباركة ـ حتى كتب له أن فاضت روحه بها ـ زارها في مناسبتين اثنتين، وقد سبقت الإشارة إلى ذلك.

المبحث الخامس: ثناء العلماء عليه

لمكانة الشيخ ابن حمود وعظيم فضله على العلم وأهله، أثنى عليه العلماء ثناء عطرا، ومسكا زكيا؛ فكان مما قيل في مناقبه وسجاياه وخصاله: "كان زاهدا، ورعا، محسنا إلى الغرباء"[٢٣] هو قول نسبه الذهبي إلى ابن الأبار. وهو ما أكده ابن زيدان ـ متحدثا عن حال الشيخ ـ، الذي يقول عنه إنه: "عالم، زاهد، ورع، محسن إلى الغرباء، كثير الخشوع، متسع الصدر، معرض عن الدنيا، مقبل على الطاعة، متواضع، سريع الدمعة، مشفق على عباد الله"[٢٤] وهذه لعمري صفات العلماء الربانيين العاملين.

المبحث السادس: وفاته

بعد مسيرة جهادية علمية تعبدية حافلة شائقة،

رائقة، ماتعة، ترجّل إمـام المالكية بالحرم الشريف ابن حمّود المكناسي عن قطار الحياة، مسلما روحـه إلى بارئها، فاحتضنت جثمانه الشريف أرض مكة الطيبة المباركة، التي لازمها، وأحب العيش فيها حتى وافاه الأجل المحتوم عام ثلاثة وسبعين وخمسمائة عن عمر ناهز السابعة والسبعين سنة بعد محطة مشعة، نابضة بالعطاء، وقد أفادنا بذلك غير قليل من العلماء الذين تعرضوا لسيرة الرجل، منهم ابن زيـدان الذي أكد ذلك من خلال قوله: "توفي بمكة المشرفة، ودفن بالصفا سنة ثلاث وسبعين وخمسمائة"[٢٥] إلا أن صاحب العقد الثمين في ذكره لتاريخ وفاة المترجم، على الرغم من تأكيده للسنة نفسها التي ذكرها ابن زيدان إلا أنه أشار إلى أن الشيخ ابن حمد توفي عن عمر يناهز "سبعا وثمانين سنة."[٢٦]

أما صاحب "إتحاف الورى" (ت:٨٨٥هـ)، فذكر تاريخا مخالفا لكل من ترجم لابن حمّود المكناسي، في وفيات سنة إحـدى وسبعين وخمسمائة، والتي ذكر فيها أنه: "مات الشيخ الزاهد عمر بن الحسين النَّسَويِّ في مستهل المحرم. وأبو الحسن علي بن عبد الله بن حمّود الفاسي المكناسي في ليلة الاثنين في العشر الأوسط من جمادى الآخرة"[٢٧]

لكننا نرجح أن سنة وفاة مترجَمنا هي سنة خمسمائة وثلاث وسبعون لتواتر كثير من الروايات واتفاقها في هذا الأمر. والله أعلم وما نؤكده فعليا هو أن ابن حمّود المكناسي توفي بمكة ودفن بالصفا.

الفصل الثاني: العلماء المغاربة المجاورون بمكة؛ الفقيه المالكي ابن حمّود المكناسي أنموذجا، إسهاماته العلمية والوظائف التي تقلدها.

تمهيد:

نستهل هذا الفصل بالإشارة إلى فضل مكة المكرمة ـ زادها الله شرفا ومهابة وتعظيما ـ ومكانتها في نفوس المسلمين، وهي أفضل بقاع الأرض، التي لا تشد الرحال إلا إليها، وفي شأن ذلك قال رسولنا المصطفى ـ صلوات ربي وسلامـه عليه ـ عن أبي هريرة قـال: « لا تُشَدُّ الرِّحالُ إلّا إلى ثلاثةِ مسَاجِدَ؛ مسجدي هذا، والمسجد الحرام، والمسجد الأقصى»[٢٨] ومن أعظم الفوائد التي نقتبسها من هذا الحديث النبوي الشريف فضيلة ومزية وشرف السفر، وشد الرحال إلى هذه البقاع، التي خُصّت بالذكر دون غيرها، ورغب في الهجرة إليها بنية التعبّد.

لقد احتلت مكة الصدارة في أولويات المسلمين يتوجهون بقلوبهم وأفئدتهم إلى قبلتها خمس مرات يوميا، لا يفترون عن تَرداد اسمها، وأعناقهم مشرئبة لزيارتها حجا أو عمرة، فكان أول المبادرين إلى شحذ الهمم، والعزم على التّرحال إلى مكة المشرفة العلماءُ تنفيذا للتوجيهات النبوية الشريفة، بله عن عوام الناس للحج والعمرة، حتى أن كثيرا منهم استهواهم طيب مائها، ونسيم هوائها، وطيب وعطر ومسك ترابها، فأثر المكوث فيها وملازمة مسجدها الحرام وكعبتها المشرفة.

المبحث الأول: العلماء المغاربة المجاورون البلد الأمين في العصر الوسيط وأثرهم في الحركة العلمية، وإسهاماتهم الفكرية.

تجنبا للتّكرار، والإسهاب، وتوفيرا للجهد

والوقت، سأدخل في مناقشة المبحث مباشرة دون تلكؤ أو تردد بالخوض في قضية الاختلاف بين العلماء حول مشروعية الإقامة في مكة ومجاورتها من عدمها، ما بين مجيز ومحرم. والأمـر مبثوث في الكتب التي تناولت هذه القضية؛ لذلك أثرنا العدول عن مناقشتها ربحا للوقت.

أما القضية الثانية التي أثرنا العدول عن تناولها في مبحث خاص، هي قضية التعريف اللغوي والاصطلاحي للجذر [ج.و.ر] والتي نرى أنه لا مسوغ لحشوها في هذا المقام؛ لأنها في حكم المعلوم من الضرورة كما قال العلماء، هذا علاوة على أن عددا من الباحثين سبقونا إلى تناول هذا الموضوع "العلماء المجاورون مكة" فكفونا عنتَ ومشقّة البحث في الاشتقاقات اللغوية والاصطلاحية للجذر المذكور.

وعليه فإننا نقول: إنَّ مكة المكرمة ظلت مركز جـذب واستقطاب لكل من سمع نداء سيدنا إبراهيم عليه السلام، مصداقا لقوله تعالى: Mوَأَذِّنْ في النّاسِ بالحَجِّ يَاتُوكَ رِجَالاً وعلى كُلِّ ضامِرٍ ياتينَ منْ كُلِّ فجٍّ عميق ¬ L [٢٩] ولازالت إلى قيام الساعة فالكل مدعو لزيارتها، وشد الرحال إليها، امتثالا للشرع، ورغبة في الفضل. ولا فرق في ذلك بين ذكر وأنثى أو غني وفقير أو سليم وعليل، أو عربي وعجمي، وهي من الأماني التي لا يفتر المرء المسلم أن يحدث بها نفسه. هذا عن العامة، أما خاصة الخاصة فهم العلماء العاملون الربانيون الذين زاروا مكة، ـ نخص بالذكر العلماء المغاربة ـ وكثير منهم حدثته نفسه بالإقامة بين ظهرانيها ردحا من الزمان، أو بصفة دائمة حتى قضوا فيها.

وقد كان لهؤلاء العلماء المغاربة المجاورين إسهامات طيبة مثمرة في الحياة العامة بأرض الحرمين الشريفين، زودتنا بها بعض المصادر التي رجعنا إليها، من ذلك "تنمية المكتبات العامة في مكة، ومن أبرز ذلك ما قام به محمد بن عبد الله بن الفتوح المكناسي؛ إمام المالكية بالحرم الذي أوقف كتاب "المقرب" لابن أبي زمنين المالكي، وهو في ستة مجلدات على المالكية والشافعية والحنفية الذين يكونون بمكة، وجعل مكانه بخزانة المالكية فيها."[٣٠]

والنص حافل وناطق بالإسهامات العلمية المختلفة لهؤلاء العلماء، والتي تعددت بين التدريس والإفتاء والإسناد وتنمية المكتبات والإسهام في تأسيسها وبناء الخزائن والرباطات، والأوقاف؛ من ذلك وقف الكتب الهادفة النافعة على المالكية خاصة، وعلى غيرهم من المذاهب الأخرى هذا فضلا عن تقلد المناصب الدينية كالإمامة بالحرم نفسه.

وقد تحدث عن هذه الأدوار عدد من العلماء المنصفين الذين اعترفوا بفضل المغاربة الوافدين على مكة، والمجاورين لها.

ولعل من أبرز هؤلاء الباحث عبد العزيز بن راشد السنيدي الذي أشار في مداخلته في الندوة الدولية مكة المكرمة عاصمة الثقافة الإسلامية، الذي أشار إلى عدد من الوظائف التي تقلدها هؤلاء العلماء خلال القرن السادس الهجري، من ذلك قوله: "تولى عدد آخر من المجاورين إمامة مقام المالكية في مكة؛ منهم: الحسن ابن محمد بن علي الجزائري(ت أواخر القرن

٦هـ/ق١٢م) ومحمد بن عبد الله بن الفتوح المكناسي(ت:٥٩٢هـ/١١٩٥م)، ومنصور بن حمزة بن عبد الله المحاصبي المكناسي(ت: بعد ٥٩٥هـ/١١٩٨م)."[٣١]

المبحث الثاني: العلماء المجاورون مكة إبـان القرن السادس الهجري، وحيد زمانه، وفريد عصره وأوانه الإمام الأوحد، ابن حمّود المكناسي، والمناصب الدينية التي تقلدها.

خص الله الحرم المكي بخصائص ومميزات لا تتوفر في غيره في بقاع الأرض، فهو مهبط الوحي ومسرى رسولنا الكريم، مما يجعل النفوس والقلوب مشرئبة إليه، والأرواح هائمة في شغاف حبه، والأذهـان مشدودة إليه، والألسنة تلهج بذكره، وهي خصائص ومميزات دفعت العديد من العلماء إلى تحمل مشاق البعد، وقلة المؤونة في سبيل التّرحال إليه ومجاورته، فقد كانت مكة قبلة للالتقاء بين علماء الأمة الإسلامية من مختلف الأصقاع خلال مواسم الحج، فقد كانت مناسبة عظيمة للتلاقح والتواصل والاستجازة والإجازة وطلب العلم، والأخذ عن الشيوخ.

فكثيرا ما نجد في سير العلماء هذا التلازم الوطيد بين الحج والعلم، والمجاورة، والالتقاء، والإفادة والاستفادة، والمناظرات والمساجلات وغيرها.

ولعل فكرة مجاورة الحرم المكي الشريف، والإقامة بأم القرى ساورت وتساور مخيال كثير من المسلمين، وخاصة العلماء للتفرغ للعبادة والتبتل وملاقاة العلماء، والاحتكاك بهم للإفادة والاستفادة. وقد لاقت هذه الفكرة استحسان عدد من العلماء المغاربة الذين تجشموا عناء التَّرحال إلى هذه الربوع الطاهرة مسترخصين الغالي والنفيس، ونفوسهم تتوق إلى التَّطواف بالبيت العتيق وجاورته ومجالسة علماء الأمة في مواسم الحج وغيرها.

وقد زودتنا بعض المصادر التي تحدثت عن العلماء المغاربة المجاورين مكة أنهم ينحدرون من كل المدن والقرى والبوادي المغربية، ومن مدن المغرب العربي الكبير أيضا.

ومن الغريب أن تتبوأ مدينة مكناس المغربية الصدارة في عدد العلماء المغاربة المجاورين مكة مغاربيا، الذين لم يبرحوا مكة مذ قدموا إليه حتى فاضت أرواحهم، وهذا ما يؤكده أحد الباحثين بقوله: "ومـن مدن المغرب العربي المختلفة جاور أربعة عشر شخصا، بقي منهم في مكة مستوطنا حتى الوفاة ثمانية. وقد تصدرت مدينة مكناسة نظيراتها من مدن هذا الإقليم في كثرة القادمين، فبلغ عدد من جاور منها أربعة أشـخـاص."[٣٢] ولعل من أبـرز علماء المالكية المغاربة الذين جاوروا البيت العتيق ردحا من الزمان، حتى قضوا بهذا الأرض المباركة؛ العالم، الفهّامة، الـدّرّاكـة، الفقيه، المحدّث، الأصوليّ،الرُّحلة، اللوذعي، الألمعي، وحيد عصره، فريد دهره وأوانه، إمام مقام المالكية بالحرم المكي الشريف؛ القطب الرباني الجليل، الزاهد، الورع، المحسن الشيخ؛ علي بن عبد الله بن حمّود الفاسي ولادة، المكناسي محتدا وأرومـة، المكنى بأبي الحسن، المجاور مكة، والمتوفّى بها، والمسهم في حركتها العلمية تدريسا وتثقيفا وتهذيبا وتأليفا، ووعظا خلال القرن السادس الهجري، وهذا ما أكدته المصادر التي اطلعنا عليها؛ والتي أشارت إلى أن الشيخ

ابن حمّود كان أحد أبرز علماء المالكية، وإمامها بدون منازع وقتئذ؛ وفي ذلك يقول أحد الباحثين: « تولى عدد أخر من المجاورين إمامة مقام المالكية في مكة؛ منهم: عليّ بن عبد الله بن حمّود المكناسي (ت:٥٧٣هـ/١١٧٧م)"[٣٣]

وتسعفنا بعض المصادر حول بعض الوظائف الدينية التي تقلّدها مترجَمنا إلى جانب إمامته مقام المالكية، فقد اسندت إليه الإمامة بالحرم الشريف وهذا ما ذكره صاحب "الصلة"؛ إذ يقول ـ في معرض حديثه عن اسم الرجل وكنيته ـ: "...ابن حمّود المكناسي، إمام الحرم الشريف ـ شرفه الله ـ"[٣٤] وهو المنصب نفسه الذي أكده ابن الأبّار، الذي قال: "...ثم رحل ثانية إلى المشرق، وجاور بمكة، فأمّ بالحرم الشريف."[٣٥] وفي شأن تولي الشيخ ابن حمّود الإمامة بالمسجد الحرام، لا نكاد نجد خلافا بين كل من ترجم لسيرة الرجل، فهناك إجماع يصل حد التواتر على أن ابن حمّود شغل هذا المنصب وكفى به شرفا وعزا أن يؤم عالم المسلمين في أفضل بقاع الأرض، وهو ما أشار إليه صاحب "العقد الثمين"؛ إذ يقول: "دخل الأندلس مرابطا، ثم حج ثانيا، وجاور وأمّ بالحرم"[٣٦] وقد تحدث عن هذا المنصب الذي شغله الشيخ أيضا ابن زيدان ـ في معرض حديثه عن تنقل الرجل وتَرْحاله ـ؛ إذ يقول: "(...) ثم رجع إلى فاس، وبقي بها إلى سنة ست وعشرين، ثم رحل كرة ثانية ودخل ألميرية، ورحل إلى الإسكندرية، ثم أعاد الرحلة إلى الحج، وجاور بمكة، وأمّ بالحرم المكي شرفه الله."[٣٧]

المبحث الثالث: الحرص على ملازمة العلماء والأخذ عنهم

تحدثنا المصادر إلى أن ابن حمّود كان من العلماء العاملين، ومن كبار المحدثين، ويظهر ذلك من خلال حرصه على جمع أسانيد الأحاديث، والسماع عن العلماء ومجالستهم والأخذ عنهم، والتتلمذ على أياديكم، والاقتباس من أنوار هديهم، من ذلكم ملازمته لأبي بكر الطرطوشي الأندلسي(ت:٥٢٠هـ)، الذي أخذ عنه سنن أبي داود،[٣٨] كما أخذ صحيح البخاري عن أبي سعيد مسعود بن عبد الله صاحب أبي مكتوم عيسى بن أبي ذر[٣٩]. كما أخذ أيضا جميع مرويات صحيح البخاري عن أبي الحسن سعد الخير الأندلسي.[٤٠] أما صحيح مسلم، فقد أخذه عن شيخه ابن طَرْخانَ[٤١] كما أخذ جامع أبي عيسى الترمذي عن ابن المبارك[٤٢]، أما موطأ القعنبي فقد أخذه عن أحمد بن عبد الله[٤٣]

ومما يسجله الباحث أن المترجَم كان حريصا على ملازمة علماء الحديث، والسماع عنهم، وشد الرحال إليهم رغبة في علو السند، والمتح من أنوار العلماء، وفيوضاتهم العرفانية، وهو ما أسهم في تكوين شخصيته العلمية، حتى أضحى أحد أبرز علماء المالكية الأعلام المجاورين مكة، فتبوأ أرقى المراتب، وتسلق أعلى الدرجات، حتى انتهت إليه رئاسة وإمامة مقام المالكية عن جدارة واقتدار لا ينازعه فيها أحد.

المبحث الرابع: إسهاماته العلمية وأدواره الاجتماعية

لا شك أن الشيخ ابن حمّود كان له نشاط علمي دؤوب، وإشعاع ديني وفكري واجتماعي داخل الحرم المكي الشريف وفي مكة عامة، فأسهم في انبعاث الحركة العلمية والفكرية وقتئذ من

خلال دروسه الحديثية، فقد جمع من علو أسانيد الصحيحين والسن والموطأ من أفواه العلماء الأفذاذ الذين امتاح من علومهم ومعارفهم، وهو ما أهله للتدريس والإفتاء، والوعظ والتأليف، فقد أفاد علماء الحجاز والوافدين إليها في مواسم الحج وغيرها "فأقرأ الكثير من نزلاء مكة كابن أبي الصيف اليمني الذي قرأ عليه سنن أبي داود وغيره"[٤٤]

ومن العلماء الذين كان لهم شرف الالتقاء بالشيخ والتلمذة على يديه نذكر: "أبـا بكر عتيق بن بن علي بن خلف بن أحمد الأموي المرواني[(ت:٦١٢هـ)]، الذي حج سنة اثنتين وستين وخمسمائة للهجرة، فسمع بمكة المكرمة من علي بن عبد الله المكناسي، ثم قفل وتصدر للأقراء (...) كما نذكر أيضا أبا بكر يحيى بن أحمد بن مسعود الأنصاري القرطبي[(ت:٦١٤هـ)]، الذي حج وسمع بمكة المكرمة من علي بن عبد الله بن حمّود المكناسي."[٤٥]

وعلى الرغم من أن المصادر التي رجعنا إليها لم تسعفنا في الوقوف على مصنفات، وتواليف الشيخ ابن حمّود ربما لضياعها، أو أنها لازالت مخطوطات حبيسة الرفوف لم تصلها بعد أيدي المحققين، إلا أننا نجزم أن عددها يكون بالعشرات وقد يتجاوز ذلك، لجملة من الاعتبارات الموضوعية التي نذكر منها أن الشيخ قطب رباني، وعالم مالكي رُحلة، جاور العديد من علماء بلده بفاس ومكناس وارتحل إلى الأندلس وجـاور عـددا من علمائها، كما ارتحل أيضا إلى الإسكندرية، التي لقي بها جلة من العلماء، هذا فضلا عن ارتحاله إلى مكة في مناسبتين الأولى كانت سنة اثنتي عشْرة والتي دامت ستّ سنوات حيث عاد إلى مسقط رأسه سنة ثمان عشرة وخمسمائة.

أما الثانية فكانت سنة ست وعشرين وخمسمائة والتي لازم في الحرم الشريف وجـاوره حتى فاضت روحه الشريفة في الثالث والسبعين من المائة الخامسة. فمن عين المعقول ألا يكون الشيخ قد تفرغ للتأليف وترك إرثا علميا وفكريا يرجع إليه بعد هذه المسيرة العلمية والحافلة المشرقة المشرفة.

هذا عن إشعاع الشيخ العلمي، وإسهاماته الفكرية، أما عن أنشطته الاجتماعية وانخراطه الفعلي في المجتمع المكي، فتحدثنا المصادر على أن الشيخ له أياد سابغة نعد منها ولا نعددها على الفقراء والمحتاجين والمستضعفين من الوافدين على مكة وزوارها بله عن المقيمين في هذا البلد الأمين، وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على تشرب العقيدة الإسلامية تشربا عمليا سليما، ومنهجا عقليا سويا، فسيد الخلق يقول: « الخَلقُ كُلُّهُمْ عيالُ الله فأحَبُّ خَلْقِهِ إلَيْهِ أنفعهُم لِعيَالِهِ»[٤٦] فقد كان الشيخ حريصا على الإنفاق في سبيل الله، معرضا عن شهوات الدنيا وملذاتها، مقبلا على الطاعات وما يقربه إلى الله زلفى» منفقا على الغرباء والضعفاء، محسنا إليهم»[٤٧] وهذا لعمري ديدن العلماء العاملين الذين طلقوا الدنيا، واتخذوا صالح الأعمال سفنا كما قال الإمام الشافعي[٤٨] ـ رحمه الله تعالى رحمة واسعة ـ

الخاتمة:

بعد هذه الإلماعات والشذرات السّنية التي حاولنا من خلالها تتبع واقتفاء خطى وآثار الشيخ علي بن عبد بن حمّود المكناسي، أحد أبرز

أقطاب المذهب المالكي ببلاد الغرب الإسلامي، التي قمنا من خلالها بتسليط الضوء على حياة الشيخ، كأحد أهم علماء المالكية المجاورين البلد الحرام خلال القرن السادس الهجري، مبرزين إسهاماته العلمية الوازنة، وسعيه الحثيث على ترسيخ المذهب المالكي، والحفاظ على ثوابته؛ حيث استطاع أن يثبت كفاءته العلمية كأحد أبرز علماء الحديث وقتئذ، وفي مجالات علمية مختلفة، حتى انتهت إليه إمامة مقام المالكية بمكة، هذا فضلا عن شرف توليه منصب إمامة المسلمين بالحرم المكي الشريف، وقد أبان الشيخ علاوة على إسهاماته العلمية، عن علو كعبه في المجال الخيري والدعوي أيضا من خلال إحسانه إلى الضعفاء والفقراء والغرباء، والإنفاق عليهم. فكان بذلك خير سفير لبلاد الغرب الإسلامي في بلاد الحجاز خلال القرن السادس الهجري، وأحد أهم وأبرز العلماء المجاورين مكة، الذين كان لهم تأثير كبير على الحياة العلمية والاجتماعية بمكة وقتئذ.

التوصيات:

لا يسعنا بعد هذه الرحلة العلمية الشائقة الرائقة الماتعة، من خلال هذه الإلماعات والشذرات في سيرة الشيخ ابن حمّود إلا ندرج بعض التوصيات؛ منها:

أولا: تكثيف الندوات والملتقيات العلمية حول هذا الموضوع العلمي الشائق، للتعريف بتراجم العلماء المغمورين الذين جاوروا مكة، وكانت لهم إسهامات علمية نافعة من القدماء والمحدثين.

ثانيا: الانكباب على دراسة وتحليل كتب الرحلات الحجازية للمغاربة، والتي لا شك أنها كتب نافعة، غنية بموادها تفيد الباحث في شتى العلوم والمعارف.

ثالثا: دعوة العلماء والباحثين إلى إفراد كتب للتعريف بعلماء مالكية الغرب الإسلامي المجاورين مكة، وإسهاماتهم في تنشيط وانبعاث الحركة العلمية في البلد الأمين.

رابعا: دعوة الجامعات والمختبرات العلمية، والمراكز البحثية إلى تخصيص مشاريع بحثية تتطرق لإبراز تراث المذهب المالكي بالحجاز.

كتبه راجي رحمة ربه، الفقير إلى عفوه وإحسانه د. الحسان العوني كان الله له خير ولي.

الهوامش

(١) للتوسع في ترجمته انظر:

التكملة لكتاب الصلة. لابن الأبّار. ت: عبد السلام الهراس. دار الفكر للطباعة والنشر. بيروت, لبنان. ١٤١٥هـ/١٩٩٥م. ج٣. ص: ٢٤٤ ـ ٢٤٥ رقم الترجمة الصلة لابن بشكوال ومعه صلة الصلة. لأبي جعفر أحمد بن إبراهيم الغرناطي. ت: شريف أبو العلا العدوي, مكتبة الثقافة الدينية, ط١. ١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م. ج٣. ص: ٣١٢ ـ ٣١٣

العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين. لتقي الدين محمد بن أحمد الحسني الفاسي. ت: فؤاد سيد. مؤسسة الرسالة. بيروت. ط٣. ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م. ج٦. ص: ١٨١ـ ١٨٢

التكملة لكتاب الصلة. لابن الأبار (٦١٤)

إتحاف أعلام الناس بجمال أخبار حاضرة مكناس. لابن زيدان. ت: علي عمر. مكتبة الثقافة الدينية. القاهرة. ط١. ١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م. ج٥. ص: ٥٢٥ ـ ٥٢٦. رقم الترجمة (٤٩٣)

تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام. للذهبي. ت: بشّار عواد معروف. دار الغرب الإسلامي. ط١. ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م. مج١٢. ص: ٥٢٦

صلة الصلة. لابن الزبير الغرناطي. ت: ليفي بروفنصال. طبعة الرباط١٩٣٧ رقم الترجمة: (٢٩٦)

رحلة الـرحلات، مكة في مائة رحلة مغربية ورحلة. لعبد الهادي التازي. مراجعة عباس صالح طاشكندي. مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامـي. ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م. ج١. ص: ٤٢

(٢) التكملة لكتاب الصلة. لابن الأبار.ص٢٤٥

(٣) الصلة. لابن بشكوال ومعه: صلة الصلة. لأبي جعفر أحمد بن الزبير الغرناطي. ت: شريف أبو العلا العدوي. مج:٣. مكتبة الثقافة الدينية. القاهرة. ط١. ١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م.ص: ٣١٣

(٤) تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام. للذهبي. ص: ٥٢٦

(٥) إتحاف أعلام الناس. لابن زيدان. ج٥. ص: ٥٢٦. / وانظر: جذوة الاقتباس. في ذكر من حل من الأعلام مدينة فاس. لابن القاضي المكناسي. ص: ٤٦٧

(٦) العقد الثمين. ج٦. ص: ١٨١

(٧) العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين. ج٦. ص: ١٨١ / وتاريخ الإسلام. للذهبي..مج١٢. ص: ٥٢٦

(٨) إتحاف أعلام الناس. لابن زيدان. ص:٥٢٦

(٩) التكملة لكتاب الصلة. لابن الأبّـار. ج٣. ص: ٢٤٥/ وانظر: الصلة. لابن بشكوال ومعه: صلة الصلة لابي جعفر بن الزبير الغرناطي. ت: أبو العلا العدوي مج٣. ص٣١٢ ـ٣١٣.

وجـذوة الاقتباس في ذكر من حل من الأعلام مدينة فاس. لابن القاضي المكناسي. دار المنصور للطباعة. الرباط.١٩٧٣. ص: ٤٦٧

(١٠) العقد الثمين. ج٦. ص: ١٨١ / وتاريخ الإسلام. للذهبي. ص: ٥٢٦

وانظر: التكملة لكتاب الصلة. لابن الأبار. ص: ٢٤٤

(١١) نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب. للمقري. ت: إحسـان عـبـاس. دار صـــادر. بـيـروت. ١٣٨٨هـ/١٩٦٨. مج٢. ص: ٦٤٩.

(١٢) مكناسة الزيتون: مدينة في المغرب من نظر فاس إلى جهة المغرب وهي أربع مدن وقرى متصلة بالمدن والحصون (...)أكثر ثمارها الزيتون ولذلك نسبت إليه.

انـظـر: الـروض المعطار فـي خبر الأقـطـار. للحميري. ت: إحسان عباس. مكتبة لبنان. د.ت. ص: ٥٤٤

(١٣) ألمرية: بالأندلس مدينة أمر ببنائها الناصر لدين الله عبد الرحمن بن محمد سنة أربع وأربعين وثلاثمائة(...)

انظر: الروض المعطار. ص: ٥٣٧ ـ ٥٣٨

المجاورون في مكة وأثرهم في الحياة العامة خلال القرن السادس الهجري. إعداد الطالبة صفاء بنت نزال بن عبد الله الدهام.

(١٤) بإشراف: سعد بن عبد الرحمن العبيسي. جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية. رسالة ماجستر ١٤٢٧هـ/١٤٢٨هـ.

(١٥) الصلة. لابن بشكوال ومعه: صلة الصلة. لأبي جعفر أحمد بن الزبير الغرناطي. ت: شريف أبو العلا العدوي. مج:٣. مكتبة الثقافة الدينية. القاهرة. ط١. ١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م.ص: ٣١٢ ـ٣١٣

(١٦) رحلة الرحلات مكة في مائة رحلة مغربية ورحلة. لعبد الهادي التازي. مؤسسة الفرقان. ص:٤٢

(١٧) المجاورون في مكة وأثرهم في الحياة العامة. صفاء بنت نزال الدهام. بإشراف: سعد بن عبد الرحمن العبيسي. جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية. رسالة ماجستر ١٤٢٧هـ/١٤٢٨هـ.

(١٨) رحلة الرحلات. لعبد الهادي التازي. ص: ٤٢

(١٩) الصلة. لابن بشكوال ومعه كتاب صلة الصلة لأبي جعفر الغرناطي. ج٣. ص: ٣١٢ ـ ٣١٣.

وهو الكلام نفسه الذي أعاده ابن زيدان بالنقطة والفاصلة في الإتحاف.

انظر: إتحاف أعلام الناس بجمال حاضرة أخبار حاضرة مكناس. لابن زيدان. ج٥. ٢٤٤ـ ٢٤٥.

(٢٠) جذوة الاقتباس. لابن القاضي المكناسي. ص: ٤٦٧

(٢١) المجاورون في مكة وأثرهم في الحياة العامة خلال القرن السادس الهجري. صفاء بنت نزال الدهام. رسالة ماجستير. جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.

(٢٢) العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين. لتقي الدين محمد بن أحمد الحسني الفاسي. ج٦. ص: ١٨١

(٢٣) تاريخ الإسلام. للذهبي. مج١٢, ص: ٥٢٦

انظر: التكملة لكتاب الصلة. لابن الأبـار. ج٣. ص:٢٤٥

(٢٤) إتحاف أعلام الناس. لابن زيدان. ج٥. ص: ٥٢٥

وانظر: جذوة الاقتباس. لابن القاضي المكناسي. ص: ٤٦٧

(٢٥) الإتحاف. لابن زيدان. ج٥. ص: ٥٢٦

(٢٦) العقد الثمين. ج٦. ص: ١٨١

(٢٧) إتحاف الـورى بأخبار القرى. لابـن فهد. ت: فهيم محمد شلتوت. مكتبة الخانجي. ط٣. ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م. ج٢. ص: ٥٣٨

(٢٨) الحديث أخرجه البخاري في كتاب" فضل الصلاة في مسجد مكة والمدينة، باب فضل الصلاة في مسجد مكة والمدينة رقم: (١١٨٩)

(٢٩) سورة الحج، الآية: ٢٥

(٣٠) العقد الثمين.ج٢. ص: ٧٤

(٣١) المجاورون في مكة وأثرهم في الحياة العلمية خلال الفترة من ٥٧٠هـ/٦٦٠هـ ـ ١١٧٤م/١٢٦١م. لعبد العزيز بن راشد السنيدي. بحث مقدم إلى ندوة مكة المكرمة عاصمة الثقافة الإسلامية. ١٤٢٦هـ. ص: ٣٥

(٣٢) نفسه. ص٢٧

(٣٣) نفسه. ص: ٣٥.

(٣٤) الصلة. لابن بشكوال. ومعه كتاب: صلة الصلة. ص:٣١٢

وانظر: صلة الصلة. لابن الزبير رقم الترجمة (٢٩٦)

(٣٥) التكملة لكتاب الصلة. لابن الأبار. ج٣. ص: ٢٤٥

(٣٦) العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين. لتقي الدين الفاسي. ج٦. ص١٨١

(٣٧) إتحاف أعلام الناس بجمال أخبار حاضرة مكناس. لابن زيدان.ج٥. ص: ٥٢٦

(٣٨) التكملة لكتاب الصلة. لابن الأبار. ج٣. ص: ٢٤٤

(٣٩) الصلة. لابن بشكوال. ج٣. ص: ٣١٢

(٤٠) الإتحاف. لابن زيدان. ج٥. ص: ٥٢٦

(٤١) العقد الثمين. لتقي الدين الفاسي. ج٦. ص: ١٨١

(٤٢) نفسه. ج٦. ص: ١٨١

(٤٣) الإتحاف. لابن زيدان. ج٥. ص: ٥٢٦

(٤٤) المجاورون في مكة وأثرهم في الحياة العامة خلال القرن السادس الهجري. لصفاء بنت نزال بن عبد الله الدهام. رسالة ماجستير. جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.

(٤٥) رحلة الرحلات مكة في مائة رحلة مغربية ورحلة. لعبد الهادي التازي. ج١. ص: ٤٢

(٤٦) سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة. لناصر الدين الألباني. مكتبة المعارف. مـج٤. رقم الحديث:(١٩٠٠). ص: ٣٧٢ـ ٣٧٣

(٤٧) الإتحاف. لابن زيدان. ج٣. ص: ٣١٢

وانظر: التكملة لكتاب الصلة. لابن الأبّار. ج٣. ص: ٢٤٥

وانظر: جذوة الاقتباس. لابن القاضي المكناسي. ص: ٤٦٧

(٤٨) قال الإمام الشافعي [من الرمل] :

إنّ لـلـه عـبـادًا فُـطَـنـا

تـركـوا الـدنـيـا وخـافـوا الـفـتـنـا

نـــظـــرُوا فـيـهـا فـلـمّـا عـلـمـوا

أنـــهـــا لـيـســتْ لِـــحَـــيٍّ وطَـنـا

جـعـلُـوهـا لُـجّـــةً واتّـــخَـــذُوا

صـــالِـــحَ الأعْـــمـــالِ فـيـهـا سُـنُـنـا

انظر: ديوان الإمام الشافعي. لمحمد بن إدريس الشافعي. ت: صابر القادري. المكتبة العصرية. صيدا. بيروت. لبنان. ١٤٣٢هـ/٢٠١١. ص: ٧٧.

لائحة المصادر والمراجع

- القرآن الكريم برواية ورش عن نافع
- إتحاف أعلام الناس بجمال أخبار حاضرة مكناس. لابن زيدان. ت: علي عمر. مكتبة الثقافة الدينية. القاهرة. ط١. ١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م.
- إتحاف الورى بأخبار القرى. لابن فهد. ت: فهيم محمد شلتوت. مكتبة الخانجي. ط٣. ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م..
- تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام. للذهبي. ت: بشّار عواد معروف. دار الغرب الإسلامي. ط١. ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م.
- التكملة لكتاب الصلة. لابن الأبار. ت: عبد السلام الهراس. دار الفكر للطباعة والنشر. بيروت, لبنان. ١٤١٥هـ/١٩٩٥م.
- جذوة الاقتباس في ذكر من حل من الأعلام مدينة فاس. لابن القاضي المكناسي. دار المنصور للطباعة. الرباط ١٩٧٣.
- ديوان الإمام الشافعي. لمحمد بن إدريس الشافعي. ت: صابر القادري. المكتبة العصرية. صيدا. بيروت. لبنان. ١٤٣٢هـ/٢٠١١.
- رحلة الرحلات ـ مكة في مائة رحلة مغربية ورحلة. لعبد الهادي التازي. مراجعة عباس صالح طاشكندي. مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي. ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م.
- الروض المعطار في خبر الأقطار. للحميري. ت: إحسان عباس. مكتبة لبنان. د.ت.
- سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة. لناصر الدين الألباني. مكتبة المعارف. د.ت.
- صحيح البخاري. لمحمد بن أسماعيل البخاري. دار ابن كثير. دمشق بيروت. ط١. ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م.
- الصلة لابن بشكوال ومعه صلة الصلة. لأبي جعفر أحمد بن إبراهيم الغرناطي. ت: شريف أبو العلا العدوي، مكتبة الثقافة الدينية, ط١. ١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م.
- صلة الصلة. لابن الزبير الغرناطي. ت: ليفي بروفنصال. طبعة الرباط١٩٣٧ ـ
- العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين. لتقي الدين محمد بن أحمد الحسني الفاسي. ت: فؤاد
- سيد. مؤسسة الرسالة. بيروت. ط٣. ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م.
- المجاورون في مكة وأثرهم في الحياة العامة خلال القرن السادس الهجري. إعداد الطالبة صفاء بنت نزال بن عبد الله الدهام. بإشراف: سعد بن عبد الرحمن العبيسي. جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية. رسالة ماجستر ١٤٢٧هـ/١٤٢٨هـ
- المجاورون في مكة وأثرهم في الحياة العلمية خلال الفترة من ٥٧٠هـ/٦٦٠هـ ـ ١١٧٤م/١٢٦١م. لعبد العزيز بن راشد السنيدي. بحث مقدم إلى ندوة مكة المكرمة عاصمة الثقافة الإسلامية. ١٤٢٦هـ.
- نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب. للمقري. ت: إحسان عباس. دار صادر. بيروت. ١٣٨٨هـ/١٩٦٨.

تراثنا المخطوط
تفرده ودور الوقف في الحفاظ عليه وإثراء المكتبات العربية

أ. د. عبد الستار الحلوجي
مصر

تُراثُ أيّ أمة هو ثمرات عقول أبنائها عبر العصور، وهو ذاكرتها الباقية على الأيام، والأساس الذي تبني عليه حاضرها ومستقبلها .. والأمة التي تُهمِل تُرَاثَها أو تتنكّر له أو تنفصل عنه كالإنسان الذي يفقد ذاكرته فيفقد معها الماضي والحاضر والمستقبل جميعًا.

وتراثُنا العربي المخطوط لا نظير له في أي لغة من اللغات، لا في حجمه ولا في عمره ولا في مواطنه ولا في ثرائه الفكري. فبالرغم مما أصاب هذا التراث من تدمير وإتلاف وفقد وضياع، بسبب الغزو الخارجي حينًا[1] والاضطرابات الداخلية حينًا آخر، سياسيّةً كانت أو دينية أو اقتصادية[2]، بالرغم من ذلك فلدينا مخطوطات عربية تُقدّرُ بالملايين، تحتفِظُ بها مئات بل ألوف من المكتبات في الشرق والغرب.

وهذه الضخامة العدديَّةُ ترجع إلى أنَّ اللغة العربيَّةَ التي نتكلَّمُها ونكتب بها الآن هي نفسها اللغة التي تكلَّمَ بها العرَبُ في العصر الجاهلي منذ أكثر من ستَّةَ عشَرَ قرنًا من الزمان، لغة واحدة حافظت على نحوها وصرفها واشتقاقاتها وإملائها ودلالات ألفاظها على مدى تلك القرون. والسبب في صمُودِ هذه اللغة واستمرارها حيَّةً فاعلَةً، وتغلّبِها على كل الأعاصير التي تعرضت لها عبر العصور، وتأبِّيها على كل محاولات التطوير والتغيير هو ارتباطها بالقرآن الكريم الذي تكفل ربنا سبحانه وتعالى بحفظه، وبذلك ضمنت هذه اللغَةُ الشَّريفَةُ بقاءَها طالما على وجه الأرض قرآنٌ يُتلَى وإنسَانٌ يوحِّدُ الله ويدين بآخِرِ رسالاتِهِ إلى البشر وهي الإسلام.

وإلى جانِبِ هذا الامتداد في الزَّمَانِ هناك امتدَادٌ آخَرُ في المكان؛ فالتُّرَاثُ العربيُّ المخطُوطُ ليس تراثَ العرَبِ الذين يعيشُونَ في شِبه الجزيرة العربية وحدهم، وإنما هو تراثُ أمَمٍ وشعُوبٍ كثيرة في مشارق الأرض ومغاربها، اعتَنَقَت الإسلامَ دينًا لها، واتَّخَذَت العربيَّةَ لسانًا لها،

وأنتجت علمًا غزيرًا ناطقًا بالعربيَّةِ في شتَّى فروع المعرِفَةِ البشريَّةِ.

حدث هذا في فارس وتركيا وإسبانيا ومصر وأفريقيا وكثير مما كان يُعرَفُ سابقًا بالجمهوريَّاتِ السوفيتيَّةِ. ومن هذه الأقاليم النائية خرج البخاري والبيروني والرازي والطوسي والإدريسي والخوارزمي[٣] وكثيرون غيرهم ممن أثروا الحضارة الإنسانية بعلمهم وبما خلفوه لنا من مؤلفات.

وبسبَبِ هذا العمق في الزمان والامتداد في المكان تضخَّمَت أعدَادُ المخطوطات العربية تضخُّمًا هائلا لا مثيل له في أي لغة من لغات العالم القديم أو الحديث.

ولكن تفرُّد المخطُوطَاتِ العربيَّةِ لا يرجع إلى تلك الكثرة العددية فحسْب، وإنَّما يرجع إلى ما حَوَته تلك المخطوطَاتُ في بطونها من عِلمٍ وأدَبٍ ودين، وإلى ما تُمثِّلُه من ثرَاءٍ معرفيّ. فاللغة العربية لم تكن مجرَّدَ وعاءٍ صُبَّت فيه معارفُ الأمم التي تكلمتها من طب وصيدلة وفيزياء وكيمياء ورياضة وفلك، وإنما صُبَّت فيها أيضًا وترجمت إليها علُومُ الأمم القديمة كالإغريق الذين تُرجمت مؤلفاتُهم الفلسفيّة والعلمية منذ وقت مبكِّرٍ.

ولم تكتف الأُمَمُ الناطقة بتلك اللغة بما أبدعَته وبما توصلت إليه من إنجازات حضارية في مختلف مجالات الحياة، وبما نقلته من علوم الأوائل، وإنما تجاوزت ذلك إلى تصحيح أوهام القدماء، فألَّف أبو بكر الرازي (ت: ٣١١ هـ) كتابه **الشكوك على جالينوس**، وألف ابن الهيثم (ت: ٤٢٨ هـ) **الشكوك على بطليموس**، وأبدعَتْ علومًا لم يكن للبشرية عهدٌ بها من قبل، علومًا ما زالت تحتفظ بأسمائها العربية كالجبر والكيمياء، وقدمت للبشرية كلها زادًا معرفيًّا عاشت عليه عدة قرون كانت فيها اللغة العربية لغة العلم التي لا يستغني عنها أي إنسان غربي يبحث لنفسه عن موقع بين علماء عصره.

وفي ذلك يقول جورج سارتون: «إنه من منتصف القرن الثامن حتى أواخر القرن الحادي عشر (م) كانت الشعوب التي تتكلم العربية تتقدم موكب الإنسانية. وبفضلهم لم تعد العربية لغة القرآن المقدسة وحاملة كتاب الله وحسب، بل أصبحت لغة العلم وحاملة لواء التقدم البشري. وكانت العربية في خلال تلك القرون الأربعة المفتاح، وإن شئت فقل المفتاح الوحيد إلى الثقافة التي ملكت ناصية الفكر"[٤].

هذا التراث المخطوط الذي يمتد في الزمان أكثر من ثلاثة عشر قرنًا، وفي المكان إلى شتَّى أرجاء المعمورة، حفظته المكتبات بكافة أنواعها، بدءًا بالمكتبات الخاصة[٥] ومكتبات المساجد، ومرورًا بالمكتبات العامة والمدرسية. وكان الوقف أعظم الروافد التي غذت تلك المكتبات بالكتب، وكانت ضوابطه وشروطه سببًا رئيسًا في الحفاظ على تلك الكتب من التَّلَفِ أو الفقد أو الضياع.

تعريف الوقف:

الوقف في اللغة: سِوارٌ من عاجٍ، يقال: وقفت المرأة توقيفا، إذا جعلت في يديها الوقف. ووقفت الدَّارَ للمساكين وقفا، أي: حبستها في سبيل الله. ويجمع على أوقاف ووقوف[٦].

والوقف عند الفقهاء: حَبْسُ العَين على ملك

الواقف، والتصدّق بالمنفعة **عند أبي حنيفة**، وعنده أيضا يجوز للواقف الرجوع فيه. **وعند أبي يوسف ومحمد بن الحسن**: حبس العين عن التملك مع التصدق بمنفعتها؛ فتكون العين زائِلَةً إلى ملك الله تعالى من وجه[٧].

وعلى هذا فالأصلُ في الوقْفِ منعُ العين وحبسُها أن يُتصرَّفَ فيها في غير الوجْهِ الذي وُقِفَت عليه.

وقد رُوِيَ أنَّ النبيَّ صلى الله عليه وسلم حبسَ سبعةَ حوائِطَ، أوصَى له بها مخيرق[٨] لما قُتِلَ يوم أحد، بأن يضعَها حيث أراه الله، فحبَسَها النبي صلى الله عليه وسلم وهي من أموال بني النضير، وذلك لاثنين وثلاثين شهرا من الهجرة[٩].

ثم جاء الفاروق عمر بن الخطاب، ووقَفَ الأراضِيَ التي أصابها بخيبر، تنفيذًا لتوجِيهِ الرَّسُولِ صلى الله عليه وسلم له بوقفها على الفقراء والمساكين وابنِ السبيل.

والوقْفُ في الإسلام تأصِيلٌ لفكرة التكافل الاجتماعي، وبَابٌ لمسَاعَدَةِ الفقرَاءِ والمساكين في المجتمع؛ ولذلك بادَرَ الخيِّرُون إلى وقف الأوقَافِ مِن مبَانٍ وأرَاضٍ وغيرها على مختَلَفِ الأغرَاضِ الخيريَّةِ، التى تعُودُ بالنفع على المجتمع.

ومن بين الأغرَاضِ التي وجَّهَ المحسنون والسلاطينُ والأمراءُ إليها اهتمامهم وقْفُ الكُتُبِ والمكتبات، وذلك بعدَ أن جوَّزَ الفقهَاءُ وقفَ المنقُولِ وجعلُوه من باب الاستحسَانِ، ومن هنا نشأ وقْفُ الكتب لنفع الناس والطلابِ وخدمة العلم[١٠].

فكثير من العلماء والسلاطين والأمراء والوزراء والوجهاء ورجال الدولة وذوي الثراء من الرجال والنساء كانوا يتقربون إلى الله -سبحانه وتعالى- بوقف ما ألَّفوه أو ما جمعوه في مكتباتهم من مصاحف وكتب على المساجد[١١] والزوايا والمدارس والكتاتيب التي تعلموا فيها وحتى على الخنقاوات[١٢] والأربطة[١٣] والتُّرَب[١٤]؛ لينتفع بها من يقرأ فيها، ويكون لهم من الله الأجر والمثوبة، ومن هؤلاء المنتفعين الدعاء بالرحمة والمغفرة.

والوقف -باختصار- هو تحبيس[١٥] الأصل وتسبيل الثمرة أو المنفعة. والأصلُ في الكتُبِ الموقوفةِ أنّها لا تورَّثُ ولا تُباع ولا تُرهَنُ ولا توهب ولا تُهدَى[١٦] ولا تُبدل بوجه من الوجوه.

تاريخ بداية وقف الكتب على المكتبات والمساجد:

لا نجِدُ تاريخا مؤكَّدًا يُحدِّدُ لنا بداية الاتّجاه نحو وقف الكتب، ومع ذلك فقد نتلمَّسُ هذه البداياتِ في مكتبة عبد الحكم الجمحي، التي أنشأها في مكَّةَ المكرَّمَةِ في القرن الهجري الأول[١٧].

وبعدَ ذلك بدأت المكتبَاتُ الموقُوفَةُ على طلبَةِ العلم وعلى المساجد تخرج إلى حيّز الوجود، وما لبثت أن انتشرت في القرن الرابع الهجرى، ولعل أول مكتبة يُشَارُ صراحة إلى أنها مكتبَةٌ وقفيَّةٌ، هي مكتبة دار الحكمة بالقاهرة، التى أنشأها الخليفَةُ الفاطميُّ الحاكِمُ بأمر الله في عام ٣٩٩ هـ[١٨].

وعلى هذا فوقْفُ الكُتُبِ كان يهدف إلى خدمة العلم، ومساعَدَةِ الطُّلَّابِ في بحوثهم العلميَّةِ.

ولإثبات وقف الكتب صورتان:

الصورة الأولى: تسجيلُه على الكتاب أو الكتب الموقوفة، وهو ما يطلق عليه: قيود الوقف أو تقييداته.

الصورة الثانية: هي وثائق الوقف التي يحرِّرُها الواقف، ويذكر فيها عناوين الكتب الموقوفة وجهات الوقف والمستفيدين منه وطرق الانتفاع به، كما يحدّد فيها ناظر الوقف ومسئولياته، ويؤرخها بالحروف لا بالأرقام تجنبًا لأيِّ لبس، ويوقعها ويشهد عليها، ويوثقها بتوقيع القاضي وتوقيعات الشهود أو أختامهم، وتختم ويحرّر منها نسخة أو أكثر.

صيغ الوقف:

اكتفت بعض الوثائق بإشهاد الواقف والقاضي، في حين أثبتت وثائق أخرى أعدادًا من الشهود بلغوا ثمانية في وقفية الأبشادي[١٩]، منهم ناظر الوقف وكاتب الوثيقة، وتسعة في وقفية الخليلي[٢٠].

وأحيانًا يقتصر الوقف على كتاب واحد أو جزء من كتاب. ولذلك تَلْقانا عبارات مثل: الجزء الأول من كتاب كذا، أو : المجلد الثاني من كتاب كذا.

وقد يحدِّدُ الواقِفُ محتوى الكتاب الموقوف كما في المثال التالي: "الجزء الثالث من تسعة أجزاء وقفها العبد الفقير المعترف بالعجز والتقصير مسيح باشا... وعدة ما فيه من الكتب والأبواب ثمانية عشر، بيان ذلك وتفصيله: كتاب الطلاق، ..."[٢١].

وقد يذكر الواقِفُ عدَدَ أورَاقِ النسخة الموقوفة كما في المخطوط رقم ٩٦٢٢٩ بمكتبة الأزهر؛ حيث نصَّ الواقِفُ على أنَّ النُّسخَةَ (عدّة أوراقِها مائة وست وستون ورقة)؛ حتى يضمَنَ ألاّ يعبَثَ بها أحدٌ أو ينتقِصَ من أوراقِها شَيئًا.

ومع أنّ الأغلب والأعمَّ أن يكون الوقْفُ مطلقًا من كلِّ قيد، وألا يقصر الواقفُ الانتفاعَ بالكتب الموقوفة على فئةٍ من الناس، وإنما يُبيحه للكافة، إلا أن بعض الواقفين كانوا يحددون الفئات التي يسمح لها بالاستفادة من الوقف، كأنْ يقصر الواقف الانتفاع بما وقفه من الكتب على طلبة العلم، أو على المقيمين بجهة الوقف، أو على طلبة العلم ببلدة معينة أو جامع معين[٢٢]، أو حتى رواق في جامع، كما فعل الأمير علي آغا جركس الذي وقف **"حاشية الجمل على الجلالين"** على رواق الأتراك بالجامع الأزهر[٢٣] وكما فعل علاء الدين البخاري (ت: ٨٤١ هـ) الذي وقف كتاب **"فاضحة الملحدين وناصحة الموحدين"**[٢٤] على الجامع الأموي بدمشق، واشترط (ألا يعطى لمجسم ولا وجودي ولا ملحد، ولا من يعتقد ظواهر الآيات والأحاديث).

وقد يُقيِّدُونَه أكثر ويضيِّقُونَ دائرَتَه، فيقصرونه على طلبة العلم من أهل السُّنة، أو على طلبة العلم المشتغلين بعلم معيَّنٍ، أو المنتمين إلى مذهب فقهي معين كالحنابلة أو الشافعية -مثلاً- فعلاء الدين البخاري أوقف كتابه السابق ذكره على طلبة العلم من أهل السنة، ومحمد مرتضى الحسيني (ت: ١٢٠٥ هـ) وقف نسخة من كتاب **"عمدة الأحكام"** لعبد الغني المقدسي الحنبلي (ت: ٦٠٠ هـ) على طلبة الحديث[٢٥]، ومحمد بن أحمد المظفري أوقف **"رسالة الكلام على حديث إن أولى الناس بي أكثرهم عليّ صلاةً"**[٢٦] على

طلبة العلم المشتغلين بعلم البيان.

وقد يحدد الواقف أولويات في استخدام الكتاب الموقوف، فالأمير علي آغا جركس اشترط في الكتاب الذي وقفه على رواق الأتراك بالجامع الأزهر وسبقت الإشارة إليه (أن يُقدَّم المدرّس على الطالب عند المزاحمة،... ويقدم أهل الأزهر على غيره).

وكما أن الغالب في المخطوطات الموقوفة ألا يقصرها الواقف على فئة من الناس، فكذلك كان الشائع إطلاق الانتفاع بها دون تحديد لأوجه هذا الانتفاع. ومع ذلك وُجِدَ من الواقفين مَن حدَّدَ أسلوب الانتفاع بما وقفه من كتب؛ فبعضهم قصره على القراءة، وبعضهم أباح القراءة والنسخ معًا، أو القراءة والمقابلة والتدريس[٢٧].

ومعظمهم منعوا خروج الكتب من خزائنها إلا للمراجعة أو التجليد، خوفًا عليها من الضياع[٢٨]. وأباح البعض إعارة الكتاب لمن يحتاجه شريطة أن يكون أمينًا معروفًا مضمونًا.

فنصَّت وثيقة الخليلي التي سبقت الإشارة إليها على ألا تعار الكتب (إلا لطلبة العلم المشهورين بالصلاح في بيت المقدس... إذا علم أو ظن أن المستعير قصده الانتفاع والاستفادة منها، ومن اشتُهِرَ بتضييع الكتب أو إتلافها أو حرقها لا يعيره منها شيئًا)، وطلبت من المستعير ألا يحبسها عنده لغير حاجة لئلا يحتاجها غيره فلا يجدها فيتعطل النفع المقصود للواقف.. واشترطت بعض الوقفيات ألا يمكَّن المستعير من الكتاب إلا بعد الإشهاد عليه، وألا يمكن من الكتاب من أراد أن يسافر به، وألا يعير المستعير ما استعاره من الكتب إلى غيره.

واشترط البعض ألا يعار الكتاب إلا برهن[٢٩] لضمان رده.

كما اشترط البعض ألا يعار الكتاب كاملاً تحت أي ظرف من الظروف[٣٠]، وإنما تعار أجزاء منه، كراسان أو أكثر[٣١]. بل إن بعضهم اشترط ألا يعار الكراسان دفعة واحدة، وإنما يعار الواحد بعد الآخر[٣٢].

وحدد بعضهم فترة الإعارة بمدة معيَّنة، فنصت وثيقة جمال الدين الاستادار على أن (لا تبقى الكتب بيد المستعير أكثر من شهر واحد من حين استعارته) [٣٣].

وقد استخدم الواقفون عباراتٍ وألفاظًا قاطعة تحظر التفريط فيما وقفوه من كتب، وتحذر من العبث بها أو إساءة استخدامها مثل:

وقف وحبس وسبل وأبد وحرّم وتصدق.

تحبيسًا مؤبدًا ووقفًا مخلدًا إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

وزيادة في التأكيد نجد معظم القيود الموجودة على المخطوطات الموقوفة أو المثبتة في وثائق الوقف تختم بقول الحق سبحانه: Mفَمَن بَدَّلَهُ بَعْدَمَا سَمِعَهُ فَإِنَّمَا إِثْمُهُ عَلَى الَّذِينَ يُبَدِّلُونَهُ ۚ L[٣٤]. كما تلقانا عبارات للواقفين تدور حول هذا المعنى وتنذر مَنْ يخالف شروط الواقف بأشدِّ العذاب يوم الحساب ومن أمثلتها:

فمن بدَّله بعد ما سمعه أو سعى في تعطيله أو منعه عن مستحقه فجزاؤه على الله وحسبنا الله ونعم الوكيل[٣٥].

وتتصاعد هذه النغمة في عبارات مثل: فمن بدل أو غير فالله حسيبه وسائله وولي

الانتقام منه، Mوَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُون ¬ L[٣٦] [سورة الشعراء: ٢٢٧].

فمن بدله بعد ما سمعه فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين[٣٧].

فمن سعى في إبطاله وتغييره عن منواله فالله طليبه وحسيبه ومجازيه يوم التناد، يوم عطش الأكباد، ويوم يكون الله هو الحاكم بين العباد[٣٨].

وتبلغ تلك النغمة ذروتها في بعض وثائق وقف الكتب، فتحذر ناظر الوقف أو المسؤول عنه من الإهمال أو التفريط أو التهاون في تنفيذ شروط الواقف، وتنذره بالويل والثبور إن خالف تلك الشروط. فقد جاء في وثيقة وقف كتب الشيخ شمس الدين الخليلي:

(يا من يلي أمر هذه الكتب أو يستعير منها، عليكَ بتقوى الله في السر والعلانية والظاهر والباطن، وراقب الله فيها، ولا تتساهل في شيء من شروط واقفها التي شرطها، لا لنفسك ولا لغيرك، ولا تحابِ جليلاً ولا حقيرًا، ولا شريفًا ولا وضيعًا، ولا صديقًا ولا عدوًا، ولا حاكما ولا محكوما عليه. واعلم أن الواقف مخلص في وقفه فإذا عملتَ بما شرط فأبشرْ بالفلاح والصلاح والنجاح ورضى الكريم الفتاح، وبعد الموت ترتاح. وإن خالفتَ شيئًا من الشروط فأنذركَ بالتعب والنصب والغضب، ولا ينجح لكَ مطلب، وبعد الموت تنال سوء المنقلب).

وختم الأبشادي وقفيته التي سبق ذكرها بقوله:

"وأستغيث بالله عزَّ وجلَّ، وأسأله بجاه نبيه سيدنا محمد وسائر الأنبياء والمرسلين والملائكة المقربين وسائر الصحابة والتابعين والأولياء الصالحين أن يرسل غضبه وسخطه ومقته وعذابه الشديد الأليم على مَنْ قدر على إمضاء شروطي في وقفي هذا جميعها ولم يُوَفِّ بها ممَّن له ولاية عليه، وعلى من أبطل شيئًا منها أو ساعد على إبطاله، أو سعى فيه، وعلى من سعى في نقض وقفي هذا وإبطاله أو شيء منه، أو ساعد عليه أو سعى فيه، أو تكلم بما فيه إبطاله ونقضه من سائر خلق الله أجمعين، وأن يسلط عليه بلاء يحار فيه، وأن يري مخلوقاته سريعًا قدرته فيه ولا يمهل عليه، وأن يؤاخذه بذنوبه ويجعل له العقوبة عليها في الدنيا والأخرى، وأن يبتليه بقطع النّسل والذرية، وأن يجعل نبينا محمدًا صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم خصمًا له يوم القيامة ويتبرَّأ منه، وأن يقطع عنه وعن أولاده وذريته ونسله العافية وكثرة الرزق، وأن يبتليه بالفقر الشديد طول عمره"[٣٩].

ومثل هذه التحذيرات شديدة اللهجة كانت أقوى من أي قانون يوضع للحفاظ على المخطوطات، وكانت كفيلَةً بأن توقِظَ ضمائرَ نُظَّارِ الوقف وكل مَن يتعامل مع هذا التراث المخطوط استعارَةً أو قراءَةً أو نسخًا أو تجليدًا وترميمًا، وأن تردَع كلَّ من تسول له نفسه أن يلحق بهذا التراث أيَّ نوع من الضرر. فتعامل القراء مع المخطوطات الموقوفة بعنايةٍ وحذَرٍ، وحافظ نظارُ الوقف على كلِّ مخطوط، بل كلِّ ورقَةٍ تحتَ رعايتهم.

ولولا هذا الحرص ما وصلتنا تلك الآلاف المؤلَّفة من المخطوطات العربية التي تزخر بها مكتبات الشرق والغرب، برغم ما تعرضت له خزائن الكتب التي احتضنت تلك المخطوطات على مدى التاريخ من نكبات وتدمير، وبرغم الآلاف المؤلفة من الكتب التي أُتلِفَت أو مُزِّقَت

أو أُحرِقَت أو أُغرِقَت على أيدي الغزاة حينًا، ولأسباب سياسية أو اقتصادية أو دينية في أحيان أخرى سبقت الإشارة إليها.

الهوامش

(١) كالصليبيين الذين أتوا من الغرب ودمَّروا مكتبات الشام، والمغول الذين قَدِمُوا من الشرق ودمَّروا بغداد ومكتبَةَ الخلافَةِ العبَّاسيَّةِ التي أنشأها الرّشيدُ وازدَهرَت في عصر المأمون.

(٢) فالحرُوبُ بين ملوك الطّوائف بعدَ سقُوطِ الدَّولة الأموية في الأندلس نتَجَ عنها تدمِيرُ الكثِيرِ من المكتبات وضياع آلاف الكتب.

وبسبب الخلاف بين الشِّيعَةِ والسنة نُصِحَ صلاح الدين الأيوبي بالقضاء على مكتبة الخلافة الفاطمية بالقاهرة؛ حتى لا تفسد عقائد الناس، فأتلف الكثِيرَ مِن كتبها.

وأثناء الشدَّةِ المسنصرية في مصر سنة ٤٦١ هـ عجز الخليفة عن دفع رواتب الجند، فانقضُّوا على مكتبة القصر، فنزعُوا جلود مخطوطاتها واتخذوها نعالا لهم، ومزَّقوا أوراقها وألقوا بها فكوَّنت تلالاً سفت عليها التراب وصارت تعرف بتلال الكتب، كما ذكر المقريزي في كتابه المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار.

وإلى جانب الأسبَابِ السياسيَّةِ والدينية والاقتصادية كان للظروف الجويَّة والجهل بأساليب حفظ المخطوطات وصيانتها دورٌ في تَلَفِ أعدَادٍ كبيرَةٍ من المخطوطات.

(٣) البيروني من خوارزم، والرازي من الري، قرب طهران، والطوسي من خراسان، والإدريسي من قرطبة.

(٤) تاريخ العلم والإنسية الجديدة، ترجمة إسماعيل مظهر، القاهرة: دار النهضة العربية، - ١٩ ، صـ ١٦٧ - ١٦٨.

(٥) يكفي أن نذكر منها مكتبة الصاحب بن عباد (ت: ٣٨٥ هـ) التي وقفها على مدينته الري، والتي يروي ياقوت الحموي في معجم الأدباء أنها كانت تضمُّ مائتين وستة آلاف مجلد، والتي وصفها أرثر بوب في كتابه " Masterpieces of Persian Art " بأن كتبها كانت من الكثرة بحيث تعادل ما كان موجودًا في مكتبات أوروبا مجتمعة.

(٦) ينظر: الصحاح: تاج اللغة وصحاح العربية، لأبي نصر إسماعيل بن حماد الجوهري، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين - بيروت (الطبعة الرابعة) سنة: ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م ، مادة "وقف" جـ ٤ صـ ١٤٤٠. والقاموس المحيط لمجد الدين الفيروزآبادى، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، بإشراف: محمد نعيم العرقسُوسي، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان (الطبعة الثامنة) سنة ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م ، مادة "وقف" جـ ١ صـ ٨٦٠.

(٧) ينظر: التعريفات، للسيد الشريف الجرجاني، دار الكتب العلمية بيروت -لبنان ، (الطبعة الأولى) سنة: ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م، صـ ٢٥٣.

(٨) هو مخيرق (مخيريق) النضري الإسرائيلي، صحابي، كان من علماء اليهود وأغنيائهم، أسلم، وأوصى بأمواله للنبي صلى الله عليه وسلم فجعلها النبي صدقة، واستشهد بأحد سنة ٣ هـ (ينظر: الإصابة في تمييز الصحابة، لابن حجر، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وعلى محمد معوض، دار الكتب العلمية - بيروت، ١٤١٥ هـ، جـ ٦ صـ ٤٦.

(٩) تخريج الدلالات السمعية على ماكان في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم من الحرف والصنائع، للخزاعي التلمساني، تحقيق أحمد محمد أبو سلامة، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية - القاهرة، سنة: ١٩٩٥م، صـ ٥٦٦.

(١٠) الكتاب العربي المخطوط وعلم المخطوطات، أيمن فؤاد سيد جـ ٢ صـ ٤٢١.

(١١) ومن أبرز الأمثلة على ذلك مجموعات الكتب التي أوقفت على الحرمين الشريفين في مكة المكرمة والمدينة المنورة، وعلى الجامع الأزهر بالقاهرة وأروقته كرواق الشوام ورواق المغاربة ورواق

الأتراك.

(١٢) الخانقاه أو الخانكاه معرَّبة عن الفارسية، وتعني الدار التي ينقطع فيها الصوفية للعبادة.

(١٣) الرباط هو المكان الذي يقيم فيه الجند للدفاع عن الأرض.

(١٤) التربة هي القبر أو المدفن، وكان يلحق ببعض الترب خِزانات للمصاحف والكتب الدينية خاصة.

(١٥) يغلب استخدام لفظ (وقف) في المشرق العربي، في حين يغلب استخدام لفظ (تحبيس) في المغرب وإفريقية، ويقصد به أنَّ الواقف محبوس عن التمتع بالوقف مع احتفاظِهِ بملكيَّتِهِ له.

(١٦) في وثيقة وقف شمس الدين محمد الخليلي (ت: ١١٣٨ هـ) التي نشرها إسحق موسى الحسيني وأمين سعيد أبو ليل بالقدس سنة ١٩٧٩م بعنوان: "وثيقة مقدسية تاريخية" اشترط الخليليُّ أن (لا تباع ولا توهب ولا ترهن ولا تُهدَ لأحد من الحكام والأعيان ولا تُستبدَل ... فمن فعل ذلك فعليه لعنة الله وغضبه ومقته).

(١٧) الوقف وبنية المكتبة العربية، ليحيى محمود ساعاتي، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية- الرياض، (الطبعة الأولى) سنة ١٩٨٨م، صـ ٠٣١

(١٨) الكتاب العربي المخطوط وعلم المخطوطات، أيمن فؤاد سيد جـ ٢ صـ ٤٢٣.

(١٩) علي بن سليمان الأبشادي المالكي الأنصاري الأزهري (المتوفى بعد سنة ٩٤٠ هـ)،شيخ مغربي درس بالأزهر، ووقف كتبه على رواق المغاربة بالجامع الأزهر. ووثيقة الوقف مؤرخة في صفر ٩١٩ هـ، ومحفوظة ضمن مجموعة الوثائق التاريخية بمحكمة الأحوال الشخصية بالقاهرة برقم ٢٧٨ محفظة رقم ٤٣، وقد نشرها عبد اللطيف إبراهيم في كتابه "دراسات في الكتب والمكتبات الإسلامية" تحت عنوان: "مكتبة في وثيقة: دراسة للمكتبة ونشر للوثيقة".

(٢٠) المشار إليها في الهامش رقم (١١).

(٢١) رقم ٣٧ بمجموعة مسيح باشا بالمكتبة السليمانية بإستانبول.

(٢٢) فقد نص الأبشادي في وقفيته على أنه جعل الكتب (وقفًا على الفقراء والمساكين القاطنين بالجامع الأزهر، والذين لا يملكون من الكتب إلا اليسير جدًا). انظر عبد اللطيف إبراهيم في كتابه "دراسات في الكتب والمكتبات الإسلامية" تحت عنوان: "مكتبة في وثيقة"، صـ ١٥ ، ٥١ ـ ٥٢.

(٢٣) مخطوط رقم ٨٥٧٦٦ أتراك بدار الكتب المصرية، ورقمه الخاص ٢٩٥٤ تفسير.

(٢٤) مخطوط رقم ٤٠٨٩ بالمكتبة الظاهرية بدمشق.

(٢٥) مخطوط رقم ٦٥٤ حديث بدار الكتب المصرية.

(٢٦) مخطوط رقم ١٨٩١مجاميع - الرقم العام ٩٧٤٣٧ بمكتبة الأزهر.

(٢٧) كما في وثيقة محمد بك أبو الدهب (ت: ١١٨٩ هـ) المحفوظة في الأرشيف التاريخي بوزارة الأوقاف المصرية بالقاهرة، برقم ٩٠٠، والتي نشرها عبد اللطيف إبراهيم في كتابه "دراسات في الكتب والمكتبات الإسلامية" تحت عنوان: "مكتبة عثمانية؛ دراسة نقدية ونشر لرصيد المكتبة".

(٢٨) فقد نصّت وقفية الشيخ شمس الدين الخليلي ألا يخرج من الكتب الموقوفة شيء (إلا لضرورة التجليد أو الترميم) واشترط الجمالي يوسف ناظر الخواص الشريفة بدولة المماليك البحرية على خازن كتبه التي وقفها على مدرسته أن (لا يخرج شيئًا من ذلك عن المدرسة برهن ولا بغيره) [وثيقة رقم ١٠٥ بالمحفظة ١٦ بمجموعة الوثائق التاريخية المحفوظة بمحكمة الأحوال الشخصية بالقاهرة . انظر: عبد اللطيف إبراهيم: "المكتبة المملوكية"، صـ ٦٤ في: "دراسات في الكتب والمكتبات الإسلامية"]، واشترط الأبشادي في وقفيته التي سبقت الإشارة إليها على ناظر الوقف أن (لا تخرج من جميع الكتب المذكورة شيئًا من أي مكان كان به برهن ولا غيره، ولا يطلع على شيء منها أحد من الحكام مطلقًا بمصر أو المدينة المذكورتين، أو أرباب المناصب بهما مطلقًا، أو

أحد من جهتهم مطلقًا، أو اللائذين بهم مطلقًا، بحيلة ولا بغيرها مطلقًا، بنفسه أو من أهله مطلقًا، لضرورة أو غيرها مطلقًا) وأنذر من يفعل ذلك بعزله. "المكتبة المملوكية"، صـ ٦٦.

(٢٩) ورد على بعض المصاحف الموقوفة على المدرسة الأشرفية ومدرسة أم السلطان خوند بركة سنة ٧٧٠ هـ عبارة (ألا يخرج من المكان المذكور إلا برهن تحرر قيمته). مصحف السلطان شعبان بن حسين، رقم ٩ مصاحف بدار الكتب المصرية، ومصحف خوند بركة أم السلطان شعبان، رقم ٦ مصاحف بدار الكتب.

(٣٠) نصَّت وثيقة وقف الأبشادي على (تمكين طلبة العلم بالجامع الأزهر من الانتفاع بذلك وتفرقته على الطالب منهم كراريس، كلما عاد كراس منها أعطى الطالب كراسًا غيره، بحيث إنه لا يخرج من الخزانتين وبالخلوة المذكورة أعلاه كتابًا كاملًا مطلقًا بوجه من الوجوه مطلقًا). انظر: عبداللطيف إبراهيم: "مكتبة في وثيقة" صـ ٣٧ في: "دراسات في الكتب والمكتبات الإسلامية".

(٣١) في وقفية المخطوط رقم ١٦٩٢ بالمكتبة المركزية للمخطوطات بوزارة الأوقاف المصرية اشترط الواقف ألا يغيّر منها أكثر من كراسين، وألا تغير إلا لطالب علم معروف خوفًا عليها من الضياع. وفي المخطوط رقم ٩٣٢٤٤ بمكتبة الأزهر اشترط الواقف ألا تزيد التغييرة منه على ثلاثة كراريس. واشترط الأمير علي آغا جركس في وقفيته أن تكون التغييرة من ثلاثة كراريس إلى خمسة.

(٣٢) في وقفية "الفوائد الزكية في حل ألفاظ المقدمة العزية" للزرقاني رقم ٧٢٧ فقه مالكي (رقم عام ٩٧٩٤) بمكتبة الأزهر اشترط الواقف (ألا يعطى منه للطالب إلا كراسين فقط، ولا ينظر الطالب إلا في كراس بعد الآخر).

(٣٣) وثيقة رقم ١٠٦ محفظة ١٧ بمحكمة الأحوال الشخصية بالقاهرة. انظر: عبد اللطيف إبراهيم: "المكتبة المملوكية" صـ ٦٢ في: "دراسات في الكتب والمكتبات الإسلامية".

(٣٤) سورة البقرة، آية ١٨١.

(٣٥) مخطوط رقم ٤٠٥٧٣ بمكتبة الأزهر.

(٣٦) سورة الشعراء، آية ٢٢٧ . والنص موجود على نسخة بمكتبة الأزهر، مصورة (علم).

(٣٧) "الكاشف شرح مشكاة المصابيح" للطيبي مخطوط رقم ٦٢٨ بمجموعة مخطوطات يوسف آغا بقونية، تركيا. وقفه محمود بن حبيب.

(٣٨) وقفية كتب ابن قاضي الصلت إمام المسجد الأقصى، المحفوظة في سجلات المحاكم الشرعية بالقدس (سجل رقم ٧٩ ص ٤٤٨) والتي نشرها كامل جميل العسيلي في كتابه "وثائق مقدسية تاريخية" تحت عنوان "وقف الشيخ يحيى بن شرف الدين بن محمد بن قاضي الصلت لكتبه" سنة ١٠٠٧ هـ.

(٣٩) "مكتبة في وثيقة" صـ ٥٦ في: "دراسات في الكتب والمكتبات الإسلامية" لعبد اللطيف إبراهيم.

المصادر والمراجع

- الإصابة في تمييز الصحابة، لابن حجر، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وعلى محمد معوض، دار الكتب العلمية - بيروت، ١٤١٥ ه
- تاريخ العلم والإنسية الجديدة، ترجمة إسماعيل مظهر، القاهرة: دار النهضة العربية، - ٩١
- تخريج الدلالات السمعية على ما كان في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم من الحرف والصنائع، للخزاعي التلمساني، تحقيق أحمد محمد أبو سلامة، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية - القاهرة، سنة: ١٩٩٥ م
- التعريفات، للسيد الشريف الجرجاني، دار الكتب العلمية بيروت -لبنان ، (الطبعة الأولى) سنة: ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣ م
- الصحاح: تاج اللغة وصحاح العربية، لأبي نصر إسماعيل بن حماد الجوهري، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين - بيروت (الطبعة الرابعة) سنة: ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م

- القاموس المحيط لمجد الدين الفيروزآبادى، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، بإشراف: محمد نعيم العرقسُوسي، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان (الطبعة الثامنة) سنة ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م
- "الكاشف شرح مشكاة المصابيح" للطيبي مخطوط رقم ٦٢٨ بمجموعة مخطوطات يوسف آغا بقونية، تركيا. وقفه محمود بن حبيب.
- الكتاب العربي المخطوط وعلم المخطوطات، أيمن فؤاد سيد، الدار المصرية اللبنانية ١٩٩٧
- "مكتبة في وثيقة" لعبداللطيف إبراهيم، صـ ٧٣ في: "دراسات في الكتب والمكتبات الإسلامية".
- "وثائق مقدسية تاريخية"، كامل جميل العسيلي، تحت عنوان "وقف الشيخ يحيى بن شرف الدين بن محمد بن قاضي الصلت لكتبه" سنة ١٠٠٧ هـ.
- الوقف وبنية المكتبة العربية، ليحيى محمود ساعاتي، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية- الرياض، (الطبعة الأولى) سنة ١٩٨٨م

الرَّوْضُ المَرُوضُ فِيْ عِلْمِ العَرُوْضِ

تأليف طاهر بن الحسن بن عمر بن حبيب

الرَّوْضُ المَرُوضُ فِيْ عِلْمِ العَرُوْضِ تأليف طاهر بن الحسن بن عمر بن حبيب

تحقيق ودراسة

د. خضر محمد أبو جحجوح

أستاذ مشارك

الجامعة الإسلامية بغزة

كلية الآداب- قسم اللغة العربية

مقدمة

يَهْدِفُ هَذَا البَحْثُ إِلَىٰ تَحْقِيقِ مَخْطُوطَةٍ قَيِّمَةٌ مِنْ مَخْطُوطَاتِ التُّرَاثِ العَرَبيّ الإِسْلاَمِيِّ، فِيْ مَيْدَانِ عِلْمِ العَرُوضِ، كُتِبَتْ بِخَطِّ مُؤَلِّفِهَا، طَاهِرِ بْنِ الحَسَنِ بْنِ عُمَر بْنِ حَبِيْبٍ، سَمَّاهَا (الرّوضُ المَرُوضُ فِيْ عِلْمِ العَرُوضِ) وهي أرجوزةٌ نَظَمَهَا فِي مِائتينِ وسِتينَ بَيتا، شَمِلَتِ الكَلاَمَ فِي بُحُورِ الشِّعْرِ وَأَعَارِيضِهَا، ومَا يُصِيبُهَا مِنْ زِحَافَاتٍ وَعِلَلٍ.

تَرْجَمتُ فيه للمؤلَفِ، وَوَثَّقْتُ نِسْبَةَ الكِتَابِ إِلِيهِ، وَاسْتَخْرَجْتُ الشَّواهِدَ الّتِي رَمَز إِلِيهَا، وَخرَّجْتُهَا، وَضَبَطتُ الكَلِمَاتِ، وَوَضَّحْتُ مَقَاصِدَ المُصَنِّفِ، وَدَقَّقْتُ المَخْطُوطَ وراجَعْتُهُ، وَحَرِصْتُ عَلَى إِخْراجِهِ كَمَا أَرَادَهُ مُصَنِّفُهُ.

ترجمة المصنف طاهر بن الحسن[1] بن عمر بن حبيب (٧٤٠هـ-٨٠٨هـ)

هو طاهر بن الحسن بن عمر بن حبيب، أبو العز بن بدر الدين الحلبي، المعروف بابن حبيب. (زين الدين، أبو العز) ولد عام ٧٤٠هـ. ونشأ بحلب وكتب بها في ديوان الإنشاء، وهو أديب، ناثر، وشاعر ناظم، ومؤرخ، انتقل إلى القاهرة، فناب عَنْ كَاتِبِ السرّ، وتوفي بالقاهرة يوم الجمعة سابع عشر ذي الحجة سنة ثمان وثمانمائة. (٨٠٨هـ) عن زهاء سبعين عاما رحمه الله وعفا عنه.[2]

شيوخه:

تتلمذ على عدد من العلماء في دمشق والقاهرة منهم، إِبْرَاهِيم بن الشهَاب مَحْمُود، وأبو العباس المرداوي، ومحمد بن عمر السلاوي، وشمس الدين ابن القماح، ولازم الشَّيْخَيْنِ أَبَا جَعْفَر الغرناطي وَابْن جَابر، ومحمّد بن محمّد بن عبد الرحمن الدجوي تقي الدين أبو بكر[3]

(١) الحسن بن عمر بن حبيب (٧١٠ هـ-. ٧٧٩هـ) من مصنفاته، درة الأسلاك في دولة الأتراك، نسيم الصَّبا، المقامات: مقامة الوحوش، المقامة الطردية، مقامة الخيل والإبل، جهينة الأخبار في أسماء الخلفاء وملوك الأمصار، تذكرة النبيه في أيام المنصور وبنيه: جمع به أخبار السلطان قلاوون وأبنائه، النجم الثاقب: في السيرة النبوية، المقتفى في ذكر فضائل المصطفى، كشف المروط في فقه الشافعية، ·النجوم الزاهرة: ١٨٩، شذرات الذهب٨: ٤٥٢، معجم المطبوعات العربية والمعربة١: ٧٤،

(٢) الأعلام، ٣: ٢٢١، هدية العارفين، ١: ٤٣١، معجم المؤلفين، ٥: ٣٤، الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، (٥/٣) المنهل الصافي والمستوفى بعد الوافي، ٦: (٣٦٦، ٣٦٨)

(٣) المنهل الصافي والمستوفى بعد الوافي٦: ٣٦٦، ٣٦٨، الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، ٤: ٥/٣، إنباء الغمر بأبناء العمر٢: ٣٣٧ ٢٤: ٣٧٤، شذرات الذهب في أخبار من ذهب٩: ١٢٩.

مصنفاته

ذيل درة الاسلاك في دولة الأتراك، ومختصر منار الأنوار للنسفي في أصول الفقه، ووشي البردة شرحها وتخميسها، ونظم أرجوزة الروض المروض في علم العروض وشرحها، وشنف السامع في وصف الجامع أي جامع بني أمية، حضرة النديم من تاريخ ابن العديم في تاريخ حلب[١]

من شعره

كَانَ ناظما بليغا فصيحا تَامّ الْفَضِيلَة فِي صناعَة الإِنْشَاء بِحَيْثُ أَنه عين لكتابة سر مصر[٢]، **أورد بعض أصحاب التراجم قطعا من نظمه مثل:**

قلت له إذ ماس في أخضر ... وطرفه ألبابنا يسحر

لحظك ذا؟ أو أبيض مرهف؟ ... فقال هذا موتك الأحمر[٣]

وله في الملك الظاهر برقوق لما قبض على منطاش وقتله:

الملك الظاهر في عزّه ... أذلّ مَنْ ضَلّ وَمَنْ طَاشَا

وردّ في قبضته طائعًا ... نعيرًا العاصي وَمَنْ طَاشَا[٤]

كما أورد له بعض المقطوعات صاحب نفح الطيب[٥] من ذلك قوله:

يمّم دمشق ومل إلى غربيّها ... والمح محاسن حسن جامع يلبغا

من قال من حسدٍ رأيت نظيره ... بين الجوامع في البلاد فقد لغا

لله ما أحلى محاسن جلّقٍ ... وجهاتها اللاتي تروق وتعذبُ

بيزيد ربوتها الفرات وجنكها ... يا صاح كم كنّا نخوض ونلعب

(١) الأعلام، ٣: ٢٢١؛ هدية العارفين، ١: ٤٩١، معجم المؤلفين، ٥: ٣٤، الدرر الكامنة ،٢: ١٣٤، كشف الظنون عن أسامي الفنون، ١:، ٩٢٠، معجم تاريخ التراث٢: ١٣٠٦

(٢) الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، ٤: ٥/٣

(٣) شذرات الذهب٩: ١١٣، المنهل الصافي٦: ٣٦٧

(٤) الضوء اللامع لأهل القرن التاسع٤: ٤، المنهل الصافي ٦: ٣٦٧،

(٥) ذكره بقوله قال البدر بن حبيب والصواب أن يقول ابن البدر بن حبيب، كما يرى د إحسان عباس محقق نفح الطيب، والدليل على أن المقصود هو طاهر بن حبيب، ذكر ما ورد من شعره في كتابه شنف السامع، ينظر نفح الطيب٢: ٣٨٩

وقال في كتاب شنف السامع بوصف الجامع "

لله مـــا أجـــمـــل وصـــف جـــلّـــقٍ ... ومـــا حَـــوَىْ جَـامِـعُـهَـا الـمُـنْـفَـرِدُ

قـــد أطـــرب الـــنـــاس بـــصـــوت صيـتـهُ ... وكـيـف لا يـطـرب وهـــو مَـــعْـــبَـــدُ[1]

عنوانُ المَخْطُوْط

عنوان المخطوط كما صرح به المصنف على صفحة الغلاف هو الروض المروض في علم العروض، وقد ورد اسمها في هدية العارفين (الرَّوْض المروض فِي نظم الْعرُوض)[2] وفي معجم التراث الروض المروض في علم العروض[3] وفي كشف الظنون (الروض المروض) أرجوزة في العروض[4]

وصف النسخة المخطوطة

وردتْ محطوطةُ الروضُ المروضُ في علم العروض ضِمْنَ مَجْمُوعٍ كَتَبَهُ طَاهِرُ بْنُ الحَسَنِ بْن عُمَرَ ابْن حَبِيْبٍ، وهوَ نُسْخَةٌ وَحِيْدَةٌ مَحْفُوظَةٌ بدارِ الكتبِ المَصْرِيَّةِ تَحْتَ رقمِ ٥٧٧٨ أَوَّلَهُ شَرْحُ الرَّامِزَةِ فِيْ عِلْمِ العَرُوضِ (النُّكَت الحَائِزَة لحل الرامزة)، وثانيها هو الرَّوْضُ المَرُوضُ فِيْ عِلْمِ العَرُوْضِ، يليها الكافية في القافية، والمجموع بخطِّ المُؤَلِّفِ كَتَبَهَا بِخَطِّ التَّعْلِيْقِ.

وهي ست عشرة لوحة بإحدى وثلاثين صفحة مسطرتها تسعة أسطر كل سطر مقسوم إلى شطرين، في كل صفحة، بخط التعليق، ما عدا صفحة الغلاف التي كتب عليها عنوان المخطوطة وهو (الروض المروض في علم العروض). والأوراق مرقمة من ٥٠ إلى ٦٥ لكل ورقة رقم للصفحتين، بدأت بصفحة العنوان (٥٠/ب) وانتهت بصفحة النهاية (٦٥/أ) وبقيت صفحة (٦٥/ب بيضاء)

تحتوي المخطوطة على أرجوزة في علم العروض عدة أبياتها مائتان وستون بيتا، كما كتب المصنِّف بيده في نهايتها، تبدأ بقوله:

يَـــقُـــوْلُ طَـــاهِـــرُ الـفـقـيـرُ بْـــنُ حسن ... نَـــجْـــلُ حَـبِـيْـبٍ قَـــوْلَ مَـــنْ لَـــهُ لَـسَـنْ

الـــحـــمـــدُ لله الّـــــذِيْ لَـــنَـــا فَـطَـرْ ... وَأَنْ نـقِـيْـمَ الـــوزْنَ بِـالـقِـسْـطِ أَمَـــرْ

وتنتهي بقوله: وكان الفراغ من تعليقه على يدِ منشئه لتسعٍ بقين من شهر رمضان المعظم، سنة ستٍ وثمانين وسبعمائة، ولله الحمدُ والشكرُ، وهو حسبنا ونعم الوكيل.

---

(١) نفح الطيب٢: ٣٨٩/٣٩٠

(٢) هدية العارفين١: ٤٣١

(٣) معجم تاريخ التراث٢: ١٣٠٦

(٤) كشف الظنون١: ٩٢٠

وتتضمن المخطوطة حواشي مائلة على جانبي الورقة ووسط الأبيات، بخط المؤلف كتب فيها شواهد الضروب والأعاريض المختلفة التي كان يقصدها.

أهمية المخطوطة:

تكمن أهمية المخطوطة في كونها تتناول عِلْماً جليلاً تسابق العلماء في مضمار تصنيفه وشرحه، ونظم موضوعاته لتسهيل وصولها إلى طلاب العلم وحفظها بسلاسة ويسر، كما أنَّ أبيات الأرجوزة واضحة بعيدة عن التعقيد، إضافة إلى أنَّ مصنفها شرح الأبيات فكتب الشواهد الشعرية التي يريدها لبيان المقصد، بخط يده، مما وضعه في اختصاراته وإشاراته التي نظمها في كل بيت من أبيات الأرجوزة.

وتزداد أهمية المخطوطة لأنها كتبت بخط مؤلفها، ضمن مجموع متكامل قام بتنصيفه في علم العروض، يضمُّ بين دفتيه شرحًا لرامزة الخزرجي المشهورة، سماه النكت الحائزة لحل خبايا الرامزة وهذه الأرجوزة التي سماها الروض المروض في علم العروض، إضافة إلى أرجوزة أخرى في علم القافية سماها الكافية في القافية.

عملي في التحقيق:

- تحويل النَّص من صيغة الخط اليدوي إلى صيغة الطباعة.
- تنسيق الأبيات بشكل متوازن.
- ضبط الكلمات لتسهيل قراءتها، والنطق بها ومعرفة مقاصد المؤلف منها.
- شرح ما يحتاج إلى توضيح من مواطن الاستشهاد.
- تخريج أبيات الشواهد وعزوها إلى قائليها.
- ذكر بعض المصادر العروضية واللغوية التي استشهدت بالأبيات المختلفة.
- التعليق على بعض الشّواهد.
- التعريف بالمصنف وذكر كتبه وبعض شيوخه.
- علقت على بعض المواطن التي تحتاج إلى إيضاح.
- تحقيق نسبة الكتاب لصاحبه، وقد أكدت نسبته ما كتبه المصنف بخط يده وتصريحه بذلك،

مع عزو الكتاب في بعض المصنفات المطبوعة والمخطوطة إلى طاهر بن حبيب.

- تدقيق اسم الكتاب كما ورد في غلاف النسخة، حيث كتب المؤلف اسم كتابه صراحة وبخط واضح ومقروء، كما ذكره صاحب مخطوط الحدائق الأنسية أيضا.

- التزمت بأرقام الصفحات كما كتبها المصنف في مجموعه.

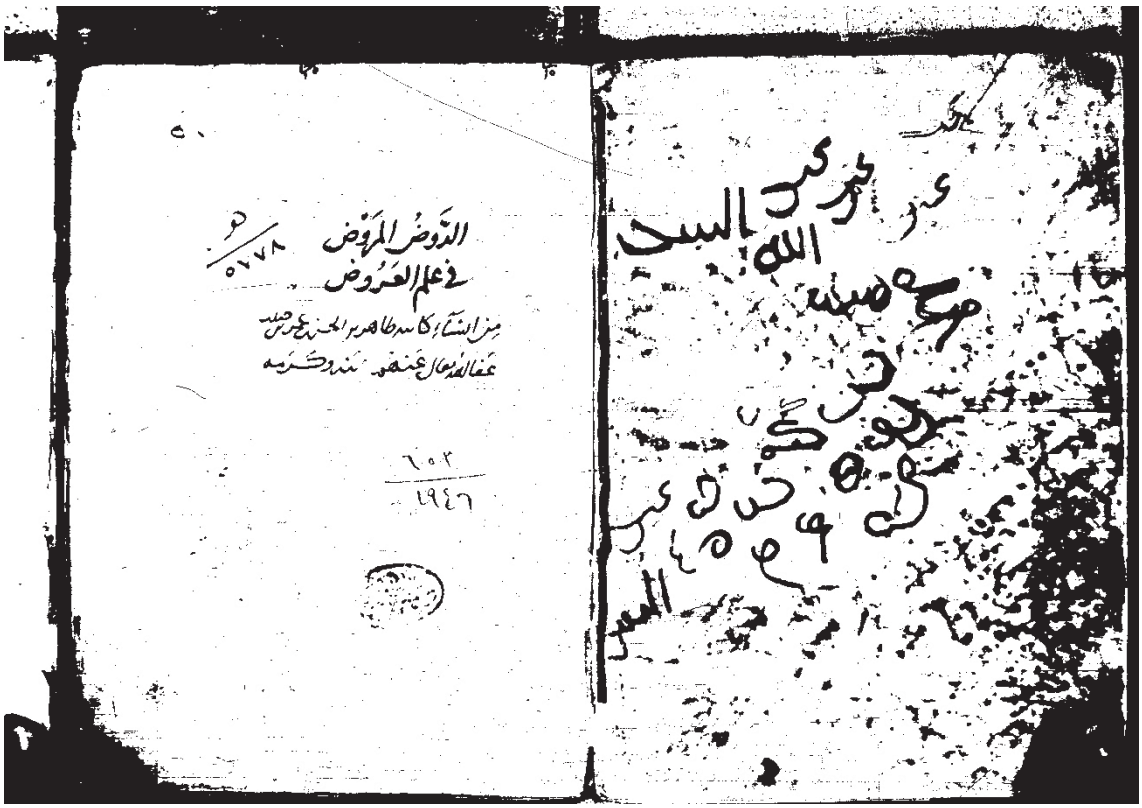

صورة صفحة الغلاف

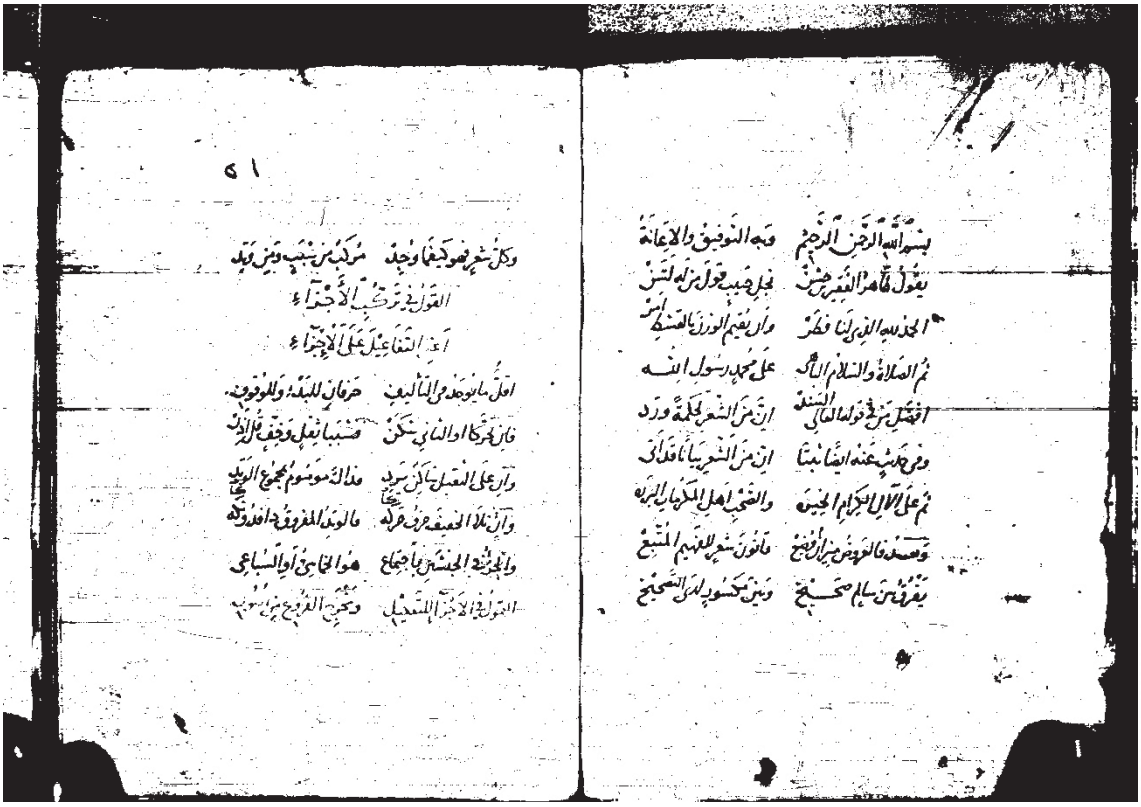

بسم الله الرحمن الرحيم وبه التوفيق والإعانة

يقول فقير عفو ربه الغني ... نجل خطيب قوله مرتله المتن

الحمد لله الذي لنا فطر ... وأن يقيم الوزن بالعدل أمر

ثم الصلاة والسلام الباقي ... على محمد رسول الله

أفضل من نطق فولاه العلي ... إن من الشعر لحكمة ورد

وفي حديث عنه أيضا ثبتا ... إن من الشعر بيانا قد أتى

ثم على الآل الكرام الحيبه ... والصحب أهل المكرمات البريه

وبعد فالعروض من أرفع ... ما فاق من شعر لفهم المتبع

يقوم من سالم صحيح ... ومن مكسور لدى الصحيح

٥١

وكل شعر فهو كبعضها وجد ... مركب من سبب ومن وتد

القول في ترتيب الأجزاء

إذ التفاعيل على الإجزاء

أقل ما يوجد والتأليف ... حرفان للبدء وللوقوف

فإن فرقا أو الثاني سكن ... فصيغا بفعل وقف فالزمن

وإن على العقل بأن يريد ... هذا الموسوم بمجمع الوتد

وإن تلا الحيف حرف فرده ... فالوتد المفروق فافهم وقده

والجزء الجنس بأجمع ... هو الخماسي أو السباعي

القول في الأجزاء التعليل ... وتحت الفروع من سبب

صورة الورقة الأولى

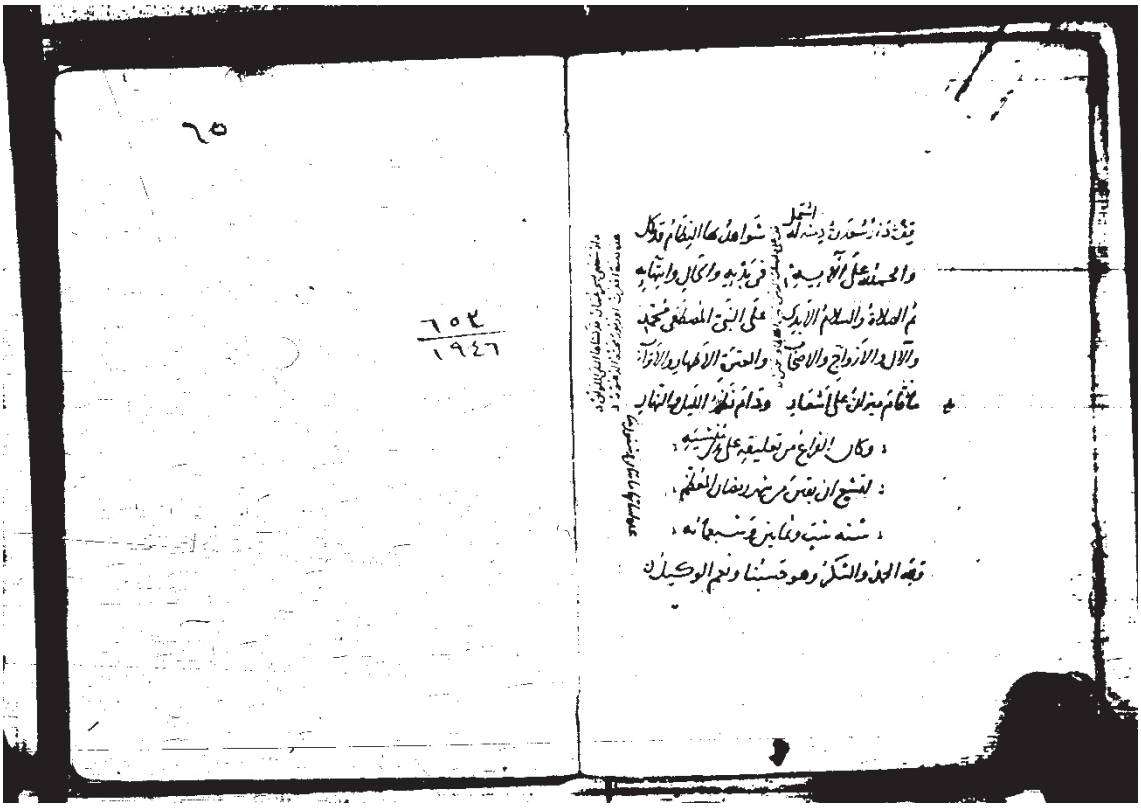

٦٥

٦٥٢
١٩٤٦

شواهد على النظام وذلك

فرغت بعون الله وحسن توفيقه

والحمد لله أولا وآخرا ... وصلى الله على سيدنا محمد

ثم الصلاة والسلام الأبدي ... على النبي المصطفى محمد

والآل والأزواج والأصحاب ... والتابعين الأطهار الأتراب

ما قام ميزان على أشهاد ... ودام نظم الليل والنهار

وكان الفراغ من تعليقه على يد مؤلفه

الفقير الى ربه الغني

سنة سبع وثمانين وتسعمائة

وحسبنا الله ونعم الوكيل

صورة الورقة الأخير

النَّصُّ المُحَقَّقُ

الرَّوضُ المَرُوضُ فِيْ عِلْمِ العَرُوْضِ

من إنشاءِ كَاتِبِهِ طَاهِر بن الحسن بن عمر بن حبيب عفا الله عنهم بمنه وكرمه

بسم الله الرحمن الرحيم

وَبِهِ التَّوْفِيْقُ وَالإِعَانَةْ

يَقُوْلُ طَاهِرُ الفَقِيرُ بْنُ حَسَن ... نَجْلُ حَبِيْبٍ قَولَ مَنْ لَهُ لَسَنْ

الحَمْدُ لله الّذِيْ لَنَا فَطَرْ ... وَأَنْ نَقِيمَ الوَزْنَ بِالقِسْطِ أَمَرْ

ثُمّ الصّلاَةُ والسّلاَمُ البَاهِي ... عَلَى مُحَمّدٍ رَسُوْلِ اللهِ

أفْضَلِ مَنْ فِي قَوْلِهِ العَالِي السّنَدْ ... إنّ مِنَ الشّعْرِ لَحِكْمَةً وَرَدْ(١)

وَفِيْ حَدِيْثٍ عَنْهُ أَيْضًا ثَبَتَا ... إنّ مَنَ الشّعرِ بياناً قَدْ أَتَى(٢)

ثمّ على الآلِ الكِرَامِ الخَيِّرَةْ ... والصّحْبِ أَهْلِ المَكْرُمَاتِ البَرَرَةْ

وبعدُ فالعَرُوضُ مِيزانٌ وُضِعْ ... قَانُونَ شِعْرٍ لِلْفَهِيْمِ المُتّبِعْ(٣)

يَفْرُقُ بَينَ سَالِمٍ صَحِيحْ ... وَبَينَ مَكْسُورٍ لَدَى التّصْحِيحْ[٥١/أ]

وكُلُّ شِعْرٍ فَهُوَ كَيْفَمَا وُجِدْ ... مُرَكّبٌ مِنْ سَبَبٍ وَمِنْ وَتِدْ(٤)

القَولُ فِي تَرَكّبِ الأَجْزَاءِ ... أعني التّفَاعِيْلَ عَلَى الإِجْزَاءِ

أقَلُّ مَا يُوجَدُ فِيْ التّأْلِيْفِ ... حَرْفَانِ لِلْبَدْءِ وَلِلْوُقُوْفِ

(١) روى البخاري بسنده من طريق أبَيِّ بْنِ كَعْبٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ r قَالَ: إِنَّ مِنَ الشِّعْرِ حِكْمَةً "وهو في سنن ابن ماجة وسنن أبي داوود كذلك من طريق أبيّ بن كعب، وقد صححه الألباني، وفي مسند أحمد عن ابن عباس رضي الله عنهما، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: إِنَّ مِنَ الشِّعْرِ حِكَمًا، وَإِنَّ مِنَ البَيَانِ سِحْرًا"

(٢) لم أقف في كتب الحديث على ما ذكره الناظم بتلك الصيغة، وربما كان يقصد الحديث السابق بتمامه : "إن من الشعر حكمة، وإنَّ من البيان سحرا"

(٣) العروض ميزان شِعْرِ العرب وبه يعرف الصحيح من المكسور، ينظر، ابن جني، كتاب العروض، ص٥٥

(٤) يلاحظ أنّ الناظم اكتفى بذكر الأسباب والأوتاد، ولم يتطرق إلى ذكر الفاصلة الكبرى والفاصلة الصغرى التي ذكرها غيره من العروضيين، يقول الزمخشري: وإذا اقترنَ السببان متقدّمًا الثقيلُ منهما على الخفيف سُميَّ ذلك الفاصلةَ الصُّغرَى، مثل (مُتَفا) من (مُتفاعِلُنْ). وإذا اقترن السبب الثقيل والوتد المجموع متقدّمًا السبب على الوتد سُمِّي ذلك الفاصلةَ الكبرى، مثل (فَعَلَتُنْ) القسطاس في علم العروض٢٦، ٢٧

فَـــإِنْ تَـحَـرّكَـاْ أَوِ الـثّـانِـي سَـكَـنْ فَـسَـبَـبَـاْ ثِـقْـلٍ وَخَـــفِّ قُـــلْ إِذَنْ[1]

وَإِنْ عَـلَـى الـثّـقِـيْـلِ سـاكِـنٌ يَـرِدْ فَـــذَاْكَ مَـوسـومٌ بِـمَـجْـمُـوْعِ الـوَتِـدْ[2]

وَإِنْ تَلَا الـخَـفِـيْـفَ حَـــرْفٌ حُـرِّكَـا فَـالـوَتِـدُ الـمَـفْـرُوْقُ ذَاك دُوْنَـكَـا[3]

والـجُـزْءُ فِـي الـجِـنْـسَـيْـنِ بِـاجْـتِـمَـاعِ هُـــوَ الـخُـمَـاسِـي أَوِ الـسُّـبَـاعِـي

الـقـولُ فِـي الأَجْـــزَاءِ لـلـتّـعْـجِـيـلِ ومَـخْـرَجِ الـفُـرُوعِ مِـنْ أُصُـــولِ[٥١/ب]

أصـولـهـا جَـــاءتْ بِـعَـــدٍّ أَرْبَـعَـــةْ مِـنْـهَـاْ فَـعُـوْلُـنْ وَمَـفَـاعِـيْـلُـنْ مَـعَـهْ

ثُـــمّ مُـفَـاعَـلَـتُـنْ الـثّـالِـثُ جَـا وَفَـــاعِلَاتُـــنْ رَابِـــعٌ لَـدَى الـهِـجَـا[4]

وَصِـفَـةُ الـتّـفْـرِيْـعِ فَـهْـيَ لَـنْ فَـعُـوْ وِزَانُ فَـاْعِـلُـنْ كَـذَا يُـفَـرّعُ

وَمِـــنْ مَـفَـاْعِـيـلُـنْ بِـمَـجْـمُـوْعِ الـوَتِـدْ مُـسْـتَـفْـعِـلُـنْ وَفَـاعِلَاتُـنْ قَـدْ وُجِـدْ[5]

وَمِـــنْ مُـفَـاعَـلَـتُـنْ اجْـعَـلْ بَـالَـكَـاْ جَـــاْ مُـتَـفَـاعِـلُـنْ[6] وفـاعلاتـكـا

فَـفَـاعَلاتـك الّـــذِي قَـــدْ أُهْـــمِلَا لَـمْ تَـصْـنَـعِ الأَعْـــرَابُ فِـيْـهِ عَـمَـلَا[7]

وَفَـــاعِ لَاتُـــنْ بَـعْـدُ مَـفْـرُوقُ الـوَتِـدْ مُـسْ تَـفْـعِ لُـنْ عَـنْـهُ بِـمَـفْـرُوقٍ يَـرِدْ[8]

كَـــذَاك مَـفْـعُـولَاتُ عَـنْـهُ وَرَدَا وَتِـسْـعَـةٌ فَـقَـدْ كَـمـلـن عَـــدَدَا[٥٢/أ]

وهـنّ فـي الـصُّـورةِ دُوْنَ الـمُـهْـمَـلِ عَـشْـرٌ وَفِـي الـعَـدِّ ثَـمَـانٍ فَـقَـلِ[9]

---

(١) يتكون السبب الخفيف من متحرك فساكن، والسبب الثقيل يتكون من متحركين مثالهما (لم/٥ أَر//)

(٢) المقصود أنَّ الوتد المجموع يتكون من ثلاثة أحرف، أي بزيادة حرف ساكن بعد متحركي السبب الثقيل نحو (على //٥)

(٣) الوتد المفروق يكون بزيادة حرف متحركٍ بعد ساكن السبب الخفيف.

(٤) أصول التفعيلات أربعة هي: فعولن، ومفاعلين، ومفاعلتن، وفاعلاتن، وإنما عُدَّتْ أصولا لأنَّ غيرها يتفرع عنها.

(٥) يرى أن مستفعلن تتفرع عن مفاعيلن حين يتأخر الوتد المجموع ويتقدم السببان(عيلن مفا) فتصير (مستفعلن) أما إن توسط الوتد المجموع السببين فتنتج (فاعلاتن)

(٦) بتأخير الوتد المجموع في (مفاعلتن) (علتن مفا) تتحول إلى (متفاعلن) ووفق دائرة المؤتلف يشتق بحر الكامل من السبب الثقيل (عل تن مفا) إلى نهاية الدائرة فينتج (متفاعلن متفاعلن متفاعلن) ست مرات، وإن بدأ من السبب الخفيف في مفاعلتن الثانية (تن) نتجت تفعيلات بحر مهمل (فاعلاتك فاعلاتك فاعلاتك) ست مرات

(٧) تفعيلات البحور المهملة لم تنظم العرب عليها أشعارا

(٨) إذا توسط الوتدُ المفروق السببين من فاع لاتن تتحول إلى مستفع لن

(٩) التفعيلات ثمانية في العدد، فعولن فاعلن، مفاعيلن، مستفعلن، فاعلاتن، مفاعلتن متفاعلن مفعولات، يضاف

مِـنْـهَـا خُـمَـاسِـيّ فَـعُـوْلُـنْ فَـاْعِـلُ ... وَمَـا عَـدَاهُـمـا الـسّـبَـاعِـيُّ الـكَـامِـلُ

الـقـولُ فِـيْ ذِكْـرِ الـزّحَـافِ الـمُـفْـرَدِ ... يَـخُـصُّ حَـشْـوَ سَـبَـبٍ لاَ وَتِـدِ

وهـوَ مِـنَ الأَسْـبَـابِ فِـيْ أَمَـاكِـنْ ... أَرْبَـعَـةٍ حُـرِّكْـنَ أَوْ سَـوَاْكِـنْ

فَـفِـي ثَـوانِـيْـهـا ثلاثـةٌ نُـقِـلْ ... خـبـنٌ وإِضْـمَـارٌ وَوَقْـصٌ قَـدْ عُـقِـلْ

إسـكـانُـهُ الإِضْـمَـارُ أَوْ وَقْـصُ الـطّـرَفْ ... خـبـنٌ كَـحَـذْفِـهِ مُـسَـكّـنًـا عُـرْفْ

ورابـعُ الـجُـزْءِ فَـإِنْ تَـحْـذِفْـهُ ... قِـيْـلَ لَـهُ طَـيّ فَـقَـطْ فَـاعْـرِفْـهُ

خَـامِـسُـهُ لَـهُ ثَلاَثٌ نُـقِـلْ ... عَـصْـبٌ بِـمُـهْـمَـلٍ وَقَـبْـضٌ عَـقْـلُ

إِسْـكَـانُـهُ عَـصْـبٌ وَقَـبْـض حَـذْفُـهُ ... والـعَـقْـلُ حَـذْفٌ بَـعْـدَ عَـصْـبٍ فَـاقْـفُـهُ

وَسَـابِـعُ الـجُـزْءِ إِذَا مَـا حُـذِفَـا ... فِـيْ حَـالِ إِسْـكَـانٍ فَـكَـفٌّ عُـرِفَـا[٥٢/ب

الـقَـولُ فِـي ذِكْـرِ الـزِّحَـافِ الـمُـزْدَوَجْ ... أصـولـه أربـعـةٌ إذ تـنـدرج

شَـكْـلٌ وَخَـبْـلٌ ثُـمّ نَـقْـصٌ خَـزْلُ ... يَـجُـوز وَصْـفُـهَـا مَـقَـالٌ يَـتْـلُـو

والـشّـكـلُ خَـبْـنٌ ثُـمّ كَـفٌّ جُـمِـعَـا[١] ... والـخَـبْـلُ جَـمْـعُ الـخَـبْـنِ والـطّـيّ مَـعَـا[٢]

والـنّـقْـصُ[٣] فَـالـعَـصْـبُ بِـصَـادٍ مُـهْـمَـلَـهْ ... والـكَـفُّ بَـعْـدَهُ بِـجُـزْءٍ دَخَـلَـهْ

والـخَـزْلُ[٤] فَـالإِضْـمَـارُ والـطّـيّ إِذَا ... مَـا اجْـتَـمَـعَـا فِـي الـجُـزْءِ هَـذا بَـعْـدَ ذَا

الـقَـولُ فِـيْـمَـا جَـاءَ بِـالأَجْـزَاءِ ... مِـنْ عِـلَـلٍ بِـالـنّـقْـصِ والـنّـمَـاءِ[٥]

وهْـيَ عَـلَـى الـتّـعْـدَادِ سِـتّـةَ عَـشَـرْ ... بِـالـبَـدْءِ وَالـعَـرُوضِ والـضّـرْبِ تَـقَـرْ[٦]

إليها فاع لاتن ومستفع لن) مفروقتا الوتد فتصبح عشرة.

(١) الخبنُ حَذْفُ الثّانِيْ السّاكن من السبب الخفيف، والكفُّ حذف السابع الساكن، وبالشَّكل تصير فاعلاتن (فعلاتُ)

(٢) الطيُّ حذف الرابع الساكن، ومثله في مستفعلن فتصير مستعلن، وتنقل إلى (مفتعلن)

(٣) علة النقص الكفُّ بعد العصب"القسطاس٣٩،، فالعصب تسكين الخامس المتحرك في مفاعلتن فتصير مفاعيلن، والكفّ حذف السابع الساكن فتصير مفاعيلً" والمنقوص ما سكن خامسه المتحرك وذهب سابعه الساكن"العقد الفريد٦: ٣٠٠

(٤) الخزل إسقاط الرابع بعد إسكان الثاني" القسطاس٤٢، وهو في متفاعلن التي تصير بالإضمار(مستفعلن) وبالطي مستعلن تنقل إلى (مفتعلن)

(٥) يَقْصُدُ عِلَلَ النَّقْصِ، وَعِلَلَ الزِّيَادة.

(٦) العلل ست عشرة علة منها أربع علل زيادة تختص بالضروب هي: (التذييل والترفيل والتسبيغ والتتميم) والبواقي اثنتا

مِنهـا اثْنَتَانِ بِالمَبَادِي اتّصَلَتْ ... خَزْمٌ وخَرْمٌ والبَوَاقِيْ فُصِّلَتْ

فَبِالأَعَارِيْضِ وبِالضُّرُوبِ ... عَشْرٌ وَأَرْبَعٌ عَلَى التَّرْتِيْبِ[٥٣/أ]

فأَرْبَعٌ تَخْتَصُّ بِالزِّيَادَةْ ... والعَشْرُ بِالنَّقْصِ عَلَى الإِفَادَةْ

والأَرْبَعُ التَّرْفِيْلُ والتَّذْيِيلُ ... تَسْبِيغٌ التَّتْمِيْم ذَا المَنْقُولُ

والعَشْرُ حَذْفٌ ثُمّ قَصْرٌ قَطْفُ ... قَطْعٌ وَصَلْمٌ ثُمّ وَقْفٌ كَشْفُ

بَتْرٌ وَحَذٌّ ثُمّ تَشْعِيثٌ كَمَلْ ... هَذَا الّذِيْ بالنَّقْصِ فِي الأَجْزَا دَخَلْ

فالخَزْمُ بِالزّايِ وَخَاءٍ مُعْجَمِ ... زِيَادَةُ الحرف لِأَرْبَعٍ سِمِ

فِيْ أَوّلِ البَيْتِ بِلَا لُزُومِ ... بَلْ خَارِجُ التَّقْطِيْعِ فِي التَّقْسِيمِ

والخَرْمُ بالرّا نَقْصُ حَرْفٍ مُفْرَدِ ... مِنْ أَوّلِ البَيْتِ بِكُلِّ وَتِدِ

وَصِفَةُ التَّرْفِيْلِ فِي التَّوْقِيْفِ ... زِيَادَةٌ لِسَبَبٍ خَفِيْفِ

عَلَى الّذِيْ وَتِدُهُ مَجْمُوْعُ ... وَمُتَفَاعِلُنْ لَهُ مَوْضُوعُ[٥٣/ب]

وَبَعْدَهُ التَّذْيِيلُ فِي المَسْمُوْعِ ... إِنْ زِدْتَ سَاكِنًا عَلَى مَجْمُوعِ

فِيْ مُتَفَاعِلُنْ وَفِيْ مُسْتَفْعِلُ ... فِي كَامِلٍ وَفِي بَسِيْطٍ يَدْخُلُ

تَسْبِيْغُهُمْ إِنْ زِيْدَ سَاكِنٌ عَلَى ... مَا آخِرًا لُهُ خَفِيْفٌ حَصَلاَ

فِي فَاعِلاَتُنْ جَا بِمَجْزُوءِ الرَّمَلْ ... وَبَعْدَهُ التَّتْمِيْمُ رَابِعُ الأُوَلْ

وهْوَ زِيَادَةٌ لِحَرْفَيْنِ عَلَى ... آخِرِ جُزْءِ الضرب حَيثُ كَمَلاَ

فِي مِثْلِ فَاعِلُن بِبَحْرِ الرَّمَلِ ... يُلْحَقُهُ بِأَصْلِهِ فِي العَمَلِ

والحَذْفُ حَذْفُ سَبَبٍ خَفِيْفِ ... مِنْ آخِرِ الجُزْءِ عَلَى التَّوْقِيْفِ

والقَصْرُ فَهْوَ حَذْفُ سَاكِنِ السّبَبْ ... فِي آخِرٍ وسَكْنُ قَبْلِ مَا ذَهَبْ

والقَطْفُ فَهْوَ لِلْخَفِيْفِ حَذْفُكَا ... وَقَبْلَهُ تُسْكِنُ مَا تَحَرّكَا[٥٤/أ]

والقَطْعُ حَذْفُ آخِرٍ مِنَ الوَتِدْ ... مِنْ آخِرِ الجُزْءِ وكَالقَصْرِ اعْتُمِدْ

عشرة علة نقص منها اثنتان تختصان بأول البيت وهي (الخَزْمُ والخَرْمُ) وعشرة تختص بالأعاريض والضروب وهي (االحذف، والقصر، والقطف، والقطع، والصلم، والوقف، والكشف، والبتر، والحذ، والتشعيث) كما ذكرها الناظم بالترتيب.

والصَّلْمُ حَذْفُ وَتِدٍ مَفْرُوقِ ... آخِرَ مَفْعُولَاتُ فِي التَّحْقِيْقِ

والوَقْفُ سَكْنُ سَابِعٍ مُحَرّكِ ... وَهْوَ بِمَفْعُولَاتُ أَيْضًا فَادْرِكِ

والكَشْفُ حَذْفُ سَابِعٍ ذِي حَرَكَةْ ... والبَتْرُ قَطْعٌ بَعْدَ حَذْفِ شَرِكَهْ

والحذفُ حذف وتد مجموع ... من متفاعلن لدى التقطيع

تِسْعَةُ أَلْقَابٍ لَهُ إِذَا وَرَدْ ... مَعْ عِلَّةٍ فِي الجُزْءِ أَوْ بِهِ انْفَرَدْ

والخَرْمُ بالرَّا عَاشِرٌ بِهِ اخْتَتِمْ ... حذفٌ لِحَرْفٍ أوّلَ الشَّطْرِ يَتِمْ

فَفِي فَعُوْلُنْ بِانْفِرَادٍ ثَلْمُ ... وهْوَ بِهِ مِنْ بَعْدِ قَبْضٍ شَرْمُ

وفِي مَفَاعِيْلُنْ عَلَى انْفِرَادِ ... خَرْمٌ بِمَوْضِعِ اسْمِهِ المُعْتَادِ

وَإِنْ يَكُنْ فِيْهَا مَعَ القَبْضِ اصْطُحِبْ ... فَشَتَرٌ وَهْوَ مَعَ الكَفِّ خَرَبْ[٥٤/ب]

وبِمُفَاعَلَتُنْ إِنْ فَرْدًا سَلِمْ ... قِيْلَ لَهُ العَضْبُ بِضَادٍ مُنْعَجِمْ

وَإِنْ يَكُنْ فِيهَا مَعَ العَصْبِ التَأَمْ ... قصمٌ وَفِيهَا مَعَ عَقْلٍ قُلْ جَمَمْ

وَهْوَ بِهَا مِنْ بَعْدِ نَقْصٍ عَقْصٌ ... هَذَا الّذِيْ بِجَزْئِهِمْ يَخْتَصُّ

وبَعْدَ ذَا التَّشْعِيْثُ كَالْخَرْمِ وُجِدْ ... حَذْفُ مُحَرّكٍ بِأَحْرُفِ الوَتِدْ

والجَزْءُ حَذفٌ لِكِلا جُزْأَيْن ... هُمَا آخران من الشَّطْرَيْن

والشَّطْرُ حَذْفُ نِصْفٍ مِنَ الشِّعْرِ ... والنَّهْكُ حَذْفُ ثُلُثَيْهِ فادْرِ

والنَّهك يَخْتَصُّ لَدَى القِياسِ ... بِكُلِّ بَحْرٍ عِنْدَهُمْ سُدَاسِيْ

القَوْلُ فِيمَا جَازَ أَنْ يُغَيّرَا ... فَلَمْ يُغيرْ بِزِحَافٍ صدّرَا

تامٌّ ووافٍ سَالِمٌ ثُمّ بَرِيْ ... صَحِيحُ موفورٌ مُعَرّى فاخبُرِ

فالتّامُّ بَيْتٌ عَدَدًا يَسْتَوْفِيْ ... دائرةَ الأَجْزَاءِ وَالحُرُوْفِ

وَبَعْدَهُ الوَافِي إِذَا مَا اسْتَوفَى ... عِدّتَهَا وَنَقَصَتْ حُرُوفَا

والسّالِمُ البَيتُ الّذِي قَدْ كَأْنَا ... يَجُوْزُ زَحْفُهُ فَعَنْهُ بَانَا[٥٥/أ]

كَذَا البَرِي لَكَنْ تَعَاقُبًا زُحِفْ ... والزّحْفُ بِالأَسْبَابِ خُصّ وَعُرِفْ

ثـــمّ الـصّـحـيـحُ كُـــلُّ بَـيْـتٍ اسْـتَـقَـلّ ... عَـــرُوْضُـــهُ وَضَـــرْبُـــهُ عَـــنِ الـعِـلَـلْ

وَبَـــعْـــدَهُ الـمَـوْفُـورُ بَـيـتٌ قَـدْ سَـلِـمْ ... مِـــنْ خَـــرْمِـــهِ بَـعْـدَ جَـــوَازٍ قَـــدْ عُـلِـمْ

ثـــمّ الـمُـعَـرّى كُـــلُّ بَـيْـتٍ جُـلّـهُ ... جَـــزْءٌ وَلَا زَايِـــدَ غَـيّـرَ اصْـلَـهُ[1]

الـقَـوْلُ فِـي أَلْـقَـابِ ذِي الـتّـغْـيِـيْـرِ ... ضَـــرْبَ تَـغـيّـرٍ مِـــنَ الـبُـحُـوْرِ

وَهْـــيَ ابْـتِـدَاءُ غَـايَـةٌ وَفَـصْـلُ ... ثُـــمّ اعْـتِـمَـادُ أَرْبَـــعٌ تُـعـلُّ

فـالابْـتِـدَاءُ كُـــلُّ جُـــزْءٍ عُلاّ ... أَوّلَ بَـيْـتٍ لَا بِـحَـشْـوٍ حَلاّ

والـغَـايَـةُ اسْـمُ الـضّـرْبِ بـاسْـتِـقْلَالِ ... خَـالَـفَ حَـشْـوَ الـبَـيْـتَ فِـيْ الإِعْلَالِ

والـفَـصْـلُ مَـا بِـهِ الـعَـرُوْضُ خُـصّـتِ ... مِـنْ عِـلّـةٍ لَـيْـسَـتْ بِـحَـشْـوٍ نُـصّـتِ[٥٥/ب]

والاعْـتِـمَـادُ فَـاسْـمُ جُـــزْءٍ آخـرِ ... فِـي الـحَـشْـوِ مَـعْـلُـولٍ بِـخُـلْـفٍ ظَـاهِـرِ

ثُـمّ الـعَـرُوضُ جُـزْءُ شَـطْـرٍ أَوّلِ ... أَخِـيْـرُهُ، والـضّـرْبُ فِـيْ الـثّـانِـي اجْـعَـلِ

وَبَـعْـدَ ذَا فَـالـقَـولُ فِـي الـمُـعَـاقَـبَـةْ ... ثُـــمّ الـمُـكَـانَـفَـةِ والـمُـرَاقَـبَـةْ

أمّـــا الـتّـعَـاقُـبُ فَـفِـي جُـزْأَيْـنِ ... بِـسِـبَـبَـيْـنِ مُـتَـقَـابِـلَـيْـنِ

مَـا بَـيْـنَ وُدّيْـــنِ[2] وَفِـــيْ جُـــزْءٍ أَتَـى ... وَكُـــلُّ ذَا بِـالـحَـشْـوِ خُـصّ مُـثْـبَـتَـا

ثـــمّ الـتّـكَـانُـفُ فَـأَيْـضًـا مِـثْـلُـهُ ... لَـكِـنْ بِـجُـزْءٍ وَاحِـــدٍ مَـحَـلُّـهُ

ثـــمّ الـتّـــراقـــبُ فـمـثـلُ ذيـنِ ... فِـــيْ سِـبَـبَـيْـنِ بَـيْـنِ وِتَـدَيْـنِ

وَهْـــوَ بِـمَـجْـمُـوْعٍ وَمَـــفْـــرُوْقٍ حَـصَـلْ ... تـلـوًا لَـــهُ بِـــجُـــزْءٍ آخَـــرَ اسْـتَـقَـلْ

وقَـــدَ أَتَـــى فِـــي سَـبَـبَـيْـنِ مَـعْ وتِـدْ ... مُـــفْـــتَـــرِقٍ بِـــجُـــزءِ حَـشْـوٍ مُـنـفـرِدْ

ثُـــمّ الأعـــاريـــضُ فـــهـــنّ أربـــعُ ... بـعـدَ ثلاثـيـنَ لـهـا تَـسْـتَـتْـبِـعُ[٥٦/أ]

---

(١) سهّل الهمزة ليستقيم الوزن

(٢) ودّ لغة في وتد ومثناها ودّان «وَيُقَالُ للوتِد: وَدٌّ، كأَنهم أَرادوا أَن يَقُولُوا ودِدٌ فَقَلَبُوا إِحدى الدَّالّيْنَ تَاءً لِقُرْبِ مخرجِهما؛.. الوَدُّ: الوتِدُ إِلا أَنه أَدغم التَّاءَ فِي الدَّالِ فَقَالَ وَدّ» لسان العرب٣: ٤٤٤

وَتِـلْـوُهَـا الـضُّـرُوبُ سِـتِّـيْـنَ أَتَـتْ وَبَـعْـدَهَـا ثَلَاثَـةٌ لَـهَـا تَـلَـتْ

الـقـولُ فِـيْ بَـحْـرِ الـطَّـوِيْـلِ الأوّلِ وكُـلِّ مَـا عَـلَـيْـهِ مِـنْ مُـعَـوّلِ

وَهْـوَ فَـعُـوْلُـنْ وَمَـفَـاعِـيـلُـنْ أَتَـتْ أجـزاؤهُ ثَـمَـانِـيـاً تَـكَـمّـلَـتْ

مَـبْـنَـاهُ فِـي دَائِـرَةِ الـمُـخْـتَـلِـفِ كَـذَا الـمَـدِيْـدُ والـبَـسِـيْـطُ فِـاعْـرِفِ

لُـهُ عَـرُوضٌ وَثَلَاثُ أَضْـرُبِ مَـقْـبُـوضَـةٌ جَـاءَتْ بِـشِـعْـرِ الـعَـرَبِ

تـامّ وَمَـقْـبُـوضٌ وَمَـحْـذُوْفٌ نَـمَـا[1] أَبَـا[2] سَـتُـبْـدِيْ[3] شَـاْهِـدٌ لَـهَـاْ وَمَـا[4]

زِحَـافُـهُ بِـالـحَـشْـوِ مَـقْـبُـوضٌ لـوى أوّلَ ضَـرْبٍ خِـيْـفَـةَ الـلّـبْـسِ اسْـتَـوَى

فـالـقـبـضُ فِـي سَـمَـاحَـةٍ[5] والـثّـلـمُ شَـاقَـتْـكَ[6] والـكَـفُّ بِـهِ مُـلِـمُّ

(١) للطويل عروض واحدة مقبوضة (مفاعلن) وثلاثة أضرب: تامٌّ (مفاعيلن) ومقبوض مثلها (مفاعلن) ومحذوف (فعولن)

(٢) شاهده لطرفة: (أبا منذر كانت غرورا صحيفتي ولم أعطكم بالطَّوعِ مالي ولا عِرْضِيْ) ديوان طرفة بن العبد، ٥٣، جمهرة الأمثال١: ٥٨٢، العمدة١: ١٩٤، الوافي٣٧، وبلا نسبة في المعيار٢٩، القسطاس٧٠، الحور العين٥٣، مفتاح العلوم١: ٥٢٨.

(٣) (ستبدي لك الأيامُ ما كنتَ جَاهِلاً وَيَأْتِيْكَ بِالأَخْبَارِ مَنْ لَمْ تُزَوِّدِ) ديوان طرفة بن العبد، ٢٩، جمهرة أشعار العرب ٣٤١، الشعر والشعراء١: ١٨٩، الصناعتين١٨٠، العقد الفريد٣: ٧٨، نقد الشعر٥٥، قواعد الشعر٦٩، الفاخر ٢٩٤. وبلا نسبة في العروض٤٤، المعيار٣٠، الوافي٣٨، القسطاس٧١، الحور العين٥٣، مفتاح العلوم١: ٥٢٨

(٤) (وَمَاْ كلُّ ذي لبٍّ بموتيك نُصْحَهُ وما كلُّ مؤتٍ نصحَهُ بلبيبِ) منسوب لأبي الأسود الدؤلي في العمدة٢: ٤، التذكرة الحمدونية٣: ٣٠١، الدر الفريد١٠: ٤٠٥، وبلا نسبة في المعيار٣٠، العقد٦: ٢٩١، القسطاس٧١، الوافي٤٤.

(٥) شاهده (سَماحَةَ ذا وَبِرَّ ذا وَوَفاءَ ذا وَنائِلَ ذا إذا صَحا وَإذا سَكِر) ديوان امرئ القيس،١١٣، العمدة١: ١٣٩، خزانة الأدب٥: ٥٢، الحماسة المغربية١: ١٢١، الدر الفريد١٠: ٢٠٧، الصناعتين٤٠١، العمدة١: ١٣٩. وبلا نسبة في المعيار ٣١

(٦) (شاقتْك أحْداجُ سُلَيْمى بعاقلٍ فعيْناك لِلْبيْن تجوْدان بالدّمْعِ) العروض٤٧، الوافي٤٣، المعيار ٣١، العقد الفريد٦: ٣٢٥، القسطاس،٧٣.

والـــثّـــرْمُ فِـــي هَـــاجَـــكَ[1] وَهْـــوَ يَـقْـبُـحُ ... فِـيْ شِـعْـرِهِـمْ والـثّـلْـمُ مِـنْـهُ أَصْـلَـحُ[2][٥٦/ب]

ثَـانِـيْـهِـمَـا الـمَـدِيْـدُ خُـذْ مَـبَـانِـيَـهْ ... مِـنْ فَـاْعِلَاتُـنْ فَـاعِـلُـنْ ثَـمَـانِـيَـةْ

لَـمْ يُـرْوَ فِـيْ الـشِّـعْـرِ سِـوَى مُـسَـدّسٍ ... قَـدْ جَـاْءَ مَـجْـزُوْءًا فَـخُـذْهُ وَقِـسِ

لَـهُ أَعَـاْرِيْـضُ ثَلَاثَـةٌ تُـحَـدّ ... وَسِـتّـةُ أَضْـرُبٍ حِـيْـنَ تُـعَـدّ

عَـرُوْضُـهُ الأُوْلَـى بِـضَـرْبٍ وَاحِـدِ ... سَـالِـمَـةٌ كَـضَـرْبِـهَـا بِـشَـاهِـدِ

فِـي يَـا[3] وَحَـذْفُ الـعَـرُوْضِ الـثّـانِـيَـةْ ... مَـعْ أَضْـرُبٍ ثَلَاثَـةٍ مُـدَانِـيَـةْ

فِـيْ أَوّلٍ قَـصْـرٌ وَثَـانٍ حَـذْفُ ... وَثَـالِـثٍ بَـتْـرٌ عَـلَـيْـهِ الـعُـرْفُ

فِـيْ لَاْ يَـغُـرّنّ[4] اعْـلَـمُـوْا[5] وَإِنّـمَـاْ[6] ... شَـوَاهِـدٌ لَـهَـا كَـمَـاْ قَـدْ عُـلِـمَـاْ

وَبَـعْـدَ هَـذَا فَـالْـعَـرُوْضُ الـثّـالِـثَـةْ ... جَـاءَتْ بِـحَـذْفٍ ثُـمّ خَـبْـنٍ لِاْبِـثَـةْ

يَـتْـبَـعُـهَـاْ ضَـرْبَـاْنِ عَـنْـهَـا ثَـبَـتَـا ... فَـأَوّلٌ كَـمِـثْـلِـهَـاْ فِـيْ لِـلْـفَـتَـى[7][٥٧/أ]

---

(١) (هاجك ربْعٌ دارس الرّسْم باللوى لِأسْماء عفّى آيَهُ المُوْرُ والقَطْرُ). بلا نسبة في العروض٤٧، الوافي٤٣، المعيار ٣١، القسطاس٧٣، العيون الغامزة ١٤٧، مفتاح العلوم١٧: ٥٣٠.

(٢) الثرم حذف الفاء من (فَعُوْلُ المقبوضة (فعْلُ)، والثلم حذف فاء فعولن فتبقى (فَعْلنْ)

(٣) (يا لَبكرٍ أنشِروا لي كُلَيبًا يا لَبكرٍ أينَ أينَ الفِرارُ؟) ديوان المهلهل بن ربيعة٣٥، الأغاني٥: ٦٤، العقد٦: ٧٦، خزانة الأدب٢: ١٧١، وبلا نسبة في العروض٤٨، القسطاس٧٢، الوافي٤٦، العيون الغامزة١٥١، مفتاح العلوم١: ٥٣٠.

(٤) (لا يغرنَّ امرأً عَيْشُـهُ كُلُّ عَيْشٍ صَائِرٌ لِلزَّوَالْ) بلا نسبة في الوافي ٤٦، المعيار٣٣، القسطاس٧٥، كتاب القوافي١٥٥، العقد الفريد ٦: ٣٢٦، الحور العين٦٠، مفتاح العلوم١: ٥٣٠.

(٥) (اعلموا أنّيْ لَكُمْ ناصح شاهدا ما كنت أو غائبا) العروض٤٩، الوافي ٤٧، المعيار٣٣، العقد الفريد٦: ٢٩٣، القسطاس٧٥، الحور العين٦٠، مفتاح العلوم١: ٥٣١، وفيها جميعا (حافظٌ) بدل (ناصحٌ)

(٦) (إنما الذلفاء ياقوتةٌ أُخْرِجَتْ مِنْ كِيْسِ دِهْقَانِ) لابن عبد ربه، ديوانه، ١٦٧، وبلا نسبة: العقد الفريد ٦: ٢٩٣، العروض٥٠، الوافي٤٨،المعيار ٣٤، القسطاس٧٥. العيون الغامزة ١٥٢

(٧) (لِلْفَتَى عَقْلٌ يَعِيْشُ بِهِ حَيْثُ تَهْدِيْ سَاقَهُ قَدَمُهْ) منسوب لطرفة، ديوان طرفة، ٧٣، المعاني الكبير ٣: ١٢٦٣. شرح القصائد السبع، ٩٢، خزانة الأدب٧: ٢٠، وبلا نسبة في العروض٥٠، المعيار ٣٤، العقد٦: ٢٩٤، القسطاس٧٥، مفتاح العلوم١: ٥٣١،

وَضَـرْبُـهَـا الـثّـانِـيْ فَـجَـاءَ أَبْـتَـرَا ... شَـاهِـدُهُ فِـيْ رُبَّ نَـارٍ[1] يُـعْـتَـرَى

زِحَـافُـهُ خَـبْـنٌ وَكَـفٌّ شَـكْـلُ ... فِـي وَمَـتَـى[2] وَلَـنْ[3] لِـمَـنْ[4] لا نـكْـلُ

ثَـالِـثُـهَـا الَـبِـسْـيـط وهْـوَ فِـي الـبِـنَـا ... مُـسْـتَـفْـعِـلُـنْ وَفَـاْعِـلُـنْ مُـثَـمّـنَـا

لَـهُ أَعَـارِيْـضُ ثَلَاثَـةٌ وَلَـهْ ... سِـتَـةُ أَضْـرُبٍ أَتَـتْ مُـسْـتَـعْـمَـلَـةْ

عَـرُوْضُـهُ الأُوْلَـىٰ بِـضَـرْبَـيْـنِ أَتَـتْ ... فَـخَـبْـنُ أَوّلٍ كَـمِـثْـلِـهَـا بَـدَتْ

شَـاْهِـدُهُ يَـاْ حَـارِ[5] وَالـثّـانِـيْ قُـطِـعْ ... شَـاْهِـدُهُ قَـدْ أَشْـهَـدُ الـشّـعْـوَاءَ[6] سُـمِـعْ

ثَـانِـيْ عَـرُوْضٍ قَـدْ أَتَـتْ مَـجْـزُوَة ... ثَلَاثَـةٌ أَضْـرُبُـهَـا مَـتْـلُـوَةْ

فـاثْـنَـانِ بِـالْـجَـزْءِ قَـدِ اسْـتَـقَـرّا ... هَـذَا مُـذَيّـلٌ وَذَاْ مُـعَـرّى

وَثَـالِـثٌ مِـنْ بَـعْـدِ جَـزْءٍ قُـطِـعَـا ... إِنّـا[7] وَمَـا[8] لِـذَيْـنِ ذا سيـروا معـا[9]

---

(١) (رُبَّ نَارٍ بِتُّ أَرْمُقُهاْ تَقْضِمُ الْـهِنْدِيّ وَالْغَارَا) منسوب لعدي بن زيد في ديوانه١٠٠، الشعر والشعراء١: ٢٢٦، العقد٧: ٢٠، المعاني الكبير١: ٤٣٦، أمالي القالي١: ٦٠، وبلا نسبة في العروض٥١، المعيار٣٤، القسطاس٧٦، الحور العين٦٠، مفتاح العلوم١: ٥٣١.

(٢) (ومَتَى مَاْ يَعِ مِنْكَ كَلَامًا يَتَكَلَّمْ فَيُجِبْكَ بِعَقْلِ) العروض٥٢، الوافي٥١، المعيار٣٤، القسطاس٧٦

(٣) (لَنْ يَزَالَ قَوْمُنَا مُخْصِبِيْنَ صَالِحِيْنَ مَا اتَّقَوا وَاسْتَقَامُوا) الوافي٥٢، المعيار٣٥، القسطاس٧٧، العقد الفريد٦: ٣٢٦، مفتاح العلوم١: ٥٣٢

(٤) (لِمَنِ الدِّيارُ غَيَّرَهُنَّ كُلُّ جَونِ المُزْنِ داني الرَّبَابِ؟) العروض٥٢، الوافي٥٢، المعيار٣٥، القسطاس٧٧،

(٥) (يَا حَارِ لَا أُرْمِيَنْ منكُمْ بِدَاهِيَةٍ لَمْ يلْقَهَا سُوقَةٌ قَبْلِي ولا مَلِكُ) البيت لزهير، ديوان زهير، ٨٧، جمهرة الأمثال،١: ١١٦، الحماسة البصرية، ١: ٤٧، أمالي بن الشجري، ٢: ٣٠٢، خزانة الأدب، ٥: ٤٥٤، وبلا نسبة في العروض٥٣، الوافي٥٤، المعيار٣٧، القسطاس٧٩، الحور العين٦٠

(٦) (قَدْ أَشْهَدُ الغَارَةَ الشّعْوَاءَ تَحْمِلُنِي جَرْدَاءُ مَعرُوقَةُ اللّحيينِ سُرْحُوبُ) ديوان امرئ القيس٨١، خزانة الأدب، ٤: ٩٢، وبلا نسبة في العروض٥٤، الوافي٥٥، المعيار٣٧، عقد ٦: ٣٢٧، القسطاس٧٩.

(٧) (إنا ذممنا على ما خيّلتْ سعد بن زيد وعمرو من تميم) العروض٥٤، الوافي٥٦، المعيار٣٧، القسطاس٨٠، الحور العين٦١، مفتاح العلوم١: ٥٣٤

(٨) (مَاذا وقُوفِي عَلَى رَبْعٍ عَفَا مُخْلَوْلَقٍ دارِسٍ مُسْتَعجَمِ) ديوان المرقش الأكبر، ٦٦، لسان العرب،(خَلِقَ) ١٠: ٩٠، ومنسوب للأسود بن يعفر في ديوانه٦٢، وبلا نسبة في العروض٥٥،الوافي٥٧، المعيار٣٨، القسطاس٨١.

(٩) (سِيْرُوا مَعًا إِنَّمَا مِيْعَادُكُمْ يَوْمَ الثُّلاثَاءِ بطْنُ الوَادي) العروض٥٥، الوافي٥٧، المعيار٣٨، العقد٦: ٣٢٨، القسطاس٨١، مفتاح العلوم١: ٥٣٤

عَـــرُوْضُـــهُ الـثّـالـثـةُ الّـتِـيْ لَـهَـا ضَـــرْبٌ بِـقَـطْـعٍ بَـعْـدَ جَـزْءٍ مِـثْـلَـهَـا[٥٧/ب]

شَـاْهِـدُهُ مَـا هَـيّـجَ الـشّـوقَ[١] عُـرِفْ وَهْـــوَ مُـخَـلّـعُ الـبَـسِـيْـطِ مُـتّـصِـفْ

زِحَـــافُـــه خَـــبْـــنٌ وَطَـــيٌّ خَـبَـلُ لَـقَـدْ مَـضَـتْ[٢] وَزَعَـمُـوا[٣] فَـارْتَـحَـلُـوْا[٤]

خَـبْـنٌ وَتَـذْيِـيْـلٌ وَطَـــيٌّ ذُيِّلَا قَـدْ جَـاءَكُـمْ[٥] يَـا صـاحِ[٦] فِـيْـه اسْـتُـعْـمِلَا

خَـبْـلٌ وَتَـذْيِـيْـلٌ وَكَـبْـلٌ لَـهُـمَـا هـذا مـقـامـي[٧] ثُـمّ أَصْـبَـحْـتُ[٨] انْـتَـمَـى

رَابِـعُـهَـا الـوَافِـرُ قَـدْ تَـــرَدّدَا سِـتّـا مُـفَـاعَـلَـتُـنْ احْـفَـظْ عَـدَدَا

مَـبْـنَـاهُ فِـيْ دَائِـــرَةِ الـمُـؤْتَـلِـفْ مَـعْ بَـحْـرِ كَـامِـلٍ عَـلَـيْـهِ يَـأْتَـلِـفْ

لَـــهُ عَـــرُوضَـــانِ لَـهَـا يُـفـــرّعُ ثلاثُ أَضْـــرُبٍ كَـمَـا تَـنَـــوّعُ

أُوَلـــى الـعَـرُوضَـيْـنِ بِـقَـطْـفٍ عُـيِّـنَـا بِـفَـرْدِ ضَـــرْبٍ مِـثْـلِـهَـا لَـهُ لَـنَـا[٩]

---

(١) (ما هيَّجَ الشوقَ مِنْ أَطْلَال أضحَتْ قِفَارًا كوَحْيِ الوَاحي) العروض٥٦، الوافي٥٨، المعيار٣٨، القسطاس٨١، العقد٦: ٣٢٨، مفتاح العلوم، ١: ٥٣٥.

(٢) (لقد مضت حقب صروفها عجب وأحدثت غيرا وأعقبت دولا) العروض٥٧، الوافي٦٠، المعيار٣٩، العقد الفريد، ٦: ٣٢٧، القسطاس ٨٠،مفتاح العلوم، ١: ٥٣٥،

(٣) (وزعموا أنَّهُ لَقِيَهُمْ رَجُلٌ فَأَخَذُوا مَالَهُ وَضَرَبُوا عُنُقَهْ) العروض٥٧، الوافي٦١،المعيار٣٩، القسطاس٨٠، مفتاح العلوم، ١: ٥٣٥

(٤) (ارتَحَلُوا غُدْوَةً فانْطَلَقُوا بُكْرَا فِيْ زُمَرٍ مِنْهُمْ يَتْبَعُهَا زُمَرُ) العروض٥٧، الوافي٦٠، المعيار٣٩، العقد الفريد٦: ٣٢٧، القسطاس٨٠، العقد الفريد٦: ٣٢٧

(٥) (قَدْ جَاءَكُمْ أَنَّكُمْ يَوْمًا إِذَا مَا ذُقْتُمُ المَوْتَ سَوْف تُبْعَثُوْن) العقد الفريد٦: ٣٢٨، القسطاس، ٨٣، مفتاح العلوم، ١: ٥٣٥

(٦) (يا صاحِ قد أخلفَتْ أسماءُ ما كانتْ تُمنّيكَ مِن حُسنِ وِصالْ) الوافي ٦٢، العقد٦: ٢٩٦، القسطاس٨٣، مفتاح العلوم١: ٥٣٦.

(٧) (هَذَا مَقَامِيْ قَرِيْبًا مِنْ أَخِي كُلُّ امرِئٍ قَائِمٌ مَعْ أَخِيْهِ) القسطاس ٨٣، الوافي٦٢، مفتاح العلوم، ١: ٥٣٦

(٨) (أصبحتُ والشَّيبُ قد عَلانِـي يَدعُو حَثِيثًا، إلى الخِضـابِ) لمطيع بن إياس في حماسة البحتري٣٨٣، وصدره (وأصبح الشيب قد علاني..) وبلا نسبة في الوافي٦٣، العقد الفريد٦: ٢٩٨، القسطاس٨٣، الوافي بحل الكافي١٢٢

(٩) (لنا غَنَمٌ نُسوْقُها غِزارٌ كأنَّ قُرُونَ جلتَّها العِصِيُّ) ديوان امرئ القيس ١٣٦، وصدره (ألا إن لا تكن إبلٌ فمعزى)، الحيوان ٥: ٤٩٥، لسان العرب، ١٠: ١٦٦، العقد الفريد٧: ٢٦٤، محاضرات الأدباء ٢: ٢٩٩، وبلا نسبة في

عَـــرُوْضُـــهُ الأُخْـــرَى لَـــهَـــا ضَـــرْبَـــانِ كَـمِـثْـلِـهَـا سَـيّـانِ مَـــجْـــزُوّانِ[٥٨/أ]

لأوّلٍ لـــقـــدْ[١] وثـــانٍ عُـصِـبَـا شَـــاْهِـــدُهُ عَـجِـبْـتُ[٢] جَـــاءَ عَـجَـبَـا

زِحَـــافُـــهُ عَـــضْـــبٌ وَعَـــقْـــلٌ نَـقْـصُ عَـــضْـــبٌ وَقَـــصْـــمُ جَـــمٌّ وَعَـــقْـــصُ

شَـــاهِـــدُهَـــا إِذَا[٣] مـــنـــازِلٌ[٤] أَتَـــىْ كَـــذَاْ لِـــسَلاّمـــةَ[٥] إِنْ حَـــلّ الـشّـتَـا[٦]

مِـــنْ قَـبْـلِ مَـا قَـالُـوا[٧] وَأَنْـــتَ خَـيْـرُ[٨] وَبَـــعْـــدَهُ لَـــوْلاَ[٩] وَلَـــيْـــسَ غَـيْـرُ

والـــخَـــامِـــسُ الـــكَـــامِـــلُ أَتَـــىْ كَـــمَلاَ مِـــنْ مُـتَـفَـاعِـلُـنْ ثَلاَثًـــا شَـــمِلاَ

مِـــنَ الأَعَـــارِيْـــضِ وَتِـــسْـــعَ أَضْـــرُبٍ أَوّلُـــهَـــا تَـــمّ وَلَـــمْ يَـضْـطَـرِبِ

أَضْـــرُبُـــهُ ثَلاَثَـــةٌ فَـــالأَوّلُ كَـمِـثْـلِـهَـاْ فِـــيْ وَإِذَا[١٠] يُـعَـدّلُ

الوافي٦٩، المعيار٤٢، القسطاس٨٤

(١) (لقد علمت ربيعة أنَّ حبلَكِ وَاهِنٌ خَلِقُ) القسطاس٨٥، العقد الفريد٦: ٣٢٩، مفتاح العلوم١: ٥٣٧

(٢) (عجبتُ لِمَعْشَرٍ عَدَلُوا بِمُعْتَمَرٍ أَبَا بِشْرِ) العروض٥٩، المعيار٤٢، العقد٦: ٣٢٩، القسطاس٨٧

(٣) (إذا لم تَستطِعْ شَيئًا فَدَعْهُ وجاوِزْهُ، إلى ما تَستطيعُ) منسوب لعمرو بن معدي كرب ديوانه١٤٤، الشعر والشعراء١: ٣٦٢، الصناعتين ٣٨٧، قواعد الشعر٧٥، جمهرة الأمثال١: ١١٧، الأصمعيات ١٧٥، خزانة الأدب١١: ١١٩ التذكرة الحمدونية١: ٢٧٨، وبلا نسبة في العروض٦٠، الوافي ٧٣، المعيار٤٣، القسطاس٨٥، العقد٦: ٣٢٩.

(٤) (مَنازلٌ، لِفَرْتَنَي، قِفارٌ كأنَّما رُسُومُها سُطُورُ) العروض٦٠، الوافي٧٤، المعيار٤٣، العقد٦: ٣٢٩، القسطاس٥٨.

(٥) (لسَلاَّمةَ دارٌ، بِحَفيرٍ كباقي الخَلَقِ السَّحْقِ قِفارُ) العروض٦١ الوافي ٧٤، المعيار٤٣،القسطاس٨٥، مفتاح العلوم، ١: ٥٣.

(٦) (إنْ نَزَلَ الشّتاءُ بدارِ قَومٍ تَجَنَّبَ جارَ بَيتِهِمُ الشّتاءُ) للحطيئة في ديوانه٣٤، لسان العرب، ١: ٦٠٩، المخصص، ٥: ٢٣، الصناعتين، ٣٨٧، خزانة الأدب، ٧: ٣٨٣، الدر الفريد، ٥: ٦٨ ويروى أيضا: إذا نزل الشتاء، وبلا نسبة في العروض٦١، الوافي٧٥، المعيار٤٣، القسطاس٨٥، البارع١٢٥

(٧) (مَا قَالُوا لَنَا سَدَدًا وَلَكِنْ تَفَاحَشَ أَمْرُهُمْ وَأَتَوْا بِهَجْرِ) الوافي٧٦، المعيار٤٣، القسطاس٨٦، مفتاح العلوم١: ٥٣٨

(٨) (أنتَ خيرُ من رَكِبَ المَطَايَا وَأَكْرَمَهُمْ أَبًا وَأَخًا وعمًّا) العروض٦٢، الوافي٧٧، المعيار٤٤، القسطاس٨٦،مفتاح العلوم ١: ٥٣٨، وفيها (أمًّا) بدل (عمًّا)

(٩) (لَوْلاَ مَلِكٌ رَؤُوفٌ رَحِيْمٌ تَدَارَكَنِيْ بِرَحْمَتِهِ هَلَكْتُ) العروض٦١، المعيار٤٤، القسطاس٨٦،مفتاح العلوم١: ٥٣٨

(١٠)(وإذَا صَحَوتُ فَما أُقَصِّرُ عنْ نَدَىً وكَما عَلمتِ شَمائِلي وتَكَرُّمي) ديوان عنترة٢٠٧، جمهرة أشعار العرب٣٦٣، الشعر والشعراء١: ٢٤٦، الوساطة ٢٩٦، جمهرة الأمثال٢: ١٢٨، العقد الفريد،٦: ٢٠٦، المعيار٤٦

ثَـانِـيْـهِـمَـا بِـقَـطْـعِـهِ فِـيْ وَإِذَا[1] وَثَـالِـثٌ فِـيْ لِـمَـنْ[2] اضْـمِـرْ وَاحْـذُذَاْ

ثَـانِـيْ عَـرُوْضَـيْـهِ هِـيَ الـحَـذَّاءُ ضَـرْبَـانِ مِـثْـلُـهَـا لَـهَـا سَـوَاءُ[٥٨/ب]

لَـكِـنْ لِـثَـانٍ لَـزِمَ الإِضْـمَـارُ فَـأَوّلٌ فِـيْ دِمَـنٍ[3] يُـخْـتَـارُ

فِـيْ ولأنـت[4] مُـضْـمَـرٌ ثَـانٍ وَقَـعْ وَبَـعْـدَهُ الـعَـرُوْضُ فِـي الـذِّكْـرِ تَـبَـعْ

أَعْـنِـي بِـهَـا الـثَّـالِـثَـةَ الـمَـجْـزُوْهْ أَرْبَـعَـةٌ أَضْـرُبُـهَـا مَـتْـلُـوّهْ

أوّلُـهَـا مُـرَفَّـلٌ فِـيْ وَلَـقَـدْ[5] بِـجَـدَثٍ[6] ثَـأْنٍ مُـذَيّلا وَرَدْ

وثَـالِـثٌ فَـهُـوَ مُـعَـرّى مِـثْـلُـهَـا فِـيْ وَإِذَا[7] كَـمِـثْـلِـهِ مَـحَـلُّـهَـا

وَرَابِـعٌ مِـنْ بَـعْـدِ جَـزْءٍ قُـطِـعَـا شَـاهِـدُهُ فِـيْ وَإِذَا[8] قَـدْ سُـمِـعَـا

فَـالـزَّحْـفُ إِضْـمَـارٌ وَوَقْـص خَـزَلُ لَـكِـنَّـهَـا قَـد رفّـلُـوا أو ذيّـلُـوا

---

(١) (وإذا دَعَونَك عَمَّهنَّ فإنَّهُ نَسَبٌ، يَزيدُكَ عندَهنَّ خَبالا) شعر الأخطل، ٨٥، الشعر والشعراء١: ٤٨٦، الوافي٧٩، نفح الطيب١: ٢٥٠، الدر الفريد،١٠: ٥٣، وبلا نسبة في العروض٦٤، المعيار٤٦، القسطاس٨٨، العقد٦: ٣٣٠، مفتاح العلوم١: ٥٣٩

(٢) (لَمنِ الدّيارُ برامتَيْنِ فعاقلٍ دَرسَت وغَيَّر آيَها القَطرُ؟) العروض٦٤، الوافي٨٠، المعيار٤٦، القسطاس٨٨، العقد الفريد، ٦: ٣٠١، الحور العين٦٢، مفتاح العلوم١: ٥٣٩

(٣) (دِمَنٌ عَفت ومَحا معالَمها هَطِلٌ أجَشُ وبارِح تَرِب) الوافي٨١، العروض٦٥، العقد الفريد، ٦: ٣٠٢

(٤) (ولأنت أشجع من أسامة إذ دُعِيَتْ نِزالِ وَلَجّ فِي الذُّعْرِ) شعر زهير٧٨، ويروى صدره (ولنعمَ حشو الدّرع أنت إذا..) منسوب لزهير في الشعر والشعراء١: ١٣٩، شرح كتاب سيبويه، ١: ٦٣، وللمسيب بن علس في البيان والتبيين ١: ١٦٧، وعيار الشعر٣٥، وبلا نسبة في القسطاس، ٨٩، العقد الفريد، ٦: ٣٣١، المعيار٤٧

(٥) (ولقد سبقتهم إليَ فَلَمْ نَزَعْتَ وَأَنْتَ آخِرْ) ديوان الحطيئة٩٢، وبلا نسبة في الوافي٨٣، العروض٦٦، العقد الفريد٦: ٣٣١،المعيار٤٧، القسطاس٩٢، مفتاح العلوم١: ٥٤٠

(٦) (جَدَثٌ يَكُونُ مَقَامُهُ. أَبَدًا بِمُخْتَلِفِ الرِّيَاحْ) الوافي ٨٣، العقد الفريد٦: ، ٦: ٣٣١، المعيار٤٧، القسطاس ٩٢،

(٧) (وإذا افتقرت فَلَا تَكُنْ مَتَخشعا وتجمَّلِ) المعيار٤٧، العقد الفريد ٦: ٣٠٣، القسطاس ٩٢،الحور العين، ٦٣

(٨) (وإذا هم ذكروا الإساءة أكثروا الحسنات)المعيار٤٨، العقد الفريد٦: ٣٠٤، القسطاس٩٢، مفتاح العلوم١: ٥٤٠

إنّـــي امـــرؤ[1] يـــذبٌ[2] عـن وَمَـنْـزِلَـهْ[3] غَـــرَرْتَـــنِـــيْ[4] قُـــلْ ولـــقـــدْ[5] يَـشْـهَـدُ لَـهْ

وَصَـــفَـــحُـــوا[6] قُـــلْ وَإِذَا[7] وَكُـتِـبَـا[8] جَـادَ أَجِـــبْ[9] شَـاْهِـدُهَـا قَـدْ وَجَـبَـا[٥٩/أ]

وَجَـــــوّزُوا الإِضْـــمَـــارَ والـقـطـعَ مَـعـا وَبَـــعْـــدَ جَـــزْءٍ ذَانِ أيـضًـا جُـمـعـا

فِـــيْ وَإِذَا افْـــتَـــقَـــرْتَ[10] جَـاْ شَـاْهِـدٌ كَـــذَا أَبُـــو الـحُـلَـيْـسِ[11] لا يُـعَـانِـدُ

الـــسّـــادِسُ الـــهَـــزجُ سِـــتّـــةً أَتَـــتْ أَجْـــزَاؤُه وَأَرْبَـــعـــاَ قَـــدْ جُـــزِّئَـــتْ

وَهْـــيَ مَـفَـاعِـيْـلُـنْ بِـــدَوْرِ الـمُـجْـتَـلَـبْ مَـــعْ رَجَـــزٍ وَرَمَـــلٍ لِـــمَـــنْ طَـلَـبْ

لَـــهُ عَـــرُوْضَـــانِ وَلَـــهَـــا ضَـــرْبَـــانِ لا غَـــيْـــرُ مِـــثْـــلُـــهَـــا فَـــمَـــجْـــزُوّانِ

وأوّلُ الـضّـرْبَـيْـنِ مِـثْـلَـهَـا سَـلِـمْ مِـــنْ عِـــلّـــةٍ شَـــاهِـــدُهُ عَـــفَـــا[12] عُـلِـمْ

---

(١) (إنّي امرؤٌ مِنْ خَيْرِ عَبْسٍ مَنصِبًا شَطْرِيْ وَأَحْمِيْ سَائِرِي بِالمُنْصِلِ) ديوان عنترة٢٤٨، الشعر والشعراء١: ٢٤٦، عيار الشعر٨٧، خزانة الأدب٢: ٣٧٤، التذكرة الحمدونية٣: ٤٠٤، وبلا نسبة في العروض٦٩، القسطاس٩١، الوافي٨٧، العقد٦: ٣٣٠، مفتاح العلوم١: ٥٤٠

(٢) (يذب عن حريمه بسيفه ورمحه ونبله ويحتمي) العروض ٦٩، الوافي٨٨، المعيار٤٨، القسطاس ٩١،

(٣) (مَنْزِلَةٌ صُمَّ صَدَاهَا وعفت أرسمُهَا إن سئلت لم تجبِ) العروض٧٠، الوافي٨٨، المعيار٤٨، القسطاس٩١،

(٤) (وغررتني وَزَعمْتَ أنَّك لابنٌ في الصَّيف تامِرْ) ديوان الحطيئة٩١، الخصائص٣: ٢٨٥،المزهر٢: ٣٠٤، نفح الطيب٥: ٢٢٠، وبلا نسبة في القسطاس٩٤، الوافي٨٩، العقد٦: ٣٠٢، مفتاح العلوم١: ٥٤١

(٥) (وَلَقَدْ شَهِدْتُ وَفَاتَهُمْ وَنَقَلْتُهُم إِلَى المَقَابِرْ) القسطاس٨٩، الوافي٨٩، مفتاح العلوم ١: ٥٤١،

(٦) (صَفَحُوْا عَنِ ابْنِكَ إنّ في ابْ (م) نكَ حِدَّةً حِيْن يُكَلَّمْ) القسطاس٩٤، الوافي٩٠، العيون الغامزة١٧٥

(٧) (وإذا افتقرتَ إِلَى الذَّخَائِرِ لَمْ تَجِدْ ذُخْرًا يَكُوْنُ كَصَالِحِ الأَعْمَالِ منسوب للأخطل في التذكرة الحمدونية١: ٢٠٧، والدر الفريد١: ٢٥، والحماسة المغربية٢: ١٢٣٥، والتمثيل والمحاضرة٧١، وبلا نسبة في العقد٦: ٣٣٠،

(٨) (كُتِبَ الشَّقَاءُ عَلَيْهِمَا فَهُمَا لَهُ مُيَسَّرَان) القسطاس٩٣، الوافي٩١، العقد٦: ٣٣١، مفتاح العلوم١: ٥٤١، العيون الغامزة١٧٥

(٩) (وأجبْ أخاك إذا دعاكَ مُعَالِنًا غَيْرَ مُخَافْ) الوافي٩٢، القسطاس٩٣، العيون الغامزة١٧٦

(١٠)(وإذا افتقرتُ أَوِ ابْتَأَسْـ (م) تُ حَمَدْتُ رَبَّ العَالَمِيْنْ) القسطاس٩٤، الوافي٩٠، العيون الغامزة١٧٥

(١١)(وَأَبُو الحُلَيْسِ وَرَبِّ مَكّةَ فَارِغٌ مَشْغُوْلُ) الوافي٩٢، القسطاس٩٣، العقد٦: ٣٣٢، مفتاح العلوم١: ٥٤٣

(١٢)(عَفا مِن آلِ لَيلى السَهـ (م) بُ فَالأَمْلاحُ فَالغَمرُ) لطرفة في ديوانه شرح الأعلم١٥٦، وقيل للخرنق في ديوانها٦٢، وبلا نسبة في كتاب العروض٧١، والوافي٩٧، وشرح كتاب سيبويه٥: ٤٢، المعيار٥٤، العيون الغامزة١٧٨

وَضَـرْبُـهَـا الـثّـانِـيْ بِـحَـذْفٍ لَـزِمَـا ... شَـاهِـدُهُ لِـمَـنْ يَـرُوْمُـهُ وَمَـا[1]

زِحَـافُـهُ قَـبْـضٌ وَكَـفٌّ خَـرْمُ ... وخَـرَبٌ وَشَـتَـرُ مـتـمُ

فَـقُـلْـتُ[2] لِـلْـقَـبْـضِ فَـهَـذَانِ[3] لِـكَـفّ ... أدُّوا[4] لِـخَـرْمٍ لَـوْ[5] لِـخَـرْبٍ اتّـصَـفْ[٥٩/ب]

والـشّـتَـرُ الـخَـامِـسُ جَـازَ شَـاهِـدا ... قَـدْ جَـاءَ فِـي الّـذِيْـنَ مَـاتُـوا[6] وارِدَا

والـسّـابِـعُ الـرّجَـزُ سِـتّـةً حَـصَـرْ ... مُـسْـتَـفْـعِـلُـنْ أَجْـزَاؤُهُ لَـمْ يُـخْـتَـصَـرْ

لَـهُ أَعَـارِيْـضُ عَـلَـيْـهِ أَرْبَـعَـةْ ... بِـخَـمْـسَـةٍ مِـنَ الـضُّـرُوْبِ مُـتّـبـعَـهْ

أُوْلَـى الأَعَـارِيْـضِ لِـضَـرْبَـيْـنِ حَـوَتْ ... تَـامٌ شَـبِـيْـهُـهَـا وَمَـقْـطُـوعٌ ثَـبَـتْ

دَارٌ لِـسَـلْـمَـى[7] شَـاهِـدُ الـتّـمَـامِ ... والـقَـلْـبُ[8] شَـاْهِـدٌ لِـقَـطْـعٍ نَـاْمِ

ثَـانِـيْـهِ بِـضَـرْبِـهَـا جَـزْءٌ كَـمَـا ... قَـدْ جُـزِئَـتْ قَـدْ هَـاجَ قَـلْـبِـيْ[9] لِـمَـا

---

(١) (وما ظَهري، لباغي الضَّيْـ [٥] مِ، بالظَّهر، الذَّلْولِ) منسوب لابن عبد ربه في ديوانه١٤٤، وبلا نسبة، العقد الفريد٦: ٣٠٥، الوافي٩٨، المعيار٥٤، القسطاس٩٥، العروض٧٢، العيون الغامزة١٧٨

(٢) (فقلتُ لا تَخَفْ شيئًا فما عليكَ من بأسِ) العروض٧٣، الوافي٩٩، المعيار٥٥، القسطاس٩٥، مفتاح العلوم١: ٥٤٢

(٣) (فهذانِ يَذُودانِ وذا مِن كَثَبٍ يَرْمِي) لابن الزبعرى، ديوانه ٤٨، طبقات فحول الشعراء١: ٢٤٠، ، العقد الفريد٦: ١٠٧، واللامع العزيزي٩٧، وبلا نسبة في العروض٩٩، المعيار٥٥، القسطاس٩٦، مفتاح العلوم١: ٥٤٢، العيون الغامزة١٧٨

(٤) (أدوا ما استعاروهُ كَذَاكَ العَيْشُ عاريّهْ) العروض٧٣، الوافي١٠٠، العقد٦: ٣٣٢، المعيار٥٥، القسطاس٩٦، العيون الغامزة١٧٨

(٥) (لو كان أبو بِشْرٍ أميرا ما رضيناه) العروض٧٣، الوافي١٠٠، العقد٦: ٣٣٣، المعيار٥٥، القسطاس٩٧، العيون الغامزة١٧٩وفي الوافي (أبو موسى) بدل (أبو بشر)

(٦) (في الذين قد ماتوا وفيما خلفوا عبره) الوافي١٠١، العقد٦: ٣٣٣، المعيار٥٥، القسطاس٩٧، العيون الغامزة١٧٩

(٧) (دارٌ لِسَلْمَى إِذْ سُلَيْمَى جَارةٌ قَفْرٌ تَرَى آياتِهَا مِثْلَ الزبر) العقد الفريد٦: ٣٠٦، الحور العين ٦٤، مفتاح العلوم١: ٥٤٣، القسطاس٩٨

(٨) (القلبُ مِنْهَا مُسْتَرِيْحٌ سَالِمٌ والقَلْبُ مِنِّي جَاهِدٌ مَجْهُوْدُ) العقد الفريد٦: ٣٠٦، العمدة ١: ١٨٢، المعيار٥٧، مفتاح العلوم١: ٥٤٤، القسطاس ٩٩، اللامع العزيزي ٥٨٢.

(٩) (قد هاج قلبي منزلٌ من أم عمروٍ مقفرُ) العمدة ١: ١٨٣، العقد الفريد ٦: ٣٣٤، المعيار٥٧، الحور العين٦٤،

يَـتْـلُـوْهُـمَـا ثَـالِـثَـةٌ مَـشْـطُـوْرَةْ مَـا هَـاجَ أَحْـزَانًـا[1] بِـهِ مَـسْـطُـوْرَةْ

وَبَـعْـدَهَـا رَابِـعَـةٌ مَـنْـهُـوْكَـةْ فِـيْ قَـوْلِـهِـمْ يَـا لَـيْـتَـنِـيْ[2] مَـسْـبُـوْكَـةْ

والـشَّـطْـرُ والـنَّـهْـكُ فَـفِـيْـهِـمَـا اخْـتُـلِـفْ لِـكُـلِّ وَاحِـدٍ مَـقَـالٌ قَـدْ عُـرِفْ[٦٠/أ]

أَحْـسَـنُـهَـا عَـرُوْضُـهُ ضَـرْبٌ لَـهُ فِـي الـشَّـطْـرِ والـنَّـهْـكِ فَـقِـسْـهُ مِـثْـلَـهُ[3]

ثـمّ الـزِّحَـافُ خَـبـن طـيّ خَـبْـلُ خَـبْـنٌ وَقَـطْـعٌ لَـهَـا اسْـمُ كَـبْـلُ

وَطَـالَـمَـا[4] مَـا وَلَـدَتْ[5] وَثِـقْـلُ[6] لا خَـيْـرَ[7] كُـلٌّ شَـاْهِـدٌ مُـسْـتَـعْـمَـلُ

وَثَـامِـنُ الـبُـحُـوْرِ فَـهْـوَ الـرَّمَـلُ مِـنْ فَـاعِلَاتُـنْ سِـتَّـةً يُـكَـمِّـلُ

القسطاس٩٩، منسوب لعمر بن أبي ربيعة في اللامع العزيزي ٥٨٢، وروايته في ديوان عمر(قد هاج قلبي محضر أقوى وربع مقفرُ) ١٦١

(١) (ما هاج أحزانا وشجوا قد شجا) ديوان العجاج ٣٢١، الحور العين، ٦٤، ارتشاف الضرب،٥: ٢٣٩٨، القسطاس، ١٠٠، العقد الفريد٦: ٣٣٤

(٢) (يا ليتني فِيْهَا جَذَعْ) ديوان دريد بن الصمة، ١٢٨، الشعر والشعراء،٢: ٧٣٨، العقد الفريد، ١: ١٢٠، العمدة، ١: ١٨٤، وبلا نسبة في الوافي١٠٥، العروض٧٦، المعيار٥٨، القسطاس١٠١.

(٣) يقصد أنّه وقع خلاف في ضرب المشطور والمنهوك على أقوال أحسنها أن العروض نفسها هي الضرب، قال القيصري: "فِيْ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا وجوهٌ، أَمَّا فِيْ المشْطُوْرِ، فَقِيْلَ: عَرُوْضُهُ وَضَرْبُهُ شَيءٌ وَاحِدٌ، وَهُوَ الجُزْءُ الأَخِيْرُ وهُوَ الأَصَحُّ، وَقِيْلَ: عَرُوْضُهُ الجُزْءُ الأَخِيْرُ، وَلَا ضَرْبَ لَهُ، وقِيْلَ: بِالْعَكْسِ، وقِيْلَ: عَرُوْضُهُ الجُزْءُ الأَوَّلُ، وَضَرْبُهُ الجزْءُ الثَّانِيْ، والجُزْءُ الثَّالِثُ زِيَادَةٌ كَالإِذَالَةِ وَالتَّرْفِيْلِ، وقيل: عروضُهُ الجُزْءُ الثَّانِيْ؛ لِأَنَّهَا لمَّا استحقَّتْ نِصْفَ هَذا الجُزْءِ، وَلَا نِصْفَ لَهُ صَحِيْحٌ، اسْتَحَقَّتْهُ بِكَمَالِهِ،.. وَضَرْبُهُ الجُزْءُ الأَخِيْرُ. وأَمَّا فِيْ المنْهُوكِ، فقِيْلَ: فِيْهِ الأَوْجُهُ الثَّلَاثَةُ الأُوْلَى، وقِيْلَ: عَرُوْضُهُ الجُزْءُ الأَوَّلُ، وَضَرْبُهُ الجُزْءُ الثَّانِي سَوَاْء كَانَ مَنْهُوْكَ الرَّجَزِ أو منهوكَ المنْسَرِحِ وقِيلَ: مَنْهُوْكُ الرَّجَزِ كذَلِكَ، دُوْنَ مَنْهُوكِ المنْسَرِحِ لاخْتِلَافِ أَجْزَائِهِ." بيان مشكلات المختصر١١٧.

(٤) (فطالما وطالما وطالما كُفَّ بِكفِّ خالدٍ مَخُوفُها) المعيار٥٩، البارع ١٥٤، العيون الغامزة، ١٨٤،وعجزه في الوافي١٠٦، والقسطاس٩٩، والعقد٦: ٣٣٣ (سقي بكفِّ خالدٍ وأطعما)

(٥) (مَا وَلَدَتْ وَالِدَةٌ مِنْ وَلَدِ أكْرَمَ مِنْ عَبْدِ مَنَافٍ حَسَبَا) العقد الفريد٦: ٣٣٣، القسطاس٩٩، المعيار٥٨، مفتاح العلوم١: ٥٤٥، الدر الفريد ٩: ٢١٧

(٦) (وَثِقَلٍ مَنَعَ خَيْرَ طَلَبٍ وَعَجَلٍ سَبَقَ خَيْرَ تُؤَدَهْ) الوافي١٠٧، المعيار٥٩، القسطاس ٩٩، مفتاح العلوم ١: ٥٤٥

(٧) (لا خَير فيْمَنْ كَفَّ عَنَّا شَرّه إن كان لا يُرجى ليوم خَيرِ) الوافي١٠٧، العقد الفريد ٦: ٣٣٤، مفتاح العلوم١: ٥٤٥، وفيهما (خيره) العيون الغامزة ١٨٥

لَـــهُ عَـــرُوْضَـــانِ وَسِـــتُّ أَضْـــرُبٍ ... أُوْلَـــى الـعَـرُوْضَـيْـنِ بِـحَـذْفٍ مُـوْجَـبِ

لَـهَـا ثَلَاثٌ مِـنْ ضُـرُوْبٍ تُـذْكَـرُ ... أَوَّلُـهَـا تَـامٌّ وَثَـانٍ يُـقْـصَـرُ

لِأَوَّلٍ مِـثْـلُ[1] لِـثَـانٍ أَبْـلِـغْ[2] ... وَثَـالِـثٌ بِـالـحَـذْفِ قَـالَـتْ[3] تَـبْـتَـغِـيْ

ثَـانِـي عَـرُوْضٍ جُـزِّئَـتْ أَضْـرُبُـهَـا ... كَـمِـثْـلِـهَـا ثَلَاثَـةٌ تَـطْـلُـبُـهَـا

أَوَّلُـهَـا مُـسَـبَّـغٌ وَالـثَّـانِـي ... جَـاءَ مُـعَـرًّى سَـالِـمَ الـمَـبَـانِـيْ[٦٠/ب]

فِـيْ يَـا خَـلِـيْـلَـيّ[4] وَمُـقْـفِـرَاتٍ[5] ... وَثَـالِـثٌ بِـالْـحَـذْفِ فِـيْ مَـا[6] آتِ

زِحَـافُـهُ خَـبْـنٌ وَكَـفٌّ شَـكْـلُ ... خَـبْـنٌ وَتَـسْـبِـيْـغٌ مَـعًـا يَـحُـلُّ

فِـيْ وَإِذَا[7] وَلَـيْـسَ[8] إِنَّ سَـعْـدًا[9] ... وَوَاضِـحَـاتٌ[10] بَـعْـدَ جَـزْءٍ عُـدَّا

بَـحْـرُ الـسَّـرِيْـعِ تَـاْسِـعُ الـبُـحُـوْرِ ... سِـتَّـةُ أَجْـزَاءٍ عَـلَـى الـتَّـحْـرِيْـرِ

---

(١) (مثل سَحق البُرد عَفَّى بعدك الـ [م] قطر مَغْناه وتأويبُ الشَّمال) لعبيد بن الأبرص في ديوانه٩٩، والشعر والشعراء١: ٢٢٣، وسر صناعة الإعراب١: ١٥، والعقد الفريد٦: ١١٠، وخزانة الأدب٨: ٥١٣، والحور العين٧٧، وبلا نسبة في المعيار ٦٠، القسطاس١٠٤، الوافي١٠٩، العروض٧٨، مفتاح العلوم١: ٥٤٦

(٢) (أبلغ النعمان عني مأْلُكًا أنَّهُ قَدْ طَالَ حَبْسِيْ وانْتِظَارْ) ديوان عديّ بن زيد٩٣، وبلا نسبة في المعيار ٦٠، القسطاس١٠٣، الوافي١١٠، العروض٧٨

(٣) (قالت الخَنساءُ لمّا جِئتُها شابَ بعدي رأسُ هذا واشتهبْ) لامرئ القيس في ديوانه ٤٨، وبلا نسبة في العروض٧٩، المعيار ٦٠، الوافي١١١، القسطاس١٠٤، العقد الفريد٦: ٣٠٩، الحور العين٦٥.

(٤) (يَا خليلي اربعا واستخبرا ربعا بعسفان) الوافي١١٢،المعيار ٦١، القسطاس١٠٥، العروض٨٠، مفتاح العلوم١: ٥٤٦

(٥) (مُقْفِرَاتٌ دَارِسَاتٌ مِثْل آيَاتِ الزَّبُورِ) العروض٨٠، الوافي١١٣، المعيار ٦١، القسطاس١٠٦، ، وفيه (دارساتٌ موحشاتٌ) البارع١٥٩، العقد الفريد٦: ٣١٠، مفتاح العلوم١: ٥٤٧، خزانة الأدب١: ٤١٩، العيون الغامزة١٩٢

(٦) (ما لما قرت به العيـ (م) ـنان من هذا ثمن) العروض٨٠،المعيار ٦١، الوافي١١٤، القسطاس١٠٦، البارع١٦٠

(٧) (وإذا رَايةُ مَجْدٍ رفعت نهضَ الصَّلْتُ إِلَيْهَا فَحَوَاهَا) العروض٨١، المعيار ٦١، العقد الفريد٦: ٣٣٥،القسطاس١٠٤، الوافي١١٥

(٨) (ليس كلُّ مَنْ أَرَادَ حَاجَةً ثُمَّ جَدَّ فِيْ طِلَابِهَا قَضَاهَا)القسطاس١٠٥، الوافي١١٥، العروض٨٢، العقد الفريد٦: ٣٣٥، البارع١٦١، مفتاح العلوم١: ٥٤٨

(٩) (إنّ سعدا بطلٌ ممارسٌ صابرٌ محتسبٌ لما أصابه) القسطاس ١٠٥، العقد الفريد٦: ٣٣٦، الوافي ١١٦، مفتاح العلوم١: ٥٤٨

(١٠)(واضحات فارسيًّا تٌ وَأدْمٌ عَرَبِيَّاتْ) الوافي١١٧، القسطاس١٠٦، العروض٨٢، العيون الغامزة١٩٣

مُسْتَفْعِلُنْ وَتِلْوُهُ مُسْتَفْعِلْ ... يَتْلُوْهُ مَفْعُوْلَاتُ لَا يَنْفَصِلْ

مَبْنَاهُ فِيْ دَائِرَةِ المُشْتَبِهِ ... مِنْهُ إِلَى المُجْتَثِّ سِتٌّ تَنْتَهِيْ

لَهُ أَعَارِيْضُ تُعَدُّ أَرْبَعُ ... وَسِتَّةٌ أَضْرُبُهُ تَجْتَمِعُ

أُوْلَاهُمُ مَكْشُوْفَةٌ مَطْوِيَّةْ ... لَهَا ثَلَاثُ[1] أَضْرُبٍ مَرْوِيَّةْ

أَوَّلُهَا بِالطَّيِّ وَالوَقْفِ وَقَعْ ... وَتِلْوُهُ بِالطَّيِّ، وَالكَشْفُ تَبَعْ[٦١/أ]

أَزْمَانُ[2] هَاجَ[3] لَهَا قَدْ شَهِدَا ... وَثَالِثٌ بِالصَّلْمِ فِيْ قَالَتْ[4] بَدَا

ثَانِي العَرُوْضِ الخَبْلُ وَالكَشْفُ لَهَا ... أَوَّلُ ضَرْبَيْهَا أَتَانَا مِثْلَهَا

شَاهِدُهُ فِي النَّشْرِ[5] وَالثَّانِيْ ظَهَرْ ... أَصْلَمَ فِيْ يَا أَيُّهَا[6] قَدِ اشْتَهَرْ

عَرُوْضُهُ الثَّالِثَةُ المَشْطُوْرَةْ ... بِالوَقْفِ، وَالضَّرْبُ حَكَاهَا صُوْرَةْ

وَجَاءَ بِالوَقْفِ كَمِثْلِهَا بِلَا ... طَيٍّ، وَيَنْضَحْنَ[7] لَهُ بَيْتٌ خَلَا

وَبَعْدَهَا رَابِعَةٌ مَكْشُوْفَةْ ... مَشْطُوْرَةٌ عَنْ طَيِّهَا مَصْرُوْفَةْ

(١) حق العدد التأنيث ليخالف المعدود هنا ولكن تذكيره جاء لضرورة إقامة الوزن

(٢) (أزمان سَلمى لا يَرَى مِثلَها الـ[م] رّاؤونَ في شامٍ ولا في عِراقْ) الوافي١٣٦، المعيار٦٣، القسطاس ١٠٧، العروض٨٣، العقد الفريد٦: ٣٣٧، القوافي ١٥٦

(٣) (هَاجَ الهَوَى رَسمٌ بذاتِ الغضَى مُخَلولِقٌ، مُستَعجِمٌ محولُ) الوافي١٢٧، المعيار ٦٤، القسطاس١٠٨، العروض٨٤، العقد الفريد٦: ٣١٢، الحور العين٦٦. البارع١٦٦، العيون الغامزة١٩٦

(٤) (قالتْ ولم تَقصِدْ لِقيل الخنا مَهلا فقد أبلَغتَ أسماعي) الوافي١٢٧، المعيار ٦٤، القسطاس١٠٨، العروض٨٤، البارع ١٦٧، العيون الغامزة١٩٦

(٥) (النَّشْرُ مِسْكٌ وَالوُجُوهُ دَنَا [م] نيرٌ وَأَطْرَافُ الأَكُفِّ عَنَمْ) منسوب للمرقش الأكبر في الشعر والشعراء ١: ٢٠٨، ديوان المرقش ٦٨، والصناعتين٢٤٩، وبلا نسبة في العروض٨٥، المعيار ٦٤، القسطاس١٠٨، الوافي١٢٨، العقد الفريد٦: ٣١٣

(٦) (يا أيها الزاري على عُمرٍ قدْ قُلْتَ فِيْهِ غَيْرَ مَا تَعْلَمُ) المعيار ٦٤، القسطاس ١٠٩، العقد الفريد٦: ٣١٣، مفتاح العلوم١: ٥٥٠، البارع ١٧٠، العيون الغامزة١٩٨

(٧) (يَنضَحْن، في حافاتِهَ بالأبَوالْ) منسوب للعجاج في كتاب الإبل١: ١٥١، وبلا نسبة في الوافي ١٢٩، المعيار ٦٤، القسطاس ١١٠، العقد الفريد٦: ٣٣٨، البارع١٦٨، العيون الغامزة١٩٦

وَضَـــرْبُـــهَـــا كَـمِـثْـلِـهَـا قَـــدْ عُـــلِّلا ... شَـــأْهِـــدُهُ يَـــا صَـاحِـبَـيْ رَحْـلِـي اقْـــلِلَا[1]

زِحَـــافُـــهُ خَـــبْـــنٌ وَطَـــيٌّ خَـــبْـلُ ... وَطَـــيٌ كَـشْـفٍ خَـبْـنُ كَـشْـفٍ يَـتْـلُـوْ

أَرِدْ مِـــنَ الأُمُـــوْرِ[2] قَـــالَ[3] وَبَـلَـدْ[4] ... لَابُـــدَّ[5] يَـــا رَبِّ[6] شَـوَاهِـدًا وَرَدْ[٦١/ب]

وَعَـاشِـرُ الـبُـحُـوْرِ فَـهُـوَ الـمُـنـسَـرِحْ ... أَجْـــزَاؤُهُ سِـــتٌّ لَـــدَيْـــكَ تَـتَّـضِـحْ

مُـسْـتَـفْـعِـلُـنْ أَتَـــى وَمَـــفْـــعُـــوْلَاتُ ... مُـسْـتَـفْـعِـلُـنْ يَـتْـلُـوْهُ مَـفْـعُـوْلَاتُ

لَـــهُ أَعَـــارِيْـــضُ ثَلَاثٌ مِـثْـلَـمَـا ... أَضْـــرُبُـــهُ ثَلَاثَـــةٌ قَـــدْ عُـلِـمَـا

عَـرُوْضُـهَـا الأُوْلَـــى عَـلَـى الـتَّـمَـامِ ... وَضَـــرْبُـــهَـــا جَـــاءَ بِـــطَـــيٍّ نَـــامِ

ثَـانِـيَـةٌ مَـنْـهُـوْكَـةٌ بَـعْـدُ أَتَـتْ ... والـــضَّـــرْبُ مِـثْـلُـهَـا وَوَقْـفُـهُ ثَـبَـتْ

إنّ ابْـــنَ زَيْـــدٍ[7] شَـــأْهِـــدٌ لِلأوّلِ ... وَبَـــعْـــدَهُ صَـــبْـــرًا[8] لِـــثَـــانٍ فَـاجْـعَـلِ

ثَـالِـثُـهُ مَـنْـهُـوْكَـةٌ وَضَـرْبُـهَـا ... جَـــاء بِـنَـهْـكٍ وَبِـكَـشْـفٍ يُـزْدَهَـى

شَـاهِـدُهُ وَيْـــلُ امِّ سَـعْـدٍ سَـعْـدَا[9] ... ثُـــمَّ الـــزِّحَـــافُ بَـعْـدَ هَـــذَا عُـــدّا

---

(١) (يا صاحبي رحْلي أقلاّ عَذلي) العروض٨٦،المعيار٦٥، الوافي١٢٩، القسطاس١١٠، البارع١٦٨،العيون الغامزة١٩٧

(٢) (أرِدْ منَ الأُمُور ما يَنبغي وما تُطِيقُهُ وما يَستقيمْ) الوافي١٣٠، المعيار٦٥، القسطاس١٠٩، العقد٦: ٣٣٧، مفتاح العلوم١: ٥٥١، البارع١٦٩، العيون الغامزة١٩٧

(٣) (قال لهَا وهْوَ بها عالمٌ: وَيَلِكِ أمثال طريفٍ قليلْ) للحطيئة في ديوان، وبلا نسبة في المعيار٦٥، القسطاس١١٠، الوافي١٣١، العروض٨٧، العيون الغامزة ١٩٧

(٤) (وبلد قطعه عامرٌ وجملٍ نَحَرَهُ فِي الطَّرِيْق) العروض٨٧، المعيار٦٥، البارع ١٦٩، العيون الغامزة١٩٧

(٥) (لابدّ منهُ فاحذرَن وارقبن) ما كتبه المصنف يستقيم مع شرحه لاجتماع الطي والكشف في ما نظم، حيث وزن الشطر(مستفعلن مستفعلن فاعلن) بينما رواية الوافي١٣٢، والعيون الغامزة ١٩٧(لابدَّ مِنْهُ فَاْنْحَدِرَنْ وَارْقُبَنْ) (مستفعلن مستفعلن فعولان) فهي شاهد على خبن الموقوف(مفعولاتْ) فتصير(فعولانْ)

(٦) (يا رَبِّ، إن أخطأتُ أو نَسِيتُ) الوافي١٣٢، القسطاس١١١، العيون الغامزة ١٩٨،

(٧) (إنَّ ابنَ زيدٍ مَا زَالَ مُسْتَـعْمِلاً لِـلخَيْرِ يُفْشِيْ فِيْ مِصْرِهِ العُرُفا) الوافي١٣٣، المعيار٦٨، العروض٨٨، القسطاس١١٢، العقد٦: ٣٣٨، البارع١٧٣، العيون الغامزة٢٠٠، الحور العين٦٦، مفتاح العلوم١: ٥٥٢

(٨) (صَبْرًا بَنِيْ عَبْدِ الدَّارْ) العروض٨٩، المعيار٦٨، القسطاس١١٣، العقد الفريد٦: ٣٣٩، الحور العين٦٧، مفتاح العلوم١: ٥٥٢

(٩) (وَيْلُ امِّ سعدٍ سَعْدًا) ينسب لأم سعد بن معاذ t، سيرة ابن هشام٢: ٢٥٢، قال أبو العلاء : وقالت نائحة سعد بن

طَـــيّ وَخَـــبْـــلُ خَـــبْـــنُ وَقْـــفٍ قَـــدْ تَلاْ وَخَـــبْـــنُ كَـشْـفٍ بَـعْـدَهُـنّ اسْـتُـعْـمِلاَ[٦٢/أ]

إنّ سُـــمَـــيْـــرًا[١] شَـــأْهِـــدٌ وَبَـــلَـــدُ[٢] لَـمّـا الْـتَـقَـوْا[٣] هَـلْ بِـالـدّيَـارِ[٤] يَـشْـهَـدُ

بَـحْـرُ الـخَـفِـيْـفِ بَـعْـدَ ذَا حَـــادِي عَـشَـرْ سِـــتّـــةُ أَجْـــــزَاءٍ لَـــهُ قَـــدِ انْـتَـشَـرْ

مِـــنْ فَـــاعِلاَتُـــنْ بَـعْـدَ مُـسْـتَـفْـعِـلُ يَـتْـلُـوْهُ فَـــاعِلاَتُـــن الـمُـسْـتَـقْـبَـلُ

لَـــهُ أَعَـــارِيْـــضُ ثَلاَثَـــةٌ وَفَـــتْ وَخَـــمْـــسَـــةٌ أَضْـــرُبُـــهُ قَـــدْ عُـــرِفَـــتْ

أمّـــا الـــعَـــرُوضُ بَـــيْـــنَـــهُـــنّ الأوّلَـــهْ فَـــهْـــيَ لِـضَـرْبَـيْـنِ غَـــدَتْ مُـشْـتَـمِـلَـةْ

فَـــــأَوّلٌ تَـــــمّ، وثـــــانٍ حُـــذِفَـــا فِـــيْ حَـــلّ[٥] لَـــيْـــتَ[٦] شَـــاهِـــدَانِ عُـرِفَـا

ثَـــانِـــيْـــهِ مَـــحْـــذُوْفَـــةٌ كَـضَـرْبِـهَـا فِـــيْ إِنْ قَـــدِرْنَـــا[٧] شَـاهِـدٌ يِـجْـرِيْ بِـهَـا

معاذ: (ويل ام سعدٍ سعدا * صرامةً ومجدا *وفارسًا معدّا * سَدَّ بِهِ مَسَدّا)اللامع العزيزي ٥٨٣، وهو بلا نسبة في لسان العرب١٠: ٥٠٠، العروض٨٩، المعيار٦٨، القسطاس١١٤، الوافي١٣٤، العقد الفريد٦: ٣٣٩، البارع ١٧٤، العيون الغامزة٢٠١، الحور العين٦٧، مفتاح العلوم١: ٥٤٤،

(١) (إن سُمَيْرا أرى عشيرته قد حدبوا دونه وقد أنفوا) منسوب لمالك بن عجلان، جمهرة أشعار العرب ٥٠٢، الأغاني٣: ٢٠، وبلا نسبة فيالمعيار٦٩، الوافي١٣٧، العروض٩٠، العقد٦: ٣٣٨، مفتاح العلوم١: ٥٥٣،

(٢) (وَبَلَدٍ مُتَشَابِهٍ سَمْتُهُ قَطَعَهُ رَجُلٌ عَلَىْ جَمَلِهْ)المعيار٦٩، الوافي١٣٧، القسطاس١١٣، العروض٩٠، مفتاح العلوم١: ٥٥٣، العيون الغامزة٢٠٢، البارع١٧٦

(٣) (لَمَّا التَقَوا بِسُوْلاَفِ) العروض٩٠، الوافي ١٣٨، القسطاس١١٤، العيون الغامزة٢٠٢

(٤) (هَلْ بِالدِّيَارِ إِنْسُ) العروض٩١، القسطاس١١٤، مفتاح العلوم١: ٥٥٤، العيون الغامزة٢٠٣

(٥) (حَلَّ أَهْلِي مَا بَيْنَ دَرْنَا فَبَادَو [٨] لَى وَحَلَّتْ عُلْوِيّةٌ بالسِّخَالِ) منسوب للأعشى ديوانه٣، وبلا نسبة في المعيار ٧١، الوافي١٣٩، العروض٩٢، القسطاس١١٥، البارع١٧٨، العيون الغامزة٢٠٤. درنا بالنون من نواحي اليمامة. وتروى بالتاء من سواد بغداد، معجم البلدان١: ٤٥٢، بادَوْلي روي بفتح الدال، وضمها: موضع في سواد بغداد ذكره الأعشى فقال(حلّ أهلي ما بين درتا فبادو لي، وحلّت علويّة بالسّخال) وقيل: بادولي موضع ببطن فلج من أرض اليمامة، فمن قال هذا روى بيت الأعشى: درنا، بالنون، لأنه موضع باليمامة. معجم البلدان١: ٣١٨

(٦) (ليتَ شِعْرِيْ هَلْ ثُمَّ هَلْ آتِينَّهُمْ أو يَحُوْلَنَّ مِنْ دُوْنِ ذَاكَ الرَّدَى)المعيار ٧١، الوافي١٤٠، القسطاس١١٥، العروض٩٣، البارع ١٧٩، العيون الغامزة٢٠٤

(٧) (إِنْ قَدِرْنَاْ يَوْماً عَلَى عَامِرٍ نَمْتَثِلْ مِنْهُ أَوْ نَدَعْهُ لَكُمْ)المعيار٧٢، الوافي،١٤٠، القسطاس١١٦، العروض٩٣، البارع١٧٩، العيون الغامزة٢٠٥

ثَـــالِـــثُـــهُ مَـــــجْـــــزُوَّةٌ، والـــضَّـــرْبُ كَـمِـثْـلِـهَـا فِـــيْ لَـيْـتَ شِـــعْـــرِي[1] حَـسْـبُ

وَضَـــرْبُـــهَـــا الـــثَّـــانِـــيْ بِـخَـبْـنٍ وَقُـصِـرْ شَـــاهِـــدُهُ فِـــيْ كُـــلّ خَـــطْـــبٍ[2] قَـــدْ ذُكِـــرْ[٦٢/ب]

زِحَـــافُـــهُ خَـــبْـــنٌ وَكَـــــفٌّ شَـــكْـــلُ مِـــنْ قَـــبْـــلِ تَـــشْـــعِـــيْـــثٍ لَـــهُـــنّ يَـــتْـــلُـــو

فِـــيْ فُـــــوَادِيْ[3] يَـــا عُـــمَـــيْـــرُ[4] شَـــاْهِـــدٌ وَصَـــرَمَـــتْـــكَ[5] إنّ قَـــوْمِـــي[6] شَـــاهِـــدُ

بَـــحْـــرُ الـــمُـــضَـــارِعِ فَـــثَـــانِـــي عَـــشَـــرَا جَـــاءَ بِـــتَـــفْـــعِـــيْلَاتِـــهِ كَـــمَـــاْ تَـــرَى

وَهْـــيَ مَـــفَـــاعِـــيْـــلُـــنْ وَفَـــــاعِلَاتُ سِـــتّـــةُ أَجْـــــزَاءٍ مُـــكَـــرّرَاتُ

وَهُـــوَ بِـــجَـــزْءٍ وَلَـــهُ عَـــرُوْضُ وَاحِـــــدَةٌ وَضَـــرْبُـــهَـــا مَـــفْـــرُوْضُ

كَـــمِـــثْـــلِـــهَـــا سِـــيّـــانِ مَـــجْـــزُوَانِ شَـــاهِـــدُهُ قَـــدْ جَـــاءَ فِـــي دَعَـــانِـــيْ[7]

---

(١) (ليتَ شِعْرِيْ مَاذَا تَرَىْ أمُّ عَمْرٍو فِيْ أَمْرِنَا) المعيار٧٢، الوافي١٤١، القسطاس١١٨، العروض٩٤، البارع١٨٠، العيون الغامزة٢٠٥

(٢) (كلُّ خَطْبٍ إنْ لَمْ تَكُنْ [٨] وا غَضِبْتُمْ يَسِيْرُ) المعيار٧٢، الوافي١٤٢، القسطاس١١٨، العروض٩٤، العقد الفريد٦: ٣٤٠، البارع١٨٠، العيون الغامزة٢٠٥

(٣) (وَفُؤَادِيْ كَعَهْدِهِ لِسُلَيْمَى بِهَوىً لَمْ يَحُل وَلَمْ يَتَغَيَّرْ)المعيار٧٢، الوافي١٤٤، القسطاس١١٧، العروض٩٥، البارع١٨٠، العيون الغامزة٢٠٥

(٤) (يا عُمَيْرُ ما تُظْهِرْ مِنْ هَوَاكَ أَوْ تُجِنّ يُسْتَكْثَر حِيْنَ يَبْدُو) الوافي١٤٤، العروض٩٦، القسطاس١١٧، البارع١٨٠، العيون الغامزة٢٠٦، وعجزه في المعيار٧٣(يا عمير يستكثر حين يبدو)

(٥) (صَرَمَتْكَ أَسْمَاءُ بَعْدَ وِصَالِ [٨] ـهَا فَأَصْبَحْتَ مُكْتَئِبًا حَزِينَا)المعيار٧٣، الوافي١٤٥، البارع١٨٢، العيون الغامزة٢٠٦

(٦) (إِنَّ قَوْمِيْ جَحَاجِحَةٌ كِرَامٌ مُتَقَادِمٌ مَجْدُهُمْ أَخْيَارُ) الوافي١٤٦، العروض٩٦، القسطاس١١٧، العقد الفريد٦: ٣٣٩، عروض الزجّاج١٦٩، العيون الغامزة٢٠٦

(٧) (دَعاني إلى سُعادٍ دواعي هوَى سُعادِ) المعيار٧٥، الوافي١٤٨، العروض٩٧، القسطاس١١٩، العقد الفريد٦: ٣٤٠، العيون الغامزة٢٠٧

زِحَـــافُـــهُ قَـــبْـــضٌ وَكَـــــفٌ وَشَـــتَـــرْ وَقَـــدْ[1] فَـــإِنْ تَـــدْنُ[2] وَفِـــيْ سَـــوْفَ[3] ظَـهَـرْ

الـــقَـــوْلُ فِـــي الـــثَّـــالِـــثِ عَـــشَـــرَ الـــمُـــقْـــتَـــضَـــبْ وَســـتَّـــةٌ أَجْـــــزَاؤُهُ إِذْ تُـــحْـــتَـــسَـــبْ

وَهُـــــنَّ مَـــفْـــعُـــولَاتُ مَـــعْ مُـــسْـــتَـــفْـــعِـــلُ مُـــسْـــتَـــفْـــعِـــلُـــنْ بِـــجَـــزْئِـــهَـــا تُـــسْـــتَـــعْـــمَـــلُ[٦٣/أ]

لَـــهُ عَـــــرُوْضٌ ثُـــمَّ ضَـــــرْبٌ وَاحِـــدُ مَـــطْـــوِيَّـــةٌ فِـــيْ هَـــلْ عَـــلَـــيْـــهِ[4] شَـــاْهِـــدُ

زِحَـــافُـــهُ خَـــبْـــنٌ يَـــقُـــولُـــونَ[5] لَـــهُ فِـــيْ صَـــرَمَـــتْـــكَ[6] زَحْـــفُ خَـــبْـــلٍ جُـــلَّـــهُ

رَابِـــــعَ عَـــشَـــرَ الأَبْـــحُـــرِ الـــمُـــجْـــتَـــثُّ وَسِـــــتَّـــــةٌ أجـــــــزاؤهُ تـــنـــبـــثُّ

مُـــسْـــتَـــفْـــعِـــلُـــنْ وَفَـــــاعِـلَاتُـــــنْ يَـــتْـــلُـــو والـــجَـــزْءُ فِـــيْـــهَـــا لَازِمًـــــا لَا يَـــخْـــلُـــو

وَاحِـــــدَةً مِـــنَ الأَعَـــارِيْـــضِ حَـــوَى وَفَـــــرْدَ ضَـــــرْبٍ جَـــاءَ مِـــثْـــلَـــهَـــا سَـــوَا

شَـــاْهِـــدُهُ فِـــي الـــبَـــطْـــنِ[7] مِـــنْـــهَـــا أَصْـــلُ زِحَـــافُـــهُ خَـــبْـــنٌ وَكَـــــفٌ شَـــكْـــلُ

(١) (وَقَدْ رَأَيْتُ الرِّجَالَ وَلَا أَرَى مِثْلَ زَيْدِ) كتبها (ولا أرى)، أما في باقي المصادر (فهي فما أرى/فلا أرى) العروض٩٨، المعيار٧٥، الوافي١٤٩، القسطاس١٢٠، البارع١٨٧، العيون الغامزة ٢٠٨

(٢) (إِنْ تدنُ منهُ شبرًا يقرّبكَ مِنْهُ بَاعَا) الوافي١٥٠، البارع١٨٦، العيون الغامزة٢٠٨، وفي المعيار٧٥(إذا دنا منك شبرا فأدنه منك باعا)

(٣) (سَوْفَ أُهْدِيْ لِسَلْمَى ثَنَاءً عَلَى ثَنَاءِ)المعيار٧٦، العروض٩٨، القسطاس١٢٠، مفتاح العلوم١: ٥٥٨، العيون الغامزة٢٠٨

(٤) (هَلْ عَلَيَّ وَيْحَكُمَا إِنْ لهوتُ مِنْ حَرَجِ) البيت قيل في عهد النبي r، خزانة الأدب١: ٤٢٠، قال الزمخشري: دخل رسول الله r على سيرين أخت مارية وهي تصفق وتقول: هل علي ويحكما إن لهوت من حرج فقال: قال لا" ربيع الأبرار ونصوص الأخيار٣: ١٢٥، ضمَّنَهُ ابن عبد ربه في قصيدة، ديوانه٤٢، وبلا نسبة في اللامع العزيزي ٥٥٩، العقد٦: ٣٢١، الوافي١٥٣، القسطاس١٢١، البارع١٩٠

(٥) (يقُولُونَ لا بَعُدُوا وهُمْ يَدفنونهم) المعيار٧٧، الوافي١٥٤، القسطاس١٢١، البارع١٩٠، مفتاح العلوم١: ١٢١

(٦) (صَرَمَتكَ جاريةٌ تَرَكَتكَ في تعبِ) المعيار٧٧، البارع١٩٠، الوافي بحل الكافي٢٠٦،

(٧) (البَطنُ منها خَمِيصٌ والوَجهُ مِثلُ الهِلالِ) لابن عبد ربه في ديوانه١٤٩، وبلا نسبة في العروض١٠١، العقد الفريد٦: ٣٢١، الحور العين٣٨، القسطاس١٢٢، مفتاح العلوم١: ٥٥٩

وَلَـــوْ[1] لِـخَـبْـنٍ مَـــا[2] لِـكَـفِّـهِـمْ ظَـهَـرْ ... وَشَـــاهِـــدُ الـشِّـكْـلِ أُولَـــئِـــكَ[3] اشْـتَـهَـرْ

وَالـــمُـــتَـــقَـــارِبُ فَـخَـامِـسَ عَـشَـرْ ... قَـــدْ كَـمَـلَـتْ بَـــهِ الـبُـحُـوْرُ لَا وَزَرْ

مَـبْـنَـــاهُ فِـــيْ دَائِـــــرَةِ الـمُـتَـفِـقِ ... عَـلَـى ثَـمَـانٍ مِـنْ فَـعُـوْلُـنْ تَـلْـتَـقِـي[٦٣/ب]

لَـــهُ عَـــرُوْضَـــانِ اثْـنَـتَـانِ قَـدْ سُـمِـعْ ... وَسِـــتَّـــةٌ مِـــنَ الـــضُّـــرُوْبِ تَـجْـتَـمِـعْ

أُوْلَـــى الـعَـرُوْضَـيْـنِ بِـــهِ تَـمَـامُ ... أَرْبَـــعَـــةٌ أَضْـــرُبُـــهَـــا تُـــقَـــامُ

وَأَوَّلُ الـــضُّـــرُوْبِ كَـــالـعَـرُوْضِ ... لَـــهُ فَـــأَمَّـــا[4] جَـــاءَ فِـــي الـقَـرِيْـضِ

ثَـانِـيْـهِـمَـا وَثَـالِـثٌ وَرَابِـــعٌ ... قَـصْـرٌ وَحَـــذْفٌ ثُـــمَّ بَـتْـرٌ تَـابِـعُ

لِـلْـقَـصْـرِ تَـــأْوِيْ[5] وَلِـحَـذْفٍ أَبْـنِـيْ[6] ... وَفِـــيْ خَـلِـيْـلَـيَّ[7] لِـبَـتْـرٍ مُـغْـنِ

ثَـانِـيَـةُ الـعَـرُوْضِ بِـالْـجَـزْءِ أَتَـتْ ... وَالـحَـذْفِ، ضَـرْبَـانِ لَـهَـا تَـرَتَّـبَـتْ

---

(١) (ولو عَلِقْتَ بسَلمى عَلِمتَ أنْ ستَموتُ) العروض١٠٢، المعيار٧٨، العقد الفريد٦: ٣٤١، القسطاس١٢٢، الوافي١٥٦، مفتاح العلوم١: ٥٥٩

(٢) ما كانَ عَطاؤهُنَّ إلا عِدَةً ضمارا) المعيار٧٨، الوافي١٥٧، القسطاس١٢٢، البارع١٩٣، العيون الغامزة٢١٣

(٣) (أولئكَ خَيْرُ قَوْمٍ إذَا ذُكِرَ الخِيَارُ) العَروض١٠٢، المعيار٧٩، القسطاس ١٢٣، مفتاح العلوم١: ٥٦٠

(٤) (وأمَّا تميمُ تميمُ بن مُرٍّ فألفاهم القومُ رَوْبَى نِيَامَا) منسوب لبشر بن أبي خازم، في ديوانه ١٣٥، وفي شرح كتاب سيبويه١: ٣٧٤، والبيان والتبيين٣: ١٤، العقد الفريد٨: ٧٦، أمالي بن الشجري٣: ١٣١، العقد الفريد٨: ٧٦، وبلا نسبة في العروض١٠٣، المعيار ٨١، الوافي١٦٧، القسطاس١٢٤، البارع٢٠٢، العيون الغامزة٢١٦، الحور العين٦٨، مفتاح العلوم١: ٥٦٠

(٥) ويأوِي إلى نِسْوةٍ بائساتٍ وشُعْثٍ مَراضيعَ مِثل السَّعال) منسوب لأمية بن أبي عائذ في ديوانه ٤٥، وفي شرح كتاب سيبويه٢: ٣٩٧، وبلا نسبة في العروض١٠٤، العقد٦: ٣٤٢، الوافي١٦٨، القسطاس١٢٤، المعيار ٨١، القوافي١٥٧، البارع٢٠٣، العيون الغامزة٢١٦

(٦) (وأبنِي منَ الشّعرِ شِعرًا عَوِيصًا يُنسّي الرَّواةَ الذَّي قد رَوَوْا) العروض١٠٤، المعيار٨٢، الوافي١٦٩، القسطاس١٢٥، العقد الفريد٦: ٣٤٢، البارع٢٠٣، العيون الغامزة٢١٦ في بعضها (وأروي) بدل (وأبني)

(٧) (خَلِيَلَيَّ عُوجا على رَسم دار خَلت من سُليمى ومن مَيَّهْ) العروض١٠٥، المعيار٨٢، الوافي١٧١، القسطاس١٢٥، لسان العرب٤: ٣٨، العقد الفريد٦: ٣٤٣، الحور العين٦٩، مفتاح العلوم١: ٥٦١

فَـــــأَوّلُ الـــضّـــرْبَـــيْـــنِ مِـــثْـــلَـــهَـــا يُـــرَى ... وَبَـــعْـــدَهُ الـــثّـــانِـــيْ تَـــــرَاهُ أَبْـــتَـــرَا

أَمِـــــنْ[1] تَـــعَـــفّـــفْ[2] شَـــاهِـــدَانِ لَـــهَـــا ... مُـــبَـــيِّـــنَـــانِ مَـــا غَـــدَا مشتبها

زِحَـــافُـــهُ قَـــبْـــضٌ وَثَـــلْـــمٌ ثَـــرْمُ ... أَفَـــادَ[3] لَـــوْلاَ[4] قُـــلْـــتُ[5] تَـــمّ الـعِـلْـمُ[٦٤/أ]

وَبَـــعْـــدَ ذَا نَـــذْكُـــرُ بَـــحْـــرًا اشْـتَـهَـرْ ... مِـــنْ مُـــتَـــقَـــارِبٍ بِـــنَـــاؤُهُ ظَـهَـرْ

أَجْـــــزَاؤُهُ مِـــنْ فَـــاْعِـــلُـــنْ ثَـمَـانِـيَـةْ ... لَـــهُ أَسَـــــامٍ وَافَـــقَـــتْ مَـعَـانِـيَـهْ

فَـــمُـــحْـــدَثٌ وَمُـــــتَـــــدَارِكٌ خَـــبَـــبُ ... وَرَكْـــضُ خَـــيْـــلٍ قَـــطْـــرُ مِـــيْـــزَابٍ وَجَـــبْ

وَمُـــــتَـــــدَانٍ وَشَـــقِـــيْـــق مُـــخْـــتَـــرَعْ ... وَصَـــــوْتُ نَـــاقُـــوْسٍ غَـــرِيْـــبٌ قَـــدْ وَقَـــعْ

والـــخَـــبْـــنُ فِـــيْ أَجْـــزَائِـــهِ مَـــاْ بَـــرِحَـــتْ ... شَـــاهِـــدُهُ فِـــيْ كُـــرَةٍ تَـــدَحْـــرَجَـــتْ[6]

إِتْـــمَـــاْمُـــهُ جَـــــاءَ عـــلـــى شـــذوذِ ... بـــشـــاهـــدٍ فِـــيْ يَـــاْ بَـــنِـــيْ[7] مَـــنْـــبُـــوذِ

وَبَـــعْـــضُـــهُـــمْ مِـــنْ بَـــعْـــدِ خَـــبْـــنٍ يُـــضْـــمِـــرُ ... شَـــاْهِـــدُهُ مَـــا لِـــيَ مَـــــاْلٌ[8] يُـــذْكَـــرُ

والـــجَـــزْءُ وَالـــتّـــرْفِـــيْـــلُ فِـــيْـــهِ سُـــمِـــعَـــا ... والـــجَـــزْءُ والـــتّـــذْيِـــيْـــلُ أَيْـــضًـــا أجـــمـــعـــا[٦٤/ب]

---

(١) (أمِنْ دِمنةٍ أقْفرَتْ لسَلمَى بذاتِ الغَضَى؟) العروض١٠٥، المعيار٨٢، الوافي١٧١، القسطاس ١٢٧، العقد الفريد٦: ٣٤٣، الحور العين ٦٩

(٢) (تَعَفَّفْ ولا تَبتَئِسْ فما يُقْضَ يأتِيكا) العروض١٠٦، المعيار ٨٢، القسطاس١٢٧، الوافي١٧٢، لسان العرب٤: ٣٨٠، البارع٢٠٤، العيون الغامزة٢١٧

(٣) (أَفَادَ فَجَادَ وَقَادَ وَذَادَ وسَادَ وَزَادَ وَعادَ فأفضل)المعيار٨٣، العروض١٠٦، الوافي ١٧٤، القسطاس١٢٦، البارع٢٠٥، العيون الغامزة٢١٩.

(٤) (لولا خِداشٌ أخذتُ دَوابَّ [٥] سَعْدٍ ولم أُعْطِهِ ما عَليها) القسطاس١٢٦، الوافي١٧٤، البارع٢٠٥، العيون الغامزة٢١٩ وفيها (أخذت جمالاتِ بكرٍ)

(٥) قلْت سدادًا لمنْ جاء يسْريْ فأحْسنْت قولاً وأحْسنْت رأْيا) المعيار٨٣، الوافي١٧٥، العروض١٠٧، البارع٢٠٦، العيون الغامزة٢١٩

(٦) (كُرَةٌ طُرِحَتْ لِصَوَالِجةٍ فَتَلَقَّفَهَا رَجُل ٌ رَجُل)المعيار٨٤، الكافي١٠٣، البارع٢٠٦، العيون الغامزة٥٩

(٧) (يَا بَنِي عَامِرٍ قَدْ تَجَمَّعْتُمُ ثُمَّ لَمْ تَدْفَعُوا الضَّيْمَ إِذْ جِئْتُمُ) المعيار٨٤، البارع ٢٠٨، الوافي بحل الكافي٢٢٤،

(٨) (مَا لِيَ مَالٌ إِلاَّ دِرْهَمْ أَوْ بِرْذَوْنِي ذَاكَ الأَدْهَمْ)المعيار٨٥، البارع٢٠٧، الكافي١٠٣، الوافي بحل الكافي٢٢٥

قِـفْ[1] دَارُ سُـعْـدَى[2] دِمْـنَـةٌ[3] لَـهُ اشْتَـمَلْ شَـوَاهِـدٌ بِـهَـا الـنِّـظَـامُ قَـدْ كَـمَـلْ

والـحَـمْـدُ لِلّهِ عَـلَـى آلَائِـهِ فِـيْ بَـدْئِـهِ وَالـحَـالِ وَانْـتِـهَـائِـهِ

ثُـمّ الـصّلَاةُ والـسّلَامُ الأَبَـدِيُّ عَـلَـى الـنّـبِـيِّ الـمُـصْـطَـفَـى مُـحَـمّـدِ

والآلِ وَالأَزْوَاجِ وَالأَصْـحَـابِ وَالـعِـتْـرَةِ الأَطْـهَـارِ وَالأَتْـرَابِ

مَـا قَـامَ مِـيْـزَانٌ عَـلَـى أَشْـعَـارِ وَدَامَ نَـظْـمُ الـلّـيْـلِ والـنّـهَـارِ

وَكَانَ الفَرَاغُ مِنْ تَعْلِيْقِهِ عَلَى يَدِ مُنْشِئِهِ لِتِسْعِ لياَلٍ بَقِيْنَ مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ المُعْظَّمِ، سَنَةَ سِتٍّ وَثَمَانِيْنَ وَسَبْعُمِائَةٍ، وَللهِ الحَمْدُ وَالشُّكْرُ، وَهُوَ حَسْبُنَا وَنِعْمَ الوَكِيْلُ.

مصادر التحقيق

- أبو العباس أحمد بن عبد السلام الجرّاوي (ت: ٦٠٩هـ) الحماسة المغربية مختصر كتاب صفوة الأدب ونخبة ديوان العرب، تح: محمد رضوان الداية، دار الفكر المعاصر – بيروت ط١، ١٩٩١م
- أبو العلاء أحمد بن عبد الله المعري (ت:٤٤٩ هـ) اللامع العزيزي شرح ديوان المتنبي، تح: محمد سعيد المولوي، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، الرياض، ط١، ٢٠٠٨ م
- أبو الفرج الأصفهاني (ت:٣٥٦)، كتاب الأغاني، دار الكتب العلمية، ط٥، ٢٠٠٨م.
- أبو علي القالي، إسماعيل بن القاسم (ت: ٣٥٦هـ) : الأمالي ، تح: محمد عبد الجواد الأصمعي، دار الكتب المصرية، ط٢، ١٩٢٦م
- أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري (ت: ٣٩٣ه) عروض الورقة، تح محمد سعدي جوكنلي، أرضروم. ١٩٩٤م
- أبو هلال الحسن بن عبد الله العسكري (ت: ٣٩٥هـ) جمهرة الأمثال، دار الفكر، بيروت
- أحمد بن يحيى بن الشيباني أبو العباس ثعلب (ت: ٢٩١هـ) قواعد الشعر، تح: رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط٢، ١٩٩٥م
- الأخطل، غياث بن غوث،، شعر الأخطل صنعة السّكري، تح: د فخر الدين قباوة، دار الفكر، دمشق، ط٤، ١٩٩٧م.
- إسماعيل بن محمد أمين البغدادي (ت: ١٣٩٩هـ)، هدية العارفين، دار إحياء التراث العربي، بيروت
- الأسود بن يعفر ديوان الأسود بن يعفر، تح: نوري حمودي القيسي، وزارة الثقافة والإعلام، بغداد، ١٩٧٠
- الأصمعي أبو سعيد عبد الملك بن قريب (ت: ٢١٦هـ) الأصمعيات، تح: احمد محمد شاكر؛ عبدالسلام محمد

(١) (قفْ على دارساتِ الدِّمَنْ بينَ أطْلالِها وابكِيَنْ) المعيار٨٥، البارع ٢١٠، الكافي١٠٢، الوافي بحل الكافي٢٢٣وفيها (قف على دارهم وابكين بين أطلالها والدمن) مفتاح العلوم ١: ٦٨

(٢) (دار سعدى بشحرِ عمان قد كساها البلى الملوان) عروض الورقة٤٩. البارع ٢١١، الكافي ١٠١، الوافي بحل الكافي٢٢٢(سلمى) بدل (سعدى)

(٣) (هذهِ دِمْنَةٌ أقْفرَتْ أمْ زَبورٌ محَتْهُ الدهورْ) المعيار٨٥، عروض الورقة ٤٩، الكافي ١٠٢

هارون، دار المعارف، مصر، ط٧، ١٩٩٣م

- الأصمعي أبو سعيد عبد الملك بن قريب بن أصمع (ت: ٢١٦هـ) الإبل، تح: أ. د. حاتم صالح الضامن، دار البشائر، دمشق، ط١، ٢٠٠٣ م
- أمية بن أبي عائذ(ت:٧٥هـ) حياته وشعره، تح: د أحمد زكي الأنباري، دار الفرات، بغداد، ط١، ٢٠١٠م.
- بهاء الدين البغدادي، محمد بن الحسن بن محمد بن حمدون(ت: ٥٦٢هـ) التذكرة الحمدونية، دار صادر، بيروت، ط١، ١٩٩٦م
- الجاحظ أبو عثمان عمرو بن بحر بن محبوب الكناني (ت: ٢٥٥هـ) البيان والتبيين، تح: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة،ط٧، ١٩٩٨م
- جار الله الزمخشري (ت: ٥٣٨هـ) القسطاس في علم العروض، تح الدكتور فخر الدين قباوة، مكتبة المعارف بيروت، ط٢، ـ ١٩٨٩م
- جار الله الزمخشري (ت: ٥٨٣ه)ـ ربيع الأبرار ونصوص الأخيار، مؤسسة الأعلمي، بيروت، ط١، ١٤١٢ هـ بشر بن أبي خازم، ديوان بشر بن أبي خازم، دار الكتاب العربي، بيروت،ط١، ١٩٩٤م
- جلال الدين السيوطي عبد الرحمن بن أبي بكر، (ت: ٩١١هـ) المزهر في علوم اللغة وأنواعها، تح: فؤاد علي منصور، دار الكتب العلمية – بيروت، ط١، ١٩٩٨م
- جمال الدين ابن منظور (ت: ٧١١هـ) لسان العرب، دار صادر، بيروت، ط٦، ١٩٩٧م
- أبو القاسم الحسين بن محمد (الراغب الأصفهاني) (ت: ٥٠٢هـ) محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء، دار الأرقم، بيروت، ط١، ١٩٩٩م
- أبو على الحسن بن رشيق القيرواني، العمدة في محاسن الشعر وآدابه (ت: ٤٦٣هـ) تح: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الجيل، ط٥، ١٩٨١م
- أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل العسكري (ت: ٣٩٥هـ) الصناعتين، تح: علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، بيروت، ١٩٩٨م
- امْرُؤُ القَيْس حُنْدُجُ بْنُ حُجْرُ بْنُ الحَارِثِ الكِنْدِي ، ديوان امرِئ القيس، ، (ت: ٥٤٥م)، تح: عبد الرحمن المصطاوي، دار المعرفة، بيروت، ط٢، ٢٠٠٤ م
- أبو سعيد السيرافي الحسن بن عبد الله (ت: ٣٦٨ هـ) شرح كتاب سيبويه، تح: أحمد حسن مهدلي، علي سيد علي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ٢٠٠٨ م
- حاجي خليفة (ت:١٠٦٧ ه)، كشف الظنون عن أسامي الفنون، دار الكتب العلمية،١٩٤١م
- الحطيئة جرول بن أوس، ديوان الحطيئة بشرح ابن السكيت، تح: د مفيد قميحة، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٩٩٣م.
- الخرنق، ديوان الخرنق بنت بدر، تحقيق يسري بعد الغني عبد الله، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٩٩٠م
- الخطيب التبريزي(٥٠٢هـ) الوافي في العروض والقوافي، تح: فخر الدين قباوة، دار الفكر، بيروت، ط٤، ١٩٨٦م
- دريد بن الصمة، ديوان دريد، تح: د. عمر عبد الرسول، دار المعارف، القاهر، ١٩٨٥م
- زهير بن أبي سلمى، ديوان زهير بن أبي سلمى صنعة ثعلب، تح د. فخر الدين قباوة، مكتبة هارون الرشيد، دمشق، ط٣، ٢٠٠٨م
- زهير بن أبي سلمى، شعر زهير بن أبي سلمى صنعة الأعلم الشنتمري، تح: د. فخر الدين قباوة، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ط٣، ١٩٨٠م.

- أبو عمر، شهاب الدين أحمد بن محمد بن عبد ربه الأندلسي (ت: ٣٢٨هـ) العقد الفريد، تح د. عبد المجيد الترحيني، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٩٨٣م
- شمس الدين محمد بن عبد الرحمن السخاوي (ت: ٩٠٢هـ)، الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، دار الجيل. بيروت
- شهاب الدين أحمد بن محمد المقري التلمساني (ت: ١٠٤١هـ)، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تح: إحسان عباس، دار صادر- بيروت ، ١٩٩٧م
- شهاب الدين أحمد بن محمد المقري التلمساني (ت: ١٠٤١هـ)، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تح: إحسان عباس، دار صادر- بيروت ، ١٩٩٧م
- ضياء الدين أبو السعادات ابن الشجري (ت: ٥٤٢هـ) : أمالي ابن الشجري، تح: محمود محمد الطناحي، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط١، ١٩٩١ م
- طرفَة بن العَبْد (ت: ٥٦٤م) ديوان طرفة بن العبد، تح: مهدي محمد ناصر الدين، دار الكتب العلمية ط٣، ٢٠٠٢م
- طرفة بن العبد، ديوان طرفة شرح الأعلم الشنتمري، تح: درية الخطيب، لطفي الصقال، المؤسسة العربية للدراسات، بيروت، ط٢، ٢٠٠٠م.
- أبو الأسود ظالم بن عمرو بن سفيان الدؤلي، ديوان أبي الأسود الدؤلي، صنعه: أبو سعيد الحسن السكري (ت: ٢٩٠ هـ)، تح: محمد حسن آل ياسين، دار ومكتبة الهلال، بيروت،ط٢، ١٩٩٨م
- أبو الحسن علي بن عبد العزيز الجرجاني (ت: ٣٩٢هـ) الوساطة بين المتنبي وخصومه، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، علي محمد البجاوي، المكتبة العصرية، بيروت،٢٠١٠م
- أبو الفتح عثمان بن جني (٣٩٢هـ)، كتاب العروض، تح: د. حسني عبد الجليل يوسف، دار السلام للطباعة والنشر، القاهرة، ط١، ٢٠٠٧م.
- أبو الفتح عثمان بن جني الموصلي (ت: ٣٩٢هـ) الخصائص، تح: محمد علي النجار، المكتبة العلمية، بيروت
- أبو الفتح عثمان بن جني الموصلي (ت: ٣٩٢هـ) سر صناعة الإعراب، دار الكتب العلمية بيروت، ط١، ٢٠٠٠م
- أبو القاسم علي بن جعفر بن القطاع، (ت:٥١٥هـ) البارع في علم العروض، تح: د. أحمد محمد عبد الدايم، المكتبة الفيصلية، مكة المكرمة، ١٩٨٥م.
- أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (ت: ٢٧٦هـ) الشعر والشعراء، تح: أحمد محمد شاكر، دار الحديث، القاهرة، ٢٠٠٦م.
- أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (ت: ٢٧٦هـ) المعاني الكبير في أبيات المعاني، تح: د سالم الكرنكوي ، عبد الرحمن بن يحيى اليماني، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٩٨٤ م
- أبو يعلى عبد الباقي ابن المحسن التنوخي، كتاب القوافي، تح: د. محمد عوني عبد الرءوف، الأكاديمية الحديثة للكتاب الجامعي، القاهرة، ط٣، ٢٠٠٩
- عبد الحي بن أحمد ابن العماد الحنبلي، (ت: ١٠٨٩هـ) شذرات الذهب في أخبار من ذهب، تح: محمود الأرناؤوط، دار ابن كثير، دمشق، ط١، ١٩٨٦م
- عبد الرحمن بن عيسى المعمري(ت١٠٣٧هـ)الوافي بحل الكافي في علمي العروض والقوافي، تح: د. أحمد عفيفي، دار الكتب والوثائق القومية، القاهر،ط٢، ٢٠١٢م.
- عبد القادر بن عمر البغدادي (ت: ١٠٩٣هـ) خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب تح: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط٤، ١٩٩٧م
- عبد المحسنِ بن مجدِ الدّينِ القَيْصَرِيّ، بَيَانُ مُشْكِلَاتِ المُخْتَصَرِ فِي عِلْمِ العَرُوْضِ المَوْسُوْمِ بالأَنْدَلُسِيِّ، تح: د. خضر

محمد أبو جحجوح، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ٢٠٢٢م

- عبد الملك بن هشام أبو محمد، جمال الدين (المتوفى: ٢١٣هـ) السيرة النبوية لابن هشام، تح: مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ الشلبي، مصطفى البابي الحلبي وأولاده ، ط٢،١٩٥٥ م
- عبيد بن الأبرص، ديوان عبيد، تح: مجيد طراد، دار الكتاب العربي، بيروت، ط١، ١٩٩٤م.
- عديّ بن ربيعة، ديوان مهلهل بن ربيعة (ت:٥٣١ م)، شرح طلال حرب، الدار العالمية.
- عدي بن زيد، ديوان عدي بن زيد، تح: محمد المعيبد، دار الجمهورية، بغداد، ١٩٦٥م
- علي بن أبي الفرج بن الحسن، أبو الحسن البصري (ت: ٦٥٩هـ) الحماسة البصرية، تح: مختار الدين أحمد، عالم الكتب، بيروت
- عمر بن رضا كحالة (ت: ١٤٠٨هـ) معجم المؤلفين، ، دار إحياء التراث العربي، بيروت
- عمر بن معدي كرب، شعر عمر بن معدي كرب، جمع: مطاع الطرابيشي، مجمع اللغة العربية، دمشق، ط٢، ١٩٨٥.
- عنترة بن أبي شداد، ديوان عنترة، تح: محمد سعيد مولوي، المكتب الإسلامي، بيروت، ١٩٧٠
- قدامة بن جعفر، نقد الشعر، تح: محمد هبد المنعم خفاجي، دار الكتب العلمية، بيروت،(د.ت)
- أبو بكر محمد بن السّراج الشنتريني الأندلسي(ت:٥٤٥هـ) المعيار في أوزان الأشعار والكافي في علم العروض والقوافي، تح: د. محمد رضوان الداية، دار الأنوار، بيروت، ط١، ١٩٦٨م.
- أبو بكر محمد بن القاسم بن بشار الأنباري (ت: ٣٢٨هـ) شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات، تح: عبد السلام محمد هارون، دار المعارف، القاهرة، ط٥، (د.ت)
- أبو حيان محمد بن يوسف بن حيان الأندلسي (ت: ٧٤٥ هـ) ارتشاف الضرب من لسان العرب، تح: رجب عثمان محمد، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط١، ١٩٩٨م
- أبو زيد محمد بن أبي الخطاب القرشي (ت: ١٧٠هـ) جمهرة أشعار العرب، تح: علي محمد البجاوي، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع،ط١، ١٩٨١م
- أبو طالب المفضل بن سلمة بن عاصم، (ت: ٢٩١هـ) الفاخر، تح: عبد العليم الطحاوي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٧٤م
- محمد بن أبي بكر الدماميني،(٨٢٧هـ) العيون الغامزة على خبايا الرامزة، تح: الحساني حسن عبد الله، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط٢، ١٩٩٤م.
- محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن إبراهيم طباطبا، (ت: ٣٢٢هـ) تح: عبد العزيز بن ناصر المانع، مكتبة الخانجي، القاهرة
- محمد بن أيدمر المستعصمي (ت:٧١٠هـ) الدر الفريد وبيت القصيد، تح: د. كامل سلمان الجبوري، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ٢٠١٥ م
- محيي الدين عبد الحميد، شرح ديوان عمر بن أبي ربيعة، المكتبة التجارية، القاهرة، ط١، ١٩٥٢م
- المرقش الأكبر، ديوان المرقشين، تح: كارين صادر، دار صادر، بيروت، ط١، ١٩٩٨م
- نشوان بن سعيد الحميري اليمني (ت: ٥٧٣ هـ) الحور العين، تح: كمال مصطفى، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٩٤٨ م
- أبو عُبَادة الوَلِيد بن عُبَيد البُحتري (ت: ٢٨٤ هـ) الحماسة للبحتري، تح: د. محمَّد إبراهيم حُوَّر؛ أحمد محمد عبيد، هيئة أبو ظبي للثقافة والتراث، أبو ظبي ، ٢٠٠٧ م
- ياقوت الحموي شهاب الدين أبو عبد الله (ت: ٦٢٦هـ) معجم البلدان، دار صادر، بيروت، ط٢، ١٩٩٥ م

- يوسف بن أبي بكر السكاكي (ت: ٦٢٦هـ) مفتاح العلوم، ضبط: نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٢، ١٩٨٧م
- يوسف بن تغري بردي، أبو المحاسن (ت: ٨٧٤هـ)، المنهل الصافي والمستوفى بعد الوافي، ، تح: د محمد أمين، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة

الدُّرَّة البهيَّة في كسوة الحُجرة النبويَّة

لمُفتي المدينة المُنوَّرة
محمد بن أسعد أفندي الأُسْكُدَاري الحنفي
(ت:١١٤٣هـ/١٧٣١م)

الدُّرَة البهيَة
في كسوة
الحُجرة النبويَة

تحقيق
د.محمد جمال حامد الشوربجي
مصر

مُقدّمة

نالت كسوة الحرم المكي عناية الخُلفاء والسلاطين والملوك على مدار تاريخ الأُمَّة الإسلامي وتنافسوا في زخرفتها وجودة إخراجها، والاحتفال بحملها إلى الحرم، وأوقف بعض السلاطين جُزءًا من ريع أوقافهم على الكسوة كما سيأتي خبره، وأفرد ابن حجر العسقلاني(ت:٨٥٢هـ) لخبرها رسالة سمَّاها "اللمعة اللطيفة في أحوال كسوة الكعبة الشريفة"[١].

أمَّا الاهتمام بكسوة الحُجرة النبوية فجاء مُتأخِّرًا، فيُقال إنَّ أول من كساها الأمير سيف الدين الحُسين ابن أبي الهيجاء[٢]، بعد أن سمح له بذلك الخليفة المُستضيء بالله(٥٦٦-٥٧٥هـ)، ثم تعاهدها من أتى بعده من خُلفاء بني العبَّاس، ولمَّا زالت دولتهم ببغداد ونمت في مصر نال سلاطين المماليك وأعيان دولتهم شرف الاهتمام بها، ومن بعدهم سلاطين بني عُثمان.

وهذا الاهتمام رصد بعضه مُحب الدين بن النجَّار(ت:٦٤٣هـ) في كتابه "الدُّرَّة الثمينة في تاريخ المدينة"، وعلى كلامه اعتمد من جاء بعده مثل: السحماوي(ت: ٨٦٨هـ) في كتابه "الثغر الباسم"، ولم يزد سوى قوله: "فإنها تكسى في كل سبع سنين، لأنها لم تكن بارزة للشمس، فلا تبلى بسُرعة"[٣]، ونور الدين السمهودي(ت:٩١١هـ) في كتابه "وفاء الوفا" مع إضافات كثيرة.

ولمَّا تعرَّض عبد القادر الجزيري(ت:٩٧٧هـ تقريبًا) لكسوة الحُجرة النبوية ذكر نص ابن النجار، ثم خبر وقف السُّلطان الصالح إسماعيل بن محمد بن قلاوون(٧٤٣-٧٤٦هـ)، وعلَّق على ذلك بقوله:

"وفي سنة ثلاث وأربعين وتسعمائة عُرِضَ أمر هذا الوقف ومُتحصَّله على خسرو باشا نائب السلطنة بمصر، ومصروف الكسوة الشريفة للحرمين الشريفين فاستعظم مقداره، وأمر بهدر جُزء وافر من مبلغ الكسوة، وأن يوفر من حرير الطراز وغيره شيء له مقدار، فلمَّا كانت ولاية داوود باشا، وعُرِضَ عليه ذلك أمر بعود المصروف المتوفر في ولاية خسرو، وأن يُزاد عليه بتغيير الطراز الحرير الأصفر للكعبة الشريفة بطراز من الزركش الفضة المُطلاة بالذهب، وأمر بتغيير أعلام المنبر الشريف النبوي...، وله مثل ذلك من تعلُّقات البيت الشريف والحُجرة المُصطفوية أشياء مُتعددة أثابه الله تعالى"[٤].

(١) حققها محمد علي فهيم بيومي، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة، ط١، ٢٠٠٨م، ٢٤٨ص.

(٢) الكردي، كان صهر الوزير الفاطمي الصالح طلائع بن رُزِّيك، وله مآثر بالمدينة المُنوَّرة، توفي بعد ٥٨٠هـ، ودفن بالبقيع، وعلى قبره بناء. انظر: المقريزي: اتعاظ الحنفا، ج٣، ص٢٦٣، ٢٧٤-٢٧٥، ٣٠٠؛ السمهودي: وفاء الوفا، ج٢، ص٣٤٨، ٤٧٢؛ ج٣، ص١٩٠، ٢٠٨، ٣٠٢، ٣٠٦، ٣٠٨، ٣٩٩.

(٣) ج١، ص٤٧٧.

(٤) الدرر الفرائد المنظمة، ج٢، ص٣٠٤.

ثم استمر ذكرها مُختصرًا في بعض مؤلفات من أتى بعدهم، حتى جاء مُفتي الأحناف بالمدينة المُنوَّرة محمد بن أسعد أفندي الأُسْكُدَاري المدني(ت:١١٤٣هـ) فألَّف رسالته "الدُّرَّة البهيَّة" في سنة١١٣٨هـ، وهي أول رسالة تُفرد لتأريخ كسوة الحجرة على حدٍّ علمي، ورغم صغرها إلا أنه جمع فيها ما كتبه السابقون، ونثر فيها معلومات جديدة تتعلَّق بعناية سلاطين بني عُثمان بصناعتها.

أولًا- ترجمة المؤلِّف:

هو السيد محمد بن أسعد بن أبي بكر بن أحمد بن عبد الله الأُسْكُدَاري الرُّومي الأصل المدني الحنفي.

قَدِمَ جَدَّهُ من مدينة أُسْكُدَار(١)، فجاور بالمدينة النبوية سنة ١٠٤٠هـ تقريبًا، وتزوج الشريفة أم الهُدى، وأنجب منها: السيد إبراهيم الذي مات ولم يعقب سنة ١١١٥هـ، والسيد أسعد.

أمَّا السيد أسعد فوُلِدَ سنة ١٠٥٠هـ، ونشأ وبرع في العلم، وتزوج مريم بنت القاضي محمد مكي أفندي، فأنجب منها: محمدًا وهو أكبرهم، وعبد الله، وإبراهيم، وفاطمة، وتنازل له صهره الشيخ محمد مكي عن وظيفة الإفتاء، فتولَّاها في سنة ١٠٩٢هـ، ثم عُزل سنة ١١٠٢هـ، ثم أعيد، وظل حتى عُزل سنة ١١١٦هـ، فتوفي في السنة نفسها(٢).

أمَّا السيد محمد فوُلِدَ سنة ١٠٨٨هـ، ونشأ في كنف والده، وقرأ عليه وعلى غيره، وطلب العلم حتى مهر فيه، ثم تزوج، وأنجب: عبد المُحسن(ت:١١٩٤هـ)، وصالحة(ت:١١٨٧هـ).

تولَّى الإفتاء بالمدينة المُنوَّرة سنة ١١١٨هـ إلى أن عُزل بالخطيب عبد الكريم الخليفتي(٣) سنة ١١٢٥هـ، ثم سافر إلى إسطنبول، فأقام مُدة ثم عاد.

وكانت له اليد الطُّولى في الطب والجراحة، مُستحضرًا ما يلزمه من الأدوات والمراهم ونحوها، يُعالج الخاص والعام ابتغاء وجه الله تعالى، وكان إذا أظلم الليل خرج بما يحتاجه من الأدوات والمراهم إلى المرضى المُقعدين فيُعالج جراحاتهم.

ولم يزل الشيخ على طريقته المُثلى، عاكفًا على الإفادة والاستفادة إلى أن طعنه أحمد كحيلان بسكين عند رأس زقاق الزرندي بالمدينة المُنوَّرة ليلة الإسراء المعراج ٢٧ رجب سنة ١١٤٣هـ، فمات على إثر ذلك في يوم التالي، ودُفِنَ بالبقيع، وقُبِضَ على قاتله وشُنق.

وقد وُصِفَ بأنه كان "ذا أخلاق رضيَّة، وكمالات مرضيَّة، يميل إلى الصالحين، ويُحب الفقراء والمساكين".

---

(١) هي مدينة تقع على الضفة الشرقية لخليج البسفور في مقابلة مدينة القسطنطينية، وهي من المدن العامرة بالسكان والخيرات. انظر: ابن سباهي زاده: أوضح المسالك، ص٥١٦. هي اليوم إحدى بلديات محافظة إسطنبول بتركيا.

(٢) الأنصاري: تُحفة المُحبين والأصحاب، ص٣٥؛ مجهول: تراجم أعيان المدينة، ص٤٠.

(٣) هو عبد الكريم بن عبد الله الخليفتي العباسي الحنفي، توفي بالمدينة المُنوَّرة سنة١١٣٣هـ. انظر: المرادي: سلك الدرر، ج٣، ص٧٤-٧٥.

ترك الشيخ عِدَّة رسائل، منها: رسالة في تحرير النصاب الشرعي من الدراهم والدنانير وغيرها[1]، ورسالة "الدُّرَّة البهيَّة في كسوة الحُجرة النبوية" موضوع النشر.

وذكر في خاتمة رسالة "الدُّرَّة البهيَّة" أنه إن يَسَّرَ الله له سيشرع في كتابة تاريخ مُختصر للمدينة المُنوَّرة، يذكر فيه جميع ما جدَّدهُ وعمَّرهُ سلاطين آل عُثمان من المآثر في المدينة، فلا أعلم هل شرع فيه وأتمه، أم لا.

ثانيًا- رسالة "الدُّرَّة البهيَّة في كسوة الحُجرة النبويَّة":

١- عنوانها:

ورد عنوان الرسالة في الأوراق الأولى للنُّسخة مرَّتين: الأولى تامة "الدُّرَّة البهيَّة..."، والثانية مُختصرة "رسالة دُرَّة البهيَّة"، ونَصَّ المؤلِّف على اسمها في مُقدِّمة الرسالة، فقال: "وسمَّيتُها "الدُّرَّة البهيَّة في كسوة الحُجرة النبويَّة".

٢- سبب تأليفها:

ذكر المؤلِّف أنه لمَّا استدعاهُ محمد أغا شيخ الحرم النبوي للمُشاركة في قياس مساحة الحُجرة النبوية بناءً على الأمر السُّلطاني خطر له أن يؤلِّف هذه الرسالة.

٣- تاريخ تأليفها:

فرغ المؤلِّف من تأليفها في أواخر ذي القعدة الحرام سنة١١٣٨هـ كما نَصَّ على ذلك في خاتمة النُّسخة المُعتمَد عليها.

٤- تنظيم مادتها:

رَتَّبَها المؤلِّف على ثلاثة فصول وخاتمة، فجعل الأول فيمن كسا الحُجرة النبوية من الملوك قبل بني عُثمان، والثاني في أول من كساها من ملوك آل عُثمان، وختمه بفائدة في تبخير المسجد والحُجرة النبوية، والثالث فيما جرت العادة بكسوته من المراقد في البقيع وغيره من المشاهد، والخاتمة في ذكر نقل الكسوة وبيعها وحُكم ذلك.

٥- مصادرها:

اعتمد المؤلِّف في رسالته على عددٍ من المصادر، هي:

كتاب "الصَّحَاح" للجوهري(ت:٣٩٣هـ)، و"وفاء الوفا بأخبار دار المُصطفى" لنور الدين السمهودي(ت:٩١١هـ)، وعليه أكثر اعتماده، وحُجَّة وقف السُّلطان سُليمان بن سليم العُثماني(ت:٩٧٤هـ) على كسوة البيت الحرام والحرم النبوي ومشاهد البقيع وغير ذلك، و"الإعلام بأعلام بيت الله

(١) انظر: المرادي: سلك الدرر، ج٤، ص٤٤؛ الأنصاري: تُحفة المُحبين والأصحاب، ص٣٥-٣٦؛ مجهول: تراجم أعيان المدينة، ص٤١.

الحرام" لقُطب الدين النهروالي(ت:٩٩٠هـ)، و"الجواهر الثمينة في محاسن المدينة" لمحمد كبريت المدني(ت:١٠٧٠هـ)، و"الفتاوى الخيرية لنفع البرية" لخير الدين الرملي(ت:١٠٨١هـ).

٦- النُسخة الخطِيَّة:

وقفتُ لهذه الرسالة على نُسختين:

٦/١- نُسخة مكتبة حاجي بشير أغا بإسطنبول رقم٤٧٦: كاتبها هو الشيخ عبد الله بن أسعد أفندي(ت:١١٥٤هـ)[1] أخى المؤلِّف، فرغ من نسخها بعد شهر من تأليفها، وذلك في يوم السبت ثالث مُحرَّم سنة١١٣٩هـ، وعدد أوراقها ١٠ق، ومسطرتها ٢١س.

وعلى الورقة الثانية للنُّسخة تملُّك لحاجي بشير أغا دار السعادة مؤرَّخ بسنة ١١٥٨هـ، ثم وقفه بتحرير محمد أمين المُفتِّش بأوقاف الحرمين الشريفين، وتحتها ختمه، وعليها ختم المكتبة.

٦/٢- نُسخة مكتبة خزينة بإسطنبول رقم١٦٣٠، ٣٨ق، ولم أُوفَّق في الحصول على مصورة منها، ولعل الله تعالى يُيسِّر الحصول عليها عند إعادة نشرها.

٧- طريقة نشر النص:

- اعتمدتُ على نُسخة بشير أغا، ورمزتُ لها بـ"ب"، واعتاد الناسخ كتابه: كسا = كسى، وعفا = عفى، والقيامة = القيمة، والصلاة = الصلوة، وغير ذلك، فكتبتُ النص على الرسم الإملائي الحديث.
- خرَّجتُ مصادر المؤلِّف التي نقل منها، وترجمتُ للإعلام، وعلَّقت على ما تيسر التعليق عليه بقدر الوسع والإمكان.

(١) كان مدرس بالروضة النبوية، وعن ترجمته انظر: مجهول: تراجم أعيان المدينة، ص٤٢.

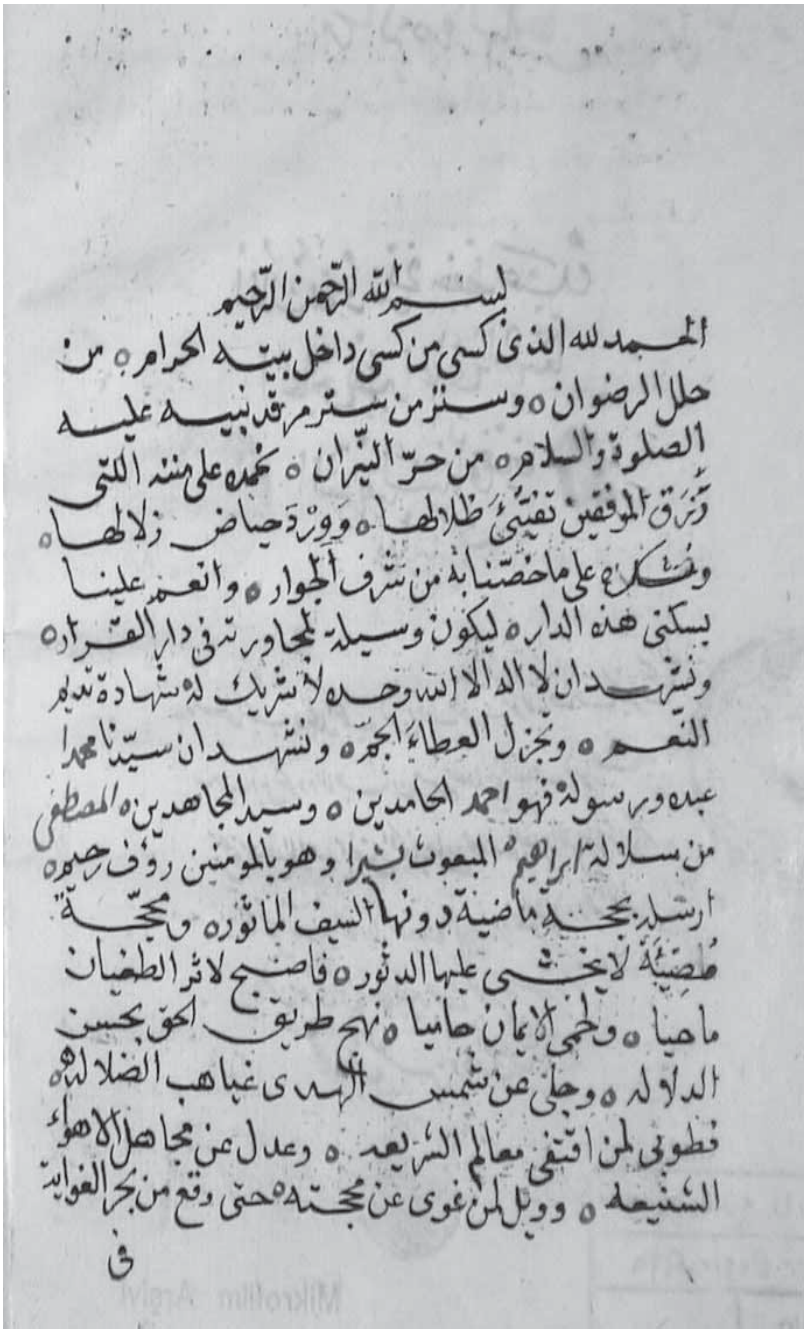

بسم الله الرحمن الرحيم
الحمد لله الذى كسى من كسى داخل بيته الحرام ٥ من
حلل الرضوان ٥ وستر من ستر مرقد نبيه عليه
الصلوة والسلام ٥ من حرّ النيران ٥ نحمده على منته التى
تُرَقّ الموفقين تقيّئ ظلالها ٥ وورد حياض زلالها ٥
ونشكره على ما خصّنا به من شرف الجوار ٥ وانعم علينا
بسكنى هذه الدار ٥ ليكون وسيلة لمجاورته فى دار القرار ٥
ونشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له شهادة تديم
النعم ٥ وتجزل العطاء الجمّ ٥ ونشهد ان سيدنا محمدا
عبده ورسوله فهو احمد الحامدين ٥ وسيد المجاهدين ٥ المصطفى
من سلالة ابراهيم ٥ المبعوث بشيرا وهو بالمومنين رؤف رحيم ٥
ارسله بحجة ماضية دونها السيف المأثور ٥ ومحجة
مضيئة لا يخشى عليها الدثور ٥ فاصبح لاثر الطغيان
ماحيا ٥ ولحمى الايمان حاميا ٥ نهج طريق الحق بحسن
الدلالة ٥ وجلى عن شمس الهدى غياهب الضلالة ٥
فطوبى لمن اقتفى معالم الشريعة ٥ وعدل عن مجاهل الاهواء
الشنيعة ٥ وويل لمن غوى عن محجته حتى وقع من بحر الغوايته
فى

الصفحة الأولى

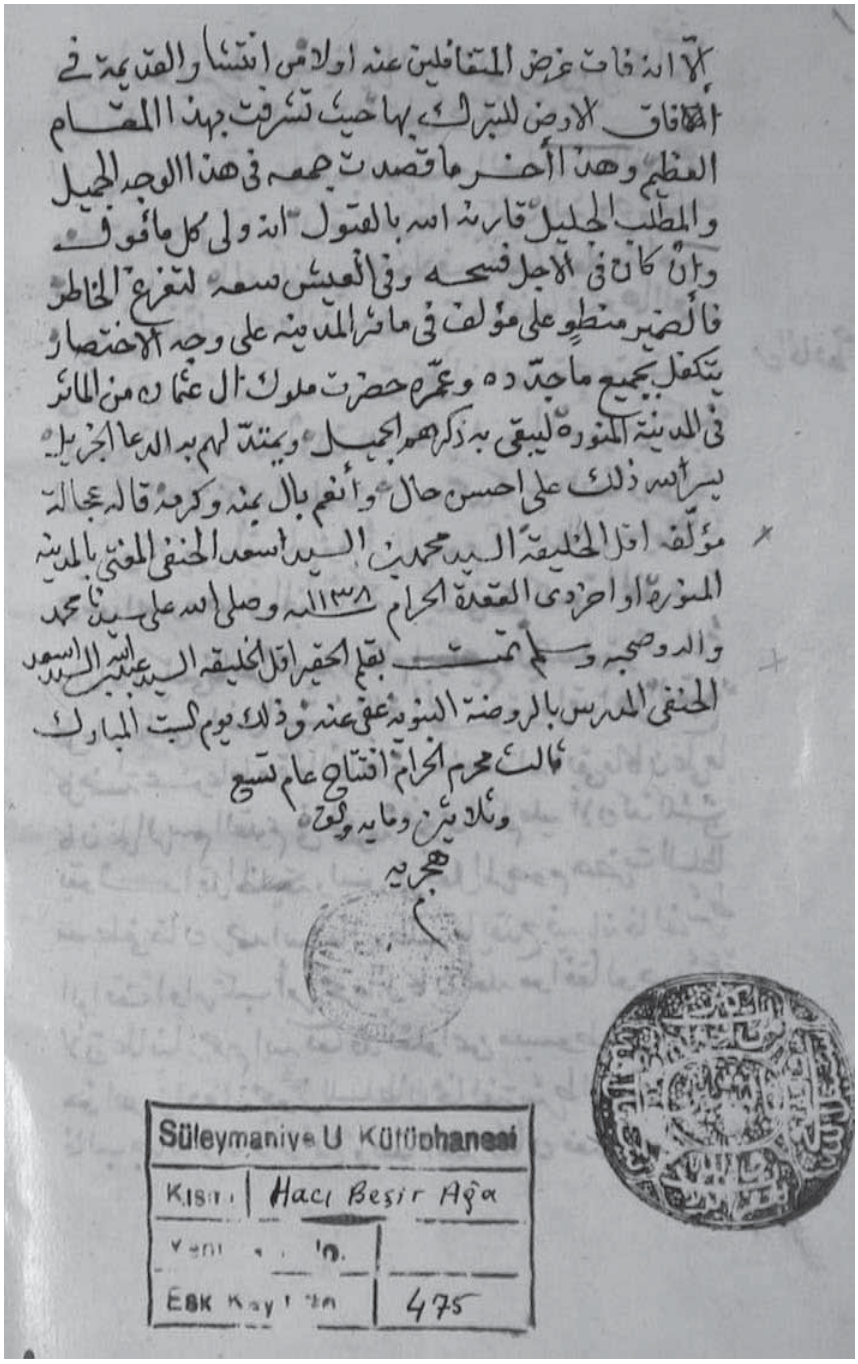

إلا انه فات غرض المتفاءلين عنه اولا من انتشار والقديمة في
الآفاق الارض للتبرك بها حيث تشرفت بهذا المقام
العظيم وهذا آخر ما قصدت جمعه في هذا الوجه الجميل
والمطلب الجليل قارنه الله بالقبول انه ولي كل مأمول
وان كان في الاجل فسحه وفي العيش سعه لتفرغ الخاطر
فالضمير منطوٍ على مؤلف في مآثر المدينة على وجه الاختصار
يتكفل بجميع ماجدده وعمره حضرت ملوك آل عثمان من المآثر
في المدينة المنوره ليبقى به ذكرهم الجميل ويمتد لهم به الدعا الجزيل
يسر الله ذلك على احسن حال وأنعم بال بمنه وكرمه قاله عجالة
مؤلفه اقل الخليقة السيد محمد بن السيد اسعد الحنفي المفتي بالمدينة
المنورة اواخر ذي القعدة الحرام ١٣٨٨هـ وصلى الله على سيدنا محمد
وآله وصحبه وسلم تمت بقلم الحقير اقل الخليقة السيد عبد الله اسعد
الحنفي المدرس بالروضة النبوية عفى عنه وذلك يوم السبت المبارك
ثالث محرم الحرام افتتاح عام تسع
وثلاثين ومايه وألف
هجريه

Süleymaniye U Kütüphanesi
Kısım | Hacı Beşir Ağa
Yeni No.
Esk Kayıt No | 475

الصفحة الأخيرة

(النص)

[مُقدِّمة]

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدُ للهِ الذي كسا من كسا داخل بيتهِ الحرام من حُلل الرضوان، وستر من ستر مرقد نبيِّهِ عليه الصلاة والسلام من حرِّ النيران، نحمدهُ على مِنَنهِ التي رَزَق الموفقين تفيئ ظلالها، وَوِرْدَ حياض زلالها[1]، ونشكرهُ على ما خصَّنا به من شرف الجوار، وأنعم علينا بسُكنى هذه الدار، ليكون وسيلة لمُجاورتهِ في دار القرار، ونشهدُ أن لا إله إلا الله وحدهُ لا شريك له، شهادة تُديم النِّعم، وتُجزل العطاء الجمّ، ونشهدُ أنَّ سيدنا مُحمدًا عبدهُ ورسوله، فهو أحمد الحامدين، وسيد المُجاهدين، المُصطفى من سُلالة إبراهيم، المبعوث بشيرًا وهو بالمؤمنين رؤوف رحيم، أرسله بحُجَّة ماضية دونها السيف المأثور، ومَحجَّة مُضيئة لا يُخشى عليها الدثور، فأصبح لأثر الطُّغيان ماحيًا، ولحِمَى الإيمان حاميًا، نهج طريق الحق بحُسن الدلالة، وجلى عن شمس الهُدى غياهب الضلالة، فطوبى لمن اقتفى معالم الشريعة، وعدل عن مجاهل الأهواء الشنيعة، وويل لمن غوى عن مَحجَّته، حتى وقع من بحر الغواية[٢أ] في قاموسه ولُجَّته، صلَّى الله عليه، وعلى آله وصحبه، ووارثيه وحزبه، اللذين انحازوا لحوزته، واحتموا بحمايته، وأثمر لهم غرس دينه فرعوه حق رعايته، وسلِّم وشرِّف وكرِّم.

أمَّا بعد، فإنَّ خدمة الجناب الشريف النبوي، والمقام المنيف المُصطفوي لمَّا كان من أكد الواجبات، وأهم المطلوبات، وأشرف الذخائر والوسائل، لنيل الفضل العاجل والأجر الآجل، وكان من أشرف خدماته تعظيم حُرمة المُطهَّر، ومقامه المُعطَّر، كيف وقد احتوى على تُربة فضلت الكعبة والأفلاك، وتشرَّفت بخدمتها كرام الأملاك، كما ورد في الحديث الشريف "أنَّ سبعين ألف مَلَك كل يوم تحُف بقبرهِ المُطهَّر المنيف"، فرغب في عظيم الأجر والثواب، لينال بهِ الزُّلفى وحُسن مآب، سُلطان سلاطين الإسلام، ومِنَّة الله العُظمى على كافة الأنام، مَلِك الرُّوم والحجاز والعراقين، خادم الحرمين الشريفين، حضرت مولانا السُّلطان أحمد خان[2] بن محمد خان، أعزَّ الله أنصاره، وضاعف اقتداره، وقصد تجديد كسوة المرقد الشريف النبوي بثياب خُضرٍ من سُندسٍ وإستبرق، وإدارة حزام من سلك الفضة المموه بالذهب، ليُحيط بها كالأساور بالمعصم إذا أحدق.

لكنها لمَّا رأى عملها في دار خلافته أكبر أجرًا وأرفع درجات، لاهتمامه في عملها بنفسه الكريمة في غالب الأوقات، وأنَّ عملها بمصر على العادة ينقضي مرَّة بإشارته، استخار الله سُبحانه[٢ب]، وعزم على تجديدها في دار خلافته، فطلب من الدستور المُكرَّم الوزير الأعظم حضرت مولانا محمد

(١) كذا العبارة.

(٢) هو السُّلطان أحمد الثالث بن محمد الرابع بن إبراهيم الأول، تولى السلطنة في ربيع الآخر سنة١١١٥هـ، وتوفي في أوائل سنة١١٤٣هـ. انظر: ابن الوكيل: تحفة الأحباب، ص٢٠٨؛ القلعاوي: صفوة الزمان، ص٢١١.

باشا[1]- مُحافظ مصر المحروسة حالاً، زادهُ الله رفعة وإجلالاً- أن يُرسل إلى سُدة سعادته بتحقيق ذرع كسوة[2] الحُجرة المُعطَّرة، وبيان كسوة باقي المراقد المُنوَّرة.

ولمَّا لم يقف الوزير- المُشار إليه- على ما يشفي الغليل في هذا المطلوب المُعظَّم الجليل أرسل بصورة ذلك المطلوب إلى فخر الأغوات المُعظَّمين، مُعتمد الملوك والسلاطين، حضرت محمد أغا[3] شيخ الحرم الشريف النبوي، وخادم المرقد المنيف المُصطفوي، فعند وصول الخبر إليه، وتحقُّق الماجرية لديه، فأشمر عن ساعد الجِد، وقام من حينه إلى المسجد، واستدعى نائب قاضيها وهذا الحقير، وأعيان أغوات المسجد الشريف، ومن له بذلك معرفة وتحرير، وقاسوا جميع الحُجرة البهيَّة، والمراقد الزكيَّة.

فخطر حينئذ لهذا الحقير أقل الخليقة، ومَن لا شيء في الحقيقة أن يكتُب عُجالة في ذكر من كسا الحُجرة الغرَّاء والبُقعة الزهراء، وأول من كان مُظهرًا لهذه المِنَّة العظيمة والموهبة الجسيمة، وسمَّيتُها "الدُّرَّة البهيَّة في كسوة الحُجرة النبوية".

ورتبتُها على ثلاثة فصول وخاتمة: الفصل الأول فيمن كساها من ملوك الزمان قبل آل عُثمان، الفصل الثاني في أول من كساها من ملوك آل عُثمان، خلَّدَ الله ذكرهم على ممر الزمان، وذيلته بفائدة في تبخير المسجد والحُجرة، وكل من عظَّمها عَظَّمَ الله قدره، الفصل الثالث فيما جرت العادة بكسوته من المراقد في البقيع وغيره[٣أ] من المشاهد، الخاتمة في ذكر نقل الكسوة وبيعها، وحُكم ذلك.

والله المسؤول أن يُقارن عملهم بالقبول، إنه خير مأمول بجاه نبيِّه المُصطفى الرسول.

(١) هو محمد باشا رامي، تولى في شعبان سنة١١١٦هـ حتى رجب ١١١٨هـ. انظر: ابن الوكيل: تحفة الأحباب، ص٢٩٠-٢٩١؛ القلعاوي: صفوة الزمان، ص٢١١-٢١٢.

(٢) ب: الكسوة.

(٣) لم أهتد لترجمته.

الفصل الأول

فيمن كساها من ملوك الزمان قبل آل عُثمان

حكى ابن النجَّار في تاريخه[١]، ونقله عنه مؤرِّخ المدينة السيد العلَّامة السمهودي في تاريخه "وفاء الوفا بأخبار دار المُصطفى"- وهو كتاب لم يؤلَّف في تاريخ المدينة المُنوَّرة أفضل منه- أنَّ أول من كسا الحُجرة المُطهَّرة الأمير سيف الدين الحُسين ابن أبي الهيجاء[٢]، أحد وزراء العُبيديين ملوك مصر، فعمل ستارة دبيقي[٣] بيضاء، وعليها طراز مخيط بالإِبْرَيْسَم[٤] الأصفر والأحمر، وكتب عليه سورة يس بتمامها، وأرسل بها، فلمَّا وصلت وأراد تعليقها منعه الشريف قاسم بن مُهنَّا الحُسيني[٥] أمير المدينة المُنوَّرة يومئذ، وقال: "حتى نستأذن الخليفة الإمام المُستضيء بالله العبَّاسي[٦]"، فلمَّا بعث واستأذنه في تعليقها وجاء الإذن بذلك، فعلَّقها.

ثم بعد نحو عامين جاءت من الخليفة نفسه ستارة من الإِبْرَيْسَم البنفسجي، عليها طراز ودوائر بيض مُخاطة بها، مكتوب عليها أسماء الخُلفاء الأربعة رضوان الله عليهم، ومكتوب على طرازها برسم الإمام المُستضيء بأمر الله، فرُفِعَت الأولى، ونُقلت إلى مشهد سيدنا علي بن أبي طالب ﷺ بالكوفة، وعُلِّقت هذه عوضها، وكانت خلافة المُستضيء بأمر الله هذا في سنة ست وستين وخمسمائة إلى سنة خمس وسبعين.

فلمَّا ولي الإمام الناصر لدين الله الخليفة العبَّاسي أرسل ستارة أُخرى من الإِبْرَيْسَم الأسود، وطرازها[٣ب] دوائر من الإِبْرَيْسَم الأبيض، فعُلِّقت فوق تلك، فلمَّا حجَّت أُم الخليفة، وعادت إلى العراق عملت ستارة من الإِبْرَيْسَم الأسود أيضًا صورة تلك، وأرسلت بها فعُلِّقت.

قال ابن النجَّار: ففي يومنا هذا ثلاث ستائر بعضهن على بعض[٧]. انتهى

يقول أقل الخليقة: قد كان الرسم قديمًا في الكعبة الشريفة أن تبقى الكسوة مُتراكمة عليها، حتى إذا

(١) يُسمَّى "الدُّرَّة الثمينة في تاريخ المدينة"، وهو مطبوع.

(٢) سبق ترجمته.

(٣) هامش ب: "دبيق كأمير، قرية بمصر"، كانت بالقرب من تنيس، وهي اليوم من القرى المندثرة، ومكانها اليوم تل دبقو بالقرب من شاطئ بحيرة المنزلة. انظر: محمد رمزي: القاموس الجغرافي، مج١، ص٢٤٣.

(٤) هو من أجود أنواع الحرير.

(٥) انفرد بولاية المدينة خمسًا وعشرين سنة دون منازع، وتوفي سنة٥٨٣هـ بالمدينة. انظر: السخاوي: التحفة اللطيفة، ج٣، ص٤٠٤-٤٠٥.

(٦) هو الحسن بن المستنجد بالله يوسف بن المقتفي لأمر الله محمد بن المستظهر بالله، وسيأتي فترة خلافته في المتن، توفي سنة٥٧٥هـ. انظر: السيوطي: تاريخ الخلفاء، ص٦٨١-٦٨٥.

(٧) وفاء الوفا، ج٢، ص٣٤٨-٣٤٩. وعلَّق السمهودي على ذلك بقوله: "وفي كلام رزين ما يقتضي مُخالفته، فإنه قال في ضمن كلام نقله عن محمد بن إسماعيل ما لفظه: فلمَّا كانت ولاية هارون أمير المؤمنين، وقدمت معه الخيزران أمرت بتخليق مسجد رسول الله، وتخليق القبر، وكسته الزنابير وشبائك الحرير. انتهى".

تكاثرت خففوا منها خوف وهن الجدار، وذلك قبل أن يُقرِّر لها الملوك كسوة كل عام، فلمَّا تقرَّرت لها كل عام كسوة تقرَّر الرسم أنَّ القديمة يرفعها بنو شيبة خُدَّام البيت الشريف، ويقسمونها على قاعدة مُقرَّرة بينهم، والظاهر أنهم جروا في أول ما كُسيت الحُجرة المُشرَّفة على هذا، فلمَّا جَدَّدَ لها الملك الصالح وقفًا مُقرَّرًا على عمل الكسوة في كل مُدَّة معلومة كما سيأتي تقرَّرت عادتهم أيضًا على قسمها، فتنبَّه.

قال السيد في "وفاء الوفا": واعلم أنَّ في دولة السُّلطان الصالح إسماعيل ابن المَلِك الناصر محمد بن قلاوون[١] اشترى قرية من بيت مال المُسلمين بمصر، ووقفها على كسوة الكعبة المُشرَّفة في كل سنة، وعلى كسوة الحُجرة المُقدَّسة والمنبر الأنور في كل خمس سنين مرَّة. هكذا ذكرهُ التقي الفاسي في "شفاء الغرام تاريخ البلد الحرام"، وذكرهُ الزين المراغي في "تاريخ المدينة المُنوَّرة"، إلا أنه قال[٢] في الوقف على الحُجرة المُطهَّرة: "في كل ست سنين مرَّة، تُعمل من الديباج الأسود مرقوم[٣] بالحرير الأبيض، ولها طراز منسوج بالفضة المُذهَّبة دائر عليها[٤].

قال السيد المرحوم: "قُلْتُ: وما ذكرهُ من المُدَّة المذكورة بالنسبة إلى الحُجرة الشريفة كأنه كان معمولاً به في زمنهما، فأمَّا زماننا فتمضي عشر سنين ونحوها ولا يُعمل، نعم كلما ولي ملك بمصر فإنه يعتني بإرسال كسوة، وقد ذكر الحافظ ابن حجر العسقلاني في "فتح الباري شرح صحيح البُخاري"[٤أ] في الكلام على كسوة الكعبة أنَّ الصالح هذا اشترى ثُلثي بلد يُقال لها "سِنْدْبيس"[٥] من وكيل بيت المال، ووقفها على كسوة الكعبة الشريفة، ولم يتعرَّض لكسوة الحُجرة المنيفة، فكأنه أتى بما هو بصدده من كسوة الكعبة المُشرَّفة، وسكت على الثُلث الثالث، ولعله يتعلَّق بكسوة الحُجرة المُطهَّرة"[٦]. انتهى

---

(١) تسلطن الصالح إسماعيل يوم الخميس ٢٢محرم سنة٧٤٣هـ، وكان القائم بأمر سلطنته الأمير جنكلي بن البابا، ولم تطل مدة الصالح فمات في ٢٠ربيع الأول سنة٧٤٦هـ، وكانت مدته ثلاث سنين وشهرًا وثمانية عشر يومًا، عرف عنه السكون والعقل فكان أفضل أخوته. انظر: المقريزي: السلوك، ج٢، ص٦١٩-٦٨٠؛ ابن تغري بردي: مورد اللطافة، ج٢، ص٧٥-٧٨.

(٢) أي المراغي.

(٣) لعل الصواب: مرقومًا.

(٤) ج٢، ص٣٥١.

(٥) ذكر السخاوي أنَّ القرية هي بيسوس، وقفها السلطان في سنة ٧٤٣هـ، وبالعودة إلى ابن الجيعان تبين أنَّ بيسوس كانت وقف على كسوة الحرمين الشريفين، وأنَّ سندبيس كانت وقف على خُدَّام الحجرة النبوية. انظر: التحفة السنية، ص٩، ١١؛ وجيز الكلام، ج١، ص١٤.

وبيسوس(باسوس)، وسندبيس كانا من قرى مركز قليوب، واليوم هُما من قرى مركز شبين القناطر بالقليوبية. انظر: محمد رمزي: القاموس الجغرافي، مج٢، ص٥٥، ٥٦.

(٦) وفاء الوفا، ج٢، ص٣٥١. وقال السخاوي: "ولم يزل الخلفاء والملوك يتداولون كسوة الحجرة والكعبة إلى أن وقف عليها الصالح إسماعيل بن الناصر محمد بن قلاوون في سنة ثلاث وأربعين وسبعمائة قرية من ضواحي القاهرة يقال لها بيسوس، كان اشترى الثلثين منها من وكيل بيت المال، ثم وقفها على كسوة الكعبة، وكان الثلث الثالث للحجرة والمنبر، فاستمر إلى

فقد استبان من هذا أنَّ ألوان الكسوة قد تنوعت إلى ألوان بحسب اختيار الآمر بها، وإنما اختارت دولتنا- أيدهم الله تعالى- عملها من الإِبْرَيْسَم الأخضر لما أنه قد صار لباس الشُّرفاء الآن، فناسب ذلك استنادًا إلى حديث: "إنَّ إبراهيم يُكسى يوم القيامة حلة حمراء، وأنهﷺ يُكسى حُلة خضراء، فإذا كان يوم القيامة، وهو أشرف يوم عليهﷺ، حيثُ يُشرِّفَهُ الله فيه بالشفاعة والمقام المحمود إنما يُكسى فيه حُلة خضراء"، ناسب أن يكون ذلك على مقامهِ الشريف، ولمَّا كان البيت الشريف من آثار سيدنا إبراهيم عليه السلام ناسب أن يكون كسوة داخله حمراء، كما هو عادتهم الآن، والحمدُ للهِ على توفيق أرباب دولتنا إلى هذه اللطائف، واختصاصهم بهذه المزايا، وتفردهم بها عن ملوك الدُّنيا.

(تتمة)

لمَّا كان مرقد سيدتنا فاطمة الزهراء- رضي الله عنها- على أحد[1] الروايات داخل دائرة الحُجرة المُطهَّرة في بيتها المُنوَّر[2]، وعلى ذلك صندوق[3] جرت العادة بكسوته أبدًا من كسوة الحُجرة المُطهَّرة، وكذا كسوة قبر سيدنا إبراهيم بن رسول اللهﷺ، وأمَّا باقي المشاهد اللاتي ستأتي، فكسوتها من نسج دون كسوة الحُجرة المُطهَّرة. هكذا جرت العادة قديمًا.

وأيضًا جرت العادة أنَّ كسوة الحُجرة المُطهَّرة[٤ب] وداخل البيت الشريف تأتي مَخيطة من مصر، وأمَّا باقي المراقد والمشاهد فيأتي لها قُماش منسوج مع بطانته ونوَّاره بقدر كفايته، مع زيادة كثيرة، ويُخاط كل ذلك في المدينة المُنوَّرة، والدَّاعي لذلك أنَّ صورة أعالي المراقد الشريفة مُختلِف الوضع: منها ما هو نصف دائرة، ومنها ما هو مُسنَّم، ومنها ما هو مُسطَّح، إلى غير ذلك، فهذا الذي منعهُم عن خياطتها بمصر، وأيضًا ربما يتمزَّق بعضها من لمس الأيدي أو أكل الأرضة، ويُحتاج كل وقت إلى تجديد، مع تطاول المُدَد بين التجديدين، فلا بُدَّ من إرسال قدر زائد على الكفاية، ويبقى ذلك في الحُجرة محفوظ[4]، يخرجون منه بقدر الحاجة إليه بمعرفة شيخ الحرم الشريف وكبار الأغوات والأعيان، ويُحرَّر في الدفتر، هكذا العادة في ذلك.

سلطنة المؤيد شيخ، فكسا الكعبة من عنده سنة لضعف الوقف، ثم فوَّض أمرها لبعض أمرائه، فاستمر بالنسبة للكعبة، وما عداها فإنما يُرسل في كل عشر سنين، نعم كلما ولي بمصر ملك يعتني بإرسالها غالبًا". انظر: التحفة اللطيفة، ج١، ص٦١.

(١) لعل الصواب: إحدى.

(٢) عما قيل في موضع قبر السيدة فاطمة. انظر: السمهودي: وفاء الوفا، ج٣، ص٢٨٠-٢٨٩.

(٣) عن هذا الصندوق. انظر: السمهودي: وفاء الوفا، ج٢، ص٣٤٠.

(٤) لعل الصواب: محفوظًا.

الفصل الثاني

في ذكر من كسا الحُجرة المطهرة من ملوك آل عُثمان

لا زال مُلكهم باق[1] على ممر الزمان

فأول من اعتنى بذلك منهم المرحوم المبرور السُّلطان سُليمان خان[2] بن سليم خان عليه الرحمة والرضوان، فإنه وقف عِدَّة قُرى بمصر المحروسة[3]، وعيَّن فائضها للكسوة ظاهر الكعبة الشريفة وباطنها، وظاهر الحُجرة ومشاهد البقيع، وغير ذلك.

وقد كُنْتُ رأيتُ صورة تلك الوقفية جميعها في مجموع يشتمل على تاريخين صغيرين: أحدهما لمكة، والآخر للمدينة، والوقفية بينهما، وعليها صورة إمضاء المرحوم أبي السعود أفندي[4] وأهل عصره من الموالي العظام والوزراء الفِخَام، وهي من كُتب صدر الموالي العظام مولانا ولي الدين أفندي كواكبي زاده[5].

وكان مضمونها أنَّ حضرة المرحوم المبرور السُّلطان سُليمان[٥أ] خان قد وقف عِدَّة قُرى بمصر المحروسة على كسوة ظاهر البيت الحرام وثوب مقام سيدنا إبراهيم عليه الصلاة والسلام في كل عام، وعلى كسوة داخل الكعبة الشريفة، وكسوة الحُجرة المُطهرَّة، مع مراقد أهل البقيع وغيرهم، في كل خمسة عشر عامًا، ثم ذكر أسماء القُرى المزبورة[6] وحدودها، وفائض الحاصل من كل واحد منها، ومجموع ذلك، ثم ذكر أنه أمر بعمل كسوة جميع ما ذكر في ذلك العام، ثم قابل المُنصرف على كسوة ظاهر البيت ومقام إبراهيم الخليل بفائض القُرى لسنة فزاد الفائض مبلغًا له قدر، فضربه في فائض خمسة عشر عامًا، وقابله بالمُنصرف على كسوة داخل البيت الحرام وكسوة ظاهر حُجرة المُصطفى- عليه الصلاة والسلام- وغيره من المراقد كما هو مُفصَّل فيه، فزاد قدرًا مسطورًا فيها، فقرَّر طريقًا لهذه الزيادة، ولكن مع طول المُدَّة لم يبق في ذهني تحقيق ذلك.

وكان وقوفي عليها عام رحلتي إلى إسلامبول آخر سنة ثلاثين ومائة وألف، واتفق حينئذ أنه جرى ذكر ذلك مع المرحوم عبد القادر أفندي بن رمضان أفندي الدفتردار[7] في أوائل سنة إحدى وثلاثين،

---

(١) لعل الصواب: باقيًا.

(٢) أشهر سلاطين الدولة العثمانية، تولى السلطنة بعد وفاة والده سليم سنة٩٢٦هـ، واستمر فيها حتى موته في سنة٩٧٤هـ. انظر: الغزي: الكواكب السائرة، ج٣، ص١٣٩-١٤١.

(٣) عن أسماء الأراضي الموقوفة. انظر: الإسحاقي: أخبار الأول، ص١٥١.

(٤) هو أبو السعود محمد بن محيي الدين محمد العمادى الأسكليبي الحنفي، تولى إفتاء السلطنة ثلاثين سنة حتى مات سنة٩٨٢هـ، وله كثير من المؤلفات. انظر: الغزي: الكواكب السائرة، ج٣، ص٣١-٣٣.

(٥) لم أهتد لترجمته.

(٦) أي المكتوبة.

(٧) توفي قبل سنة ١١٣٨هـ، ولم أهتد لترجمته.

وهو دفتر أميني يومئذ، فرأيته رغب في الوقوف على تحقيق هذه الوقفية، فقصدتُ المولى ولي الدين أفندي، وأخذتُ المجموع، ونقلتُ صورتها على أوراق ألصقتها طومارًا مُستطيلاً، ونقلتُ صورة إمضاء من أمضى عليها، ثم لخصتُ خُلاصتها جميعها بلا إخلال، فعرضتُه على حضرت صدر صدور الوزراء العظام مولانا إبراهيم باشا[١]- أعظم الله شأنه- لأمر اقتضاه الحال، فاستدعى حضرت صدر أرباب الأقلام إبراهيم أفندي الدفتردار[٢]، وسأله عن فائض تلك القُرى، فأخبرهُ[٥ب] أنَّ فائضها محسوب من جُملة مال الخزينة العامرة المحمول من مصر المحروسة كل عام. هكذا أخبرني عبد القادر أفندي رحمه الله تعالى.

وأظن أنَّ تلك الصورة باقية في أوراق عبد القادر أفندي إلى الآن، فهذا ما وقفتُ عليه من الوقف على الكسوة الشريفة.

وقد ذكر العلَّامة السيد محمد كبريت الحُسيني المدني في كتابه "الجواهر الثمينة في محاسن المدينة" أنَّ كسوة الحُجرة النبوية وصلت في زمن السُّلطان سُليمان خان بن سليم خان مرَّتين[٣].

وقد أدركنا كسوة وصلت في سنة خمسٍ أو ستٍّ وتسعين[٤]، أرسل بها المرحوم السُّلطان محمد خان ابن السُّلطان إبراهيم خان[٥]، ثم أرسل السُّلطان مُصطفى بن محمد خان[٦] كسوة أخرى سنة ألف ومائة وأحد عشر، وكان المأمور بعملها: الحاج سُليمان باشا مُحافظ جُدَّة، وشيخ حرم مكة، وأمير عمارة المدينة المُنوَّرة، فأمر بعملها في مصر المحروسة كما سمعته منه مرارًا، غير أنها لمَّا وصلت في آخر تلك السنة صُحبة أيوب بيك[٧] أمير الحاج المصري، وألبسوها على العادة وجدوها ناقصة نحو الثُّلث، وكانت صُحبته كسوة كثيرة لباقي المراقد والمشاهد، فخاطوا منها جميع الناقص في يومه، وأُكمل إلباسها، فصارت غير مُتناسبة، بحيثُ يُدرك ذلك كل مُتأمل من الزائرين.

قال السيد العلَّامة السمهودي: وعادتهم إذا وردت كسوة جديدة أنَّ شيخ الخُدَّام يُقسِّم الكسوة العتيقة

---

(١) لم أهتد لترجمته.

(٢) لم أهتد لترجمته.

(٣) ص٨٨.

(٤) يقصد بعد خمسٍ أو ستٍ وتسعين بعد الألف.

(٥) هو السُّلطان محمد الرابع بن إبراهيم الأول، تولى السلطنة سنة١٠٥٨هـ، وخلع سنة١٠٩٩هـ. انظر: ابن الوكيل: تحفة الأحباب، ص٢٠٥-٢٠٧.

(٦) هو السُّلطان مصطفى الثاني بن محمد الرابع، تولى السلطنة سنة١١٠٦هـ حتى عُزل سنة١١١٥هـ، وتوفي في السنة نفسها. انظر: ابن الوكيل: تحفة الأحباب، ص٢٠٨.

(٧) تولى إمرة الحج سنة ١١٠٧هـ، واستمر في الإمرة عشر سنين، وكان ينظر إلى الفقراء بعين الرأفة والشفقة، ثم عزل سنة١١١٧هـ ليتولى الدفترداية، وشارك في فتنة إفرنج أحمد فهزم، وفر هاربًا، فمات طريدًا سنة ١١٢٤هـ. انظر: الرشيدي: حسن الصفا والابتهاج، ص٢١١؛ الجبرتي: عجائب الآثار، ج١، ص١٧٥.

على الخُدَّام ومن يراه من غيرهم، ويُحمل إلى سُلطان مصر منها جانبًا[١].

قال السيد محمد كبريت: وقد جرت العادة المُستمرة بقسمة الكسوة بين أغوات المسجد والخُطباء والأئمة والفرَّاشين بمسجد سيد المُرسلين، ويُرسلون لحضرة سُلطان آل[٦أ] عُثمان منها قدرًا معلومًا حسبما جرت به العادة المُقرَّرة في الدفاتر المُحرَّرة[٢].

يقول أقل الخليقة: قد كان الرسم في كل كسوة ترد إلى هذه الحُجرة الشريفة من زمن السُّلطان سُليمان خان إلى زمن السُّلطان مُصطفى خان كذلك، وقبلهم من ملوك مصر كذلك كما حكاه السيد السمهودي، ولكن ورد من حضرته[٣]- رحمه الله تعالى- فرمان عند إرسالهِ الكسوة المذكورة بنقل القديمة إلى سُدَّة سعادته صُحبة خزينة دار الحرم الشريف النبوي، فسافر بالقديمة سُليمان أغا خزينة دار الحرم في افتتاح سنة اثني عشر ومائة وألف، ووقع على الحاج الشامي ما وقع من عُربان عنزة وبني الصخر، وقُتِلَ سُليمان أغا شهيدًا، ولم يبق من الكسوة إلا بعضها، وهو الذي وصل إلى الدولة العليَّة صُحبة أتباع سُليمان أغا المذكور في تلك السنة.

والظاهر أنَّ تغافل الملوك الأولين عن طلبها إليهم بجُملتها واهتمامهم بها أنهم لمَّا شرَّفهم الله بالخدمة لهذه المواطن المُشرَّفة بالاستقلال، ولم يصل لأهالي الديار القاصية إلا الآثار قصدوا ترك ذلك للخُدَّام، ليتصرفوا فيه بالبيع والهبة على أهل الآفاق، ويحصل الانتفاع للخُدَّام لفقرهم وحاجتهم، وفي هذه المرَّة الأخيرة لمَّا أخذهُ العُربان جعلوا منه بيوتًا يستظلون بها، فحصل لها امتهان، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

(فائدة)

روى عبد الله بن عبَّاس- رضي الله عنهما- في تفسير قوله تعالى: Mوَعَهِدْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَنْ طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ[٦ب] وَالرُّكَّعِ السُّجُود ¬ L[٤] قال: "نظِّفاه، وبَخِّراه، وخَلِّقاه".

قال في الصَّحَاح[٥]: "والخَلُوق ضربٌ من الطيب، وقد خلَّقهُ أي طيَّبهُ بالخَلُوق"[٦].

وروى يحيى النسَّابة الحُسيني العلوي من طريق محمد بن الحسن الشهير بابن زَبالة- بفتح أوله، وهو من أصحاب الإمام مالك- عن علي بن الحسن بن الحسن بن الحسن أنَّ رسول اللهﷺ أمر بإجمار المسجد، وقال: لا أعلمه إلا قال يوم الجُمعة.

---

(١) وفاء الوفا، ج٢، ص٣٥١.

(٢) انظر: الجواهر الثمينة، ص٨٨.

(٣) أي السُّلطان أحمد.

(٤) سورة البقرة، الآية ١٢٥.

(٥) هو "تاج اللغة وصحاح العربية" المعروف بالصَّحَاح لإسماعيل بن حماد الجوهري(ت:٣٩٣هـ).

(٦) ص١٤٧٢.

وروى ابن ماجة في "سُننهِ" عن واثلة بن الأسقع عليه السلام أنَّ رسول اللهﷺ قال: {جنِّبوا صبيانكم مساجدكم ومجانينكم، وشراءكم وبيعكم، وخصومتكم، ورفع أصواتكم، وإقامة حدودكم، وسل سيوفكم، واتخذوا على أبوابها المطاهر، وجَمِّروها}.

وقد أتى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه بعِدْل بعير فيه عود بخور فلم يسع قسمه بين الناس، فقال عمر رضي الله عنه: "أجمروا به المسجد لينفع به المُسلمون"، فبقي سُنَّة في الخُلفاء، يؤتى كل عام بعِدْل بعير من عود بخور يُجمَّر به المسجد ليلة الجُمعة ويوم الجُمعة عند المنبر إذا كان الخطيب يخطب(١).

وكان عبد الله بن الزُّبير رضي الله عنه يُجمِّر الكعبة كل يوم برطل من البخور، ويوم الجُمعة برطلين، واستمرت الخُلفاء بعد ذلك على بعث ما يكفي للبخور مُدَّة خلافتهم.

يقول أقل الخليقة: إنَّ الدولة العالية قد قرَّرت دراهم ليُشترى بها عود بخور ليُبخَّر به الحُجرة المُطهَّرة كل ليلة جُمعة لا غير، وكذلك يصل صُحبة الحاج الشريف كل عام جُملة من النَّدِّ، وهو بخور معجون، قد عُمِلَ قضبانًا، يُوقد طرفه فيتقد كله بالتدريج، ويُشعل هذا عند[٧أ] غروب شمس كل ليلة داخل الحُجرة المُعطَّرة.

وأمَّا جميع المسجد النبوي والروضة الشريفة بين القبر والمنبر، الثابت بالحديث الصحيح أنها روضة من رياض الجنَّة، فلم يُعيِّن أحد من الملوك لتبخيرها شيئًا، وقد كانت الخُلفاء يبعثون لتبخير المسجد والروضة والمنبر، وكذا لتخليقِهِ بالطيب ما يكفيه لكل السنة، وهذا شيء قد تُرِكَ الآن، فلعلَّ الله يُقيِّض من يُحيي هذه السُّنَّة، ويُجدِّد شيئًا برسم تبخير المسجد يوم الجُمعة قبل خروج الإمام للخُطبة، كما فعله أمير المؤمنين عمر بن الخطابt، واستمرت عليه الخُلفاء بعده إلى انقراض دولتهم، ولكن نسأل الله سُبحانه إن وفَّق فاعله لهذا الخير ويُقرنه بإقامة رجُل ناصح مُستقيم يُجري شرط مُرسله كما شرطه، لا كما نُشاهدهُ في أكثر المُعيَّن، وضياعه في غير موضعه، والله الموفِّق للصواب بمَنِّهِ وكرمه.

(١) من أول "وروى يحيى" نقله من السمهودي: وفاء الوفا، ج٢، ص٤٤٩-٤٥٠.

الفصل الثالث

فيما جرت العادة بكسوتهِ من المراقد والمشاهد

[مشاهد البقيع]

مشهد سيدنا عُثمان بن عفَّان: ثالث الخُلفاء، وصهر النبي المُصطفىﷺ ورضي عنه.

مشهد سيدنا إبراهيم بن رسول اللهﷺ: عليه صندوق مُربَّع، وفي شماله قطعة مفصولة بدرابزين فيها قبر عُثمان بن مظعون[1]، أول من دفنه رسول اللهﷺ بيدهِ الشريفة، وأدخله القبر بنفسه، وكان من المُهاجرين الأولين، وفيه من العشرة المُبشَّرة: سعد بن أبي وقاص، وعبد الرحمن بن عوف، ومن المُهاجرين الأولين أيضًا: خُنيس بن حُذافة السَّهمي[٧ب]، وعبد الله بن مسعود، ومن الأنصار: أسعد بن زُرارة، وفيه رُقيَّة بنت رسول اللهﷺ، وفاطمة بنت أسد أُم علي رضي الله تعالى عنهُما، ويُستر الجميع بستارة من الكسوة المُعتادة.

مشهد حضرت العبَّاس بن عبد المُطلب عم سيدنا رسول اللهﷺ ورضي عنه: وهو في قبر على حِدَة، وفي شرقيِّهِ قبر سيدنا الإمام الحسن بن علي بن أبي طالب، وابن أخيه علي زين العابدين، وابنه محمد الباقر، وابنه جعفر الصادق رضي الله عنهم، كلهم في قبر واحد.

ويُقال: إنَّ حضرت فاطمة الزهراء - رضي الله عنها - مدفونة في محراب هذا المشهد على إحدى الروايات، وعلى هذا المحراب ستارة من الكسوة أيضًا.

مشهد زوجات رسول اللهﷺ: وفيه جميع زوجاته غير خديجة وميمونة، فإنهما بمكة، رضي الله عنهنَّ أجمعين.

مشهد بناتهﷺ: وفيه أم كلثوم، وحضرت فاطمة الزهراء في رواية أيضًا[2].

مشهد عمَّاتهﷺ: فيه قبران: أحدهما قبر صفيَّة بنت عبد المُطلب عمّة رسول اللهﷺ، وأم الزُّبير بن العوام أحد العشرة المُبشَّرة، وقبر عمَّةٍ أُخرى إلى جانبها.

مشهد عبد الله الجواد بن جعفر الطيار بن أبي طالب: ابن ابن عم رسول اللهﷺ.

مشهد سعد بن مُعاذ: أحد النُّقباء ليلة العقبة، وسيد الأنصار، واشتهر على ألسنة العوام أنه قبر فاطمة بنت أسد أُم سيدنا علي، وليس بصحيح، بل الصحيح أنها في قبر إبراهيم بن رسول اللهﷺ، وفي شرقيِّهِ قبر أبي سعيد الخُدْري بن مالك بن سنان المُتقدَّم ذكرهرضي الله عنه [3] [٨أ].

مشهد الإمام مالك بن أنسرضي الله عنه.

---

(١) ب: مضعون.

(٢) سبق التعليق على ما قيل في قبر السيدة فاطمة رضي الله عنها.

(٣) لم يتقدم شيء.

مشهد الإمام نافع: شيخ السبعة القُرَّاء المشهورين.

فهذه المشاهد جميعها في مقبرة البقيع الشريف، الذي هو أفضل مقبرة على وجه الأرض، وقد ورد في فضلها أحاديث كثيرة، وآثار من الكتب المُنزَّلة شهيرة بأنه يُحشر منها سبعون ألفًا، ومع كل ألف أو مع كل واحد سبعون ألفًا يدخلون الجنَّة بلا حساب، وثلاث حثيات من حثيات ربنا، وأنها موكلة بملائكة، كلما امتلأت أخذوا بأطرافها فكفوها في الجنَّة، كما فصَّل كل ذلك السيد السمهودي في تاريخه[1] فليُراجع.

[مشاهد خارج البقيع]

وبقي مشاهد في غير البقيع:

مشهد حمزة بن عبد المُطلِب: عمّ رسول اللهﷺ، وسيد الشُّهداء، ومن معه من شُهداء أُحُد.

مشهد مَالِك بن سِنَان: حامل الراية يوم غزوة أُحُد، واستشهد يومئذ، ونقلته فرسه حتى ألقته داخل المدينة المُنوَّرة، حيثُ قبره الآن، ولم يُعيدوه إلى أُحُد مع أصحابه، لقولهﷺ يومئذ: {ادفنوا القتلى في مصارعهم}.

مشهد إسماعيل بن جعفر الصادق بن محمد الباقر السابق ذكره رضي الله عنهم.

مشهد محمد الزكي بن عبد الله الكامل بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم[2].

(١) انظر: ج٣، ص٢٦١-٢٦٧.

(٢) عن تفصيل الحديث عن هذه المشاهد كلها. انظر: السمهودي: وفاء الوفا، ج٣، ص٢٦٨-٣١١.

خاتمة

في حُكم بيع الكسوة وتملُّكها

قال السيد السمهودي الشافعي في تاريخه المذكور: "وحُكم بيع الكسوة المذكورة حُكم بيع كسوة الكعبة، وقد اختلف العُلماء في ذلك قديمًا، وفي المسألة عندنا[٨ب] وجهان، وقال الحافظ صلاح الدين ابن خليل العلائي أنه لا يتردد في جواز ذلك الآن؛ لأنَّ وقف الإمام الضيعة المُقدَّم ذكرها على الكسوة كان بعد تقرُّر هذه العادة والعلم بها، فتنزل لفظ الواقف عليها"[١]. انتهى ما في التاريخ المذكور، وهذا حُكم مذهب الإمام الشافعي رضي الله تعالى عنه.

وأمَّا الحُكم في مذهب الإمام الأعظم أبي حنيفة، فقال العلَّامة فخر الدين قاضي خان في كتاب الوقف من فتاواه: "ديباج الكعبة إذا صار خَلِقًا يبيعه السُّلطان، ويستعين به في أمر الكعبة؛ لأنَّ الولاية فيه للسُّلطان لا لغيره"، وفي "تتمة الفتاوى"[٢] عن الإمام محمد في سِتْر الكعبة يُعطى منه إنسان، فإن كان شيءً له ثمن لا يأخذه، وإن لم يكن له ثمن فلا بأس به[٣].

قال العلَّامة قُطب الدين الحنفي مُفتي مكة المُشرَّفة: "في المسألة تفصيل. إن كانت من قِبَل السُّلطان من بيت المال فأمرها راجع إليه، يُعطيها لمن شاء من الشيبيين وغيرهم، وإن كانت من أوقاف السلاطين أو غيرهم فأمرها راجع إلى شرط الواقف فيها، فهي لمن عيَّنها له، وإن جُهِلَ شرط الواقف فيها عُمِلَ فيها بما جرت به العوائد السالفة كما هو الحُكم في سائر الأوقاف، وكسوة الكعبة الشريفة الآن من أوقاف السلاطين، ولم يُعلم شرط الواقف فيها، وقد جرت عادة بني شيبة أنهم يأخذون لأنفسهم الكسوة العتيقة بعد وصول الكسوة الجديدة، فيبقون على عادتهم فيها"[٤]. انتهى

يقول أقل الخليقة: لا يختلف الحُكم بين كسوة الكعبة الشريفة وكسوة الحُجرة المُطهَّرة، وقد ذكر السيد السمهودي- وكان في عُشر التسعين وثمانمائة- أنَّ الواقف حيثُ وقف وقفه، وبها عادة مُستمرة، ولم[٩أ] يغيرها، ولم يشترط شرطًا يُغاير العادة الجارية، فينزل لفظ الواقف عليها، وكذلك ذكر العلَّامة القُطبي الحنفي أنه إذا جُهِلَ شرط الواقف عُمِلَ فيها بما جرت به العوائد السالفة.

وهي مسألة دائرة في كتاب الوقف من غالب كُتب الشروح والفتاوى، معمول بها بين عُلماء المذهب بلا خلاف، ونقلها العلَّامة الخير الرملي في "الفتاوى" عن الذخيرة وأوقاف الخصاف، وهُما العُمدة في هذا الباب.

وقد قرَّر كلٌّ من الحافظ صلاح الدين العلائي والقُطب الحنفي أنَّ العادة جرت بقسمة كسوة الكعبة

---

(١) وفاء الوفا، ج٢، ص٣٥٢.

(٢) هي لبرهان الدين محمود بن أحمد بن عبد العزيز البخاري الحنفي المعروف بابن مازة(ت:٦١٦هـ).

(٣) الإعلام بأعلام بيت الله الحرام، ص٧٢-٧٣.

(٤) الإعلام، ص٧٤.

وتملُّكها، وكذلك ذكر السيد السمهودي أنَّ كسوة المدينة كذلك، وذكرهُ العلَّامة محمد كبريت أيضًا[1]، وهو الذي عليه العمل أكثر من مائتي عام، ولم أر المرحوم السُّلطان سُليمان خان- قدس الله روحه في الجنان- ذكر شيئًا في حُكم الكسوة المخلوعة، وإنما قال:

"يُكسى ظاهر الكعبة، ومقام إبراهيم عليه الصلاة والسلام كل عام، ويُكسى داخل البيت، وظاهر الحُجرة، ومراقد أهل البقيع كل خمسة عشر عامًا مرَّة".

فالظاهر من صنيعه أنه أبقى ما كان على ما كان، على الرسم القديم في المخلوعة، فيُجرى الحُكم عليه الآن كذلك.

يقول أقل الخليقة: وليس في فعل المرحوم حضرت السُّلطان مُصطفى خان- رحمه الله تعالى- وطلبه ما يقدح فيه بأنه خالف شرط الواقف، أو ارتكب أمرًا مُحرَّمًا، بل كان فعله مُوافقًا لوجه شرعي، لأنَّ عُلماءنا- رحمهم الله تعالى- قد نقلوا عن مبسوط شيخ الإسلام خواهر زاده[2] أنه يجوز للسُّلطان مُخالفة شرط الواقف إذا كان غالب جهاته قُرى ومزارع، وهذا منه، فكان فعله- رحمه الله- شرعيًّا[٩ب]، إلا أنه فات غرض المُتغافلين عنه أو لا، من انتشار القديمة في آفاق الأرض للتبرُّك بها، حيثُ تشرَّفت بهذا المقام العظيم.

[خاتمة المؤلِّف]

وهذا آخر ما قصدتُ جمعه في هذا الوجه الجميل، والمطلب الجليل، قارنه الله بالقبول، إنه ولي كل مأمول، وإن كان في الأجل فسحة وفي العيش سعة لتفرُّغ الخاطر، فالضمير منطوٍ على مؤلَّف في مآثر المدينة على وجه الاختصار يتكفَّل بجميع ما جدَّدهُ وعمَّرهُ حضرت ملوك آل عُثمان من المآثر في المدينة المُنوَّرة، ليبقى به ذكرهم الجميل، ويمتد لهم به الدعاء الجزيل، يَسَّرَ الله ذلك على أحسن حال وأنعم بال بمنِّهِ وكرمه.

قاله عُجالة مؤلِّفه أقل الخليقة السيد محمد ابن السيد أسعد الحنفي المُفتي بالمدينة المُنوَّرة أواخر ذي القعدة الحرام سنة ١١٣٨، وصلَّى على سيدنا محمد وآلِهِ وصحبهِ وسلَّم.

[تقييد الفراغ]

تمَّت بقلم الحقير أقل الخليقة السيد عبد الله بن السيد أسعد الحنفي المُدرِّس بالروضة النبوية عفا عنه، وذلك يوم السبت المُبارك ثالث مُحرَّم الحرام افتتاح عام تسع وثلاثين ومائة وألف هجرية.

(١) الجواهر الثمينة، ص٨٩.

(٢) هو من الكتب المفقودة حتى اليوم.

ثبت المصادر والمراجع

المصادر:

- الإسحاقي(محمد بن عبد المعطي المنوفي ت: بعد١٠٦٠هـ/١٥٦٠م): لطائف أخبار الأول فيمن تصرف في مصر من أرباب الدول، المطبعة العُثمانية، القاهرة، ١٣١٥هـ/١٨٩٧م.
- الأنصاري(عبد الرحمن بن عبد الكريم ت:١١٩٥هـ/١٧٨١م): تُحفة المُحبين والأصحاب في معرفة ما للمدنيين من الأنساب، تحقيق: محمد العرويسي المطوي، المكتبة العتيقة، تونس، ط١، ١٩٧٠م.
- ابن تغري بردي(أبو المحاسن يوسف ت:٨٧٤هـ/١٤٦٩م): مورد اللطافة في من ولي السلطنة والخلافة، ج٢، تحقيق: نبيل عبد العزيز، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، ط٢، ٢٠١٢م.
- الجبرتي(عبد الرحمن بن حسن ت:١٢٤٠هـ/١٨٢٥م): عجائب الآثار في التراجم والأخبار، ج١، تحقيق: عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٩٩٨م.
- الجزيري(عبد القادر بن محمد ت: بعد٩٧٩هـ/١٥٧١م): الدرر الفرائد المنظمة في أخبار الحاج وطريق مكة المعظمة، ٢ج، تحقيق: محمد حسن محمد، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ٢٠٠٢م.
- الجوهري(إسماعيل بن حماد ت:٣٩٣هـ/١٠٠٣م): تاج اللغة وصحاح العربية، أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت، ط٢، ١٩٧٩م.
- ابن الجيعان(شرف الدين يحيى ت:٨٨٥هـ/١٤٨٥م): التحفة السنية بأسماء البلاد المصرية، تحقيق: القسم الأدبي بدار الكتب المصرية، المطبعة الأميرية، بولاق- القاهرة، ١٨٩٨م.
- الرشيدي(أحمد ت: بعد١١٧٨هـ/١٧٦٤م): حسن الصفا والابتهاج بذكر من ولي إمارة الحاج، تحقيق: ليلى عبد اللطيف أحمد، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٩٨٠م.
- سباهي زاده(محمد بن علي البروسوي ت:٩٩٧هـ/١٥٨٩م): أوضح المسالك إلى معرفة البلدان والممالك، تحقيق: المهدي عيد الروايضة، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط١، ٢٠٠٦م.
- السحماوي(شمس الدين محمد ت:٨٦٨هـ/١٤٦٤م): الثغر الباسم في صناعة الكاتب والكاتم، ج١، تحقيق: أشرف محمد أنس، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، ٢٠١٣م.
- السخاوي(محمد بن عبد الرحمن ت:٩٠٢هـ/١٤٩٦م):
- التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة، ج١، ٣، اعتنى بطبعه ونشره: أسعد طرابزوني الحسيني، د.م، ١٩٨٠م.
- وجيز الكلام في الذيل على دول الإسلام، ج١، تحقيق: بشار عواد وعصام الحرستاني، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٩٩٥م.
- السمهودي(علي بن عبد الله ت:٩١١هـ/١٥٠٥م): وفا الوفا بأخبار دار المصطفى، ج٢، ٣، تحقيق: قاسم السامرائي، مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي، لندن، ٢٠٠١م.
- السيوطي(عبد الرحمن بن محمد ت:٩١١هـ/١٥٠٥م): تاريخ الخُلفاء، وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية، قطر، ط٣، ٢٠١٣م.
- الغزي(نجم الدين محمد بن محمد ت:١٠٦١هـ/١٦٤٩م): الكواكب السائرة في أعيان المائة العاشرة، ج٣، وضع حواشيه: خليل المنصور، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٩٩٧م.
- القلعاوي(مصطفى الصفوي ت:١٢٣٠هـ/١٨١٥م): صفوة الزمان فيمن تولَّى على مصر من أمير أو سلطان، دراسة وتحقيق: محمد عمر عبد العزيز، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ٢٠٠٦م.
- كبريت(محمد كبريت الحسيني ت:١٠٧٠هـ/١٦٦٠م): الجواهر الثمينة في محاسن المدينة، تحقيق: محمد حسن

محمد حسن، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٩٩٧م.
- مجهول: تراجم أعيان المدينة المنورة في القرن الثاني عشر الهجري، تحقيق: محمد التونجي، دار الشروق، جدة، ط١، ١٩٨٤م.
- المُرادي(محمد بن خليل ت:١٢٠٦هـ/١٧٩١م): سلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر، ج٣، تحقيق: أكرم حسن العلبي، دار صادر، بيروت، ط٣، ٢٠١٢م.
- المقريزي(تقي الدين أحمد بن علي ت:٨٤٥هـ/١٤٤٢م):
- السلوك لمعرفة دول الملوك، ج١، تحقيق: محمد مصطفى زيادة، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، ٢٠٠٩م.
- المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، ج٣، تحقيق: أيمن فؤاد سيد، مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي، لندن، ٢٠١٣م.
- النهروالي(محمد بن أحمد ت:٩٩٠هـ/١٥٨٣م): الإعلام بأعلام بيت الله الحرام، تحقيق: علي محمد عمر، دار الثقافة الدينية، القاهرة، ط١، ٢٠٠٤م.
- ابن الوكيل(يوسف بن محمد الملواني ت:١١٣٢هـ/١٧٢٠م): تُحفة الأحباب بمن ملك مصر من الملوك والنواب، دراسة وتحقيق: عماد هلال وعبد الرازق عيسى، العربي للنشر، القاهرة، ط١، ٢٠٠٠م.
- **المراجع:**
- محمد بك رمزي: القاموس الجغرافي للبلاد المصرية، مج١، ٢، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، ٢٠١٠

that it symbolized, and brought it out, fine-tuned the words, clarified the objectives of the workbook, and I checked and reviewed the manuscript, and was careful to produce it as its author intended.

8. "Aldurrah Al Bahiyya fi kiswat Al Nabawiyya hujrah" by the Mufti of Medina Muhammad bin Asaad Effendi Al-Iskdari Al-Hanafi (d. 1143 AH / 1731 AD) / Dr. Muhammad Jamal Hamid Al-Shorbaji / Egypt

The kiswa of the Kaaba (Kaaba covering) received the attention of caliphs, sultans, and kings throughout the history of the Islamic nation. They competed in its decoration, the quality of its production, and the celebration of carrying it to the Sanctuary. Some sultans devoted a portion of the proceeds of their endowments to the covering, as will be mentioned later. Ibn Hajar al-Asqalani (d. 852 AH) devoted a treatise , which he called " Al Lamaa Al Latifa fi Kiswat Al kaaba Al Sharifa"

As for the interest in covering the Prophet's Hujrah, it came late. It is said that the first one to cover it was Prince Saif Al-Din Al-Hussein Ibn Abi Al-Hayja after the Caliph Al Mustadhii billah (566-575 AH) allowed him to do so. Then the Abbasid caliphs who came after him took care of it. After the fall of the abbasid state in Baghdad, the Hujrah kiswat grew in Egypt, the Mamluk sultans and Amirs of their state had the honor of taking care of it, and after them the sultans of Bani Uthman.

4. Scientific life in the state of Samail (1351-1390 AH / 1932-1970 AD) / Dr. Muhammad Hassan Muhammad Imam / India

The state of Samail is considered one of the most important states of the Sultanate of Oman, which played a major role in the history and civilization of Oman, especially in terms of science, which flourished in the state in this important historical period that we are chronicling. Samail was famous for being the home of a large number of imams, scholars, and jurists who played a fundamental role in Building Islamic civilization, serving Islam, and spreading literature and science, as their fame went beyond Samail to the Omani and Arab world. The research also aims to shed light on the most important scientific institutions such as mosques, schools, libraries, etc. and their role in enriching society by spreading science and knowledge.

5. The Sanni interpretation of the life of the Maliki Sheikh in Mecca, Ibn Hamoud Al-Miknasi (d. 573 AH), his scientific and religious efforts and contributions."/ Dr. Al-Hassan Al-Aouni / Morocco

This paper aims to shed light on the bright aspects, fragrant notes, and fleeting glimpses of our nation's ancient heritage by highlighting the significant scientific presence of the Islamic West's ownership in Mecca, out of a desire to be adjacent to the Haram Mosque of Mecca, which was and still is a center of spiritual and scientific attraction that captured the attention of common Muslims.

6. Our Manuscript Heritage: Its Uniqueness and the Endowment's Role in Preserving it and Enriching Arab Libraries/Prof.Abdul Sattar Al-Halouji

Our Arab manuscript heritage is unparalleled in any language, neither in its size, nor in its age, nor in its country, nor in its intellectual richness. Despite the destruction, destruction, damage, and loss that befell this heritage due to external invasion at times and internal disturbances at other times, whether political, religious, or economic, despite that, we have Arabic manuscripts estimated at millions, preserved by hundreds or even thousands of libraries in the East and West. This numerical magnitude is due to the fact that the Arabic language that we speak and write in now is the same language that the Arabs spoke in the pre-Islamic era more than sixteen centuries ago. One language that has preserved its grammar, morphology, derivations, spelling, and semantics over those centuries**.**

7. (Al-Rawd Al-Mrawd fi Ilm Al-Awrud / Khader Muhammad Abu Jahjouh / Palestine

This research aims to investigate a valuable manuscript from the manuscripts of the Arab-Islamic heritage, in the field of the science of prosody, written in the handwriting of its author. A, Taher bin Al-Hassan bin Omar bin Habib, he called it (Al-Rawd Al-Mrawd fi Ilm Al-Awrud), and it is an Arjouzah that he organized in two hundred and sixty verses, which included speech in a number of verses.

I translated it for the author, documented the book's attribution to him, extracted the evidence

Abstracts of Articles

1. Moral damage between considering Sharia law and abolishing it/Youssef Al-Azouzi/Morocco

Islamic law did not want honor to remain permissible, nor did it want honor to be disdained and insulted. Rather, it preserved it, defended it, and preserved it from everything that could harm and damage it.

This is embodied in the general and specific texts that were mentioned forbidding harm and ordering the protection of lives and honor, whether in the Qur'an and the Sunnah.

The Sharia protects the honor and souls, protects people's feelings, symptoms, and emotions from being broken, and prevents everything that would expose them to fracture and disintegration, and it should be so! It is the law of mercy and justice, for it is all mercy, all justice, and all wisdom.

2. The poetry of Abu Bakr ibn al-Munkhal al-Shalabi, "collection and study" / Dr. Muhammad Mahjoub Muhammad Abd al-Majid/Sudan

In the middle of the sixth century AH, the country of Andalusia witnessed a major transformation and transition, as the star of the Almoravid state declined and the sun of the Almohadin state rose. Although the two states were established on a religious principle, which is enjoining good and forbidding evil, - nevertheless - the Almohadin state was more established and longer lasting with the strongest influence in Andalusia.

There is no doubt that there were poets who were eyewitnesses to the Almoravid and Almohadin eras in Andalusia, and perhaps they wrote poetry about them, including our poet Ibn al-Minkhal al-Shalabi. Indeed, nothing has reached us in his praise of the Almoravids, except that - without a doubt - he was a participant in cultural life, as well as political life. He was - like other Shalabis - a hater of the Almoravid state, dissatisfied with it, and participated in the revolution against it, whether in word or deed. He was a minister in the government of Ibn al-Mundhir, a supporter of the revolution of Ibn Qasi, rebelling against the authority of the Almoravid..

3. Portuguese commercial penetration into the West African region during the 15th and 16th centuries AD and its effects / Dr. Abdullah Issa/ Syria

During the 15th and 16th centuries AD, the West African region witnessed important local and international transformations that had a profound impact on the future and history of the region. During this era, the African kingdoms suffered from many political, economic, and even social problems, which ultimately led to their decline and fall. Thus, a page in the history of West Africa was turned, which was full of civilizational, intellectual, and economic achievements, and a new page was opened that we can consider a black page. In the history of the African continent as a whole; The European intervention, especially the Portuguese, became widespread and grew, and the most important result of this intervention was the shift of the global center of gravity from the Mediterranean Sea to the Atlantic Ocean, and the areas adjacent to it.

INDEX

Editorial

Arabic Language Day: Cementing Identity and Enhancing Heritage
Editing Secretary 4

Researches Titles:

Moral damage between considering Sharia law and abolishing it
Youssef Al-Azouzi 6

The poetry of Abu Bakr ibn al-Munkhal al-Shalabi, “Collection and Study”
Dr. Muhammad Mahjoub Muhammad Abd al-Majid 22

Portuguese commercial penetration into the West African region during the 15th and 16th centuries AD and its effects
Dr. Abdullah Issa 61

Scientific life in the state of Samail (1351-1390 AH / 1932-1970 AD)
Dr. Muhammad Hassan Muhammad Imam 82

The Sanni interpretation of the life of the Maliki Sheikh in Mecca, Ibn Hamoud Al-Miknasi (d. 573 AH), his scientific and religious efforts and contributions.”
Dr. Al-Hassan Al-Aouni 102

Our Manuscript Heritage: Its Uniqueness and the Endowment’s Role in Preserving it and Enriching Arab Libraries
Prof.Abdul Sattar Al-Halouji 116

Manuscripts’ Verification

Al-Rawd Al-Mrawd fi Ilm Al-Awrud
Dr. Khader Muhammad Abu Jahjouh 127

“Aldurrah Al Bahiyya fi kiswat Al Nabawiyya hujrah” by the Mufti of Medina Muhammad bin Asaad Effendi Al-Iskdari Al-Hanafi (d. 1143 AH / 1731 AD)
Dr. Muhammad Jamal Hamid Al-Shorbaji 163

Abstracts 188

Āfāq Al Thaqāfah Wa'l-Turāth

A Scientific Refereed Quarterly Journal

Published by:
The Department of Studies,
Publications and Foreign Affairs
Juma Al Majid Center
for Culture and Heritage
Dubai - P.O. Box: 55156
Tel.: (04) 2624999
Fax.: (04) 2696950
United Arab Emirates
Email: info@almajidcenter.org
Website: www.almajidcenter.org

Volume 32 : No. 124 - Jumada Al Akhira - 1445 A.H. - December 2023

INTERNATIONAL RECORD NUMBER

ISSN 1607 - 2081

This Journal is listed in the "Ulrich's International Periodicals Directory" under record No. 349378

EDITORIAL BOARD

EDITING DIRECTOR
Dr. Azzeddine Benzeghiba

EDITING SECRETARY
Dr. Muna Mugahed Al Matari

EDITORIAL BOARD
Dr. Ababakr El Saddik
Dr. Muhammad Ahmad Al Qurashi
Dr. Fekry Abdelmonem Elnagar
Dr. Mohamed Vadel El hattab

ANNUAL SUBSCRIPTION RATE

	U.A.E.	Other Countries
Institutions	100 Dhs.	150 Dhs.
Individuals	70 Dhs.	100 Dhs.
Students	40 Dhs.	75 Dhs.

Articles in this magazine represent the views of their authors and do not necessarily reflect those of the center or the magazine, or their officers.

الشروط الخاصة بنشر كتب محكمة ضمن سلسلة آفاق الثقافة والتراث

١ – أن يكون الموضوع المطروق متميّزًا بالجدّة والموضوعية والشمول والإثراء المعرفي، وأن يتناول أحد أمرين:

- قضية ثقافية معاصرة، يعود بحثها بالفائدة على الثقافة العربية والإسلامية، وتسهم في تجاوز المشكلات الثقافية.
- قضية تراثية علمية، تسهم في تنمية الزاد الفكري والمعرفي لدى الإنسان العربي المسلم، وتثري الثقافة العربية والإسلامية بالجديد.

٢ – ألاّ يكون الكتاب جزءًا من رسالة الماجستير أو الدكتوراه التي أعدّها الباحث، وألاّ يكون قد سبق نشره على أيّ نحوٍ كان، ويشمل ذلك الكتب المقدمة للنشر إلى جهة أخرى، أو تلك التي سبق تقديمها للجامعات أو الندوات العلمية وغيرها، ويثبت ذلك بإقرار بخط الباحث وتوقيعه.

٣ – يجب أن يُراعى في الكتب المتضمنة لنصوصٍ شرعية ضبطها بالشكل مع الدقّة في الكتابة، وعزو الآيات القرآنية، وتخريج الأحاديث النبوية الشريفة.

٤ – يجب أن يكون الكتاب سليمًا خاليًا من الأخطاء اللغوية والنحوية، مع مراعاة علامات الترقيم المتعارف عليها في الأسلوب العربي، وضبط الكلمات التي تحتاج إلى ضبط.

٥ – يجب اتّباع المنهج العلمي من حيث الإحاطة، والاستقصاء، والاعتماد على المصادر الأصيلة، والإسناد، والتوثيق، والحواشي، والمصادر، والمراجع، وغير ذلك من القواعد المرعية في البحوث العلمية، مع مراعاة أن تكون مراجع كلّ صفحة وحواشيها أسفلها.

٦ – بيان المصادر والمراجع العلمية ومؤلفيها في نهاية كلّ كتاب مرتبة ترتيبًا هجائيًّا تبعًا للعنوان، مع بيان جهة النشر وتاريخه.

٧ – أن يكون الكتاب مجموعًا بالحاسوب، أو مرقونًا بالآلة الكاتبة، أو بخط واضح، وأن تكون الكتابة على وجهٍ واحد من الورقة.

٨ – على الباحث أن يرفق ببحثه نبذة مختصرة عن حياته العلميّة، مبيّنًا اسمه الثلاثي ودرجته العلمية، ووظيفته، ومكان عمله من قسم وكلية وجامعة، إضافةً إلى عنوانه، وصورة شخصية ملونة حديثة.

٩ – يمكن أن يكون الكتاب تحقيقًا لمخطوطة تراثية، وفي هذه الحالة تتبع القواعد العلمية المعروفة في تحقيق التراث، وترفق بالكتاب صور من نسخ المخطوط المحقّق الخطيّة المعتمدة في التحقيق.

١٠ – أن لا يقل الكتاب عن مئة صفحة ولا يزيد عن مئتين.

١١ – تخضع الكتب المقدمة للتقويم والتحكيم حسب القواعد والضوابط التي يلتزم بها، ويقوم بها كبار العلماء والمختصين، قصد الارتقاء بالبحث العلمي خدمةً للأمّة ورفعًا لشأنها، ومن تلك القواعد عدم معرفة المحكمين أسماء الباحثين، وعدم معرفة الباحثين أسماء المحكمين، سواء وافق المحكمون على نشر البحوث من غير تعديل أو أبدوا بعض الملاحظات عليها، أو رأوا عدم صلاحيتها للنشر.

ملاحظات

١ – ما ينشر في هذه السلسلة من آراء يعبّر عن فكر أصحابها، ولا يمثّل رأي الناشر أو اتجاهه.

٢ – لا تُردّ الكتب المرسلة إلى أصحابها، سواءً نشرت أو لم تنشر.

٣ – لا يجوز للباحث أن يطلب عدم نشر كتابه بعد عرضه على التحكيم إلاّ لأسباب تقتنع بها اللجنة المشرفة على إصدار السلسلة، وذلك قبل إشعاره بقبول كتابه للنشر.

٤ – يُستبعد أيّ كتابٍ مخالف للشروط المذكورة.

٥ – يدفع المركز مكافآت مقابل الكتب المنشورة وثلاثين نسخة من الكتاب المطبوع.

Āfāq Al Thaqāfah Wa'l-Turāth

A Scientific Refereed Quarterly Journal

Juma Al Majid Center for Culture and Heritage - Dubai

Volume 32 : No. 124 - Jumada Al Akhira - 1445 A.H. - December 2023

تحفة الجلاس في جمع ما جاء من الجناس
الهواري : محمد بن طاهر , أبو عبد الله ١٢٢٠ هـ
نسخة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية رقم ٥٩٦٧

tuhfat aljilas fi jame ma ja' min aljinas
Al-Hawari: Muhammad bin Taher, Abu Abdullah 1220 AH
Imam Muhammad Bin Saud Islamic University NO.5967

Published by:

Department of Studies, Publications and Foreign Affairs
Juma Al Majid Center for Culture and Heritage